تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني
المتوفى سنة ٧٤٣ هـ

بهجة الزمن في تاريخ اليمن

تحقيق
عبد الله محمد الحبشي
محمد أحمد السنباني

دار الحكمة اليمانية
صنعاء - ص.ب (١١٠٤١)

بسم الله الرحمن الرحيم

بهجة الزمن
في
تاريخ اليمن

الكتاب ١
الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

ج. ع. ي. - صنعاء - شارع القصر الجمهوري - ص.ب (١١٠٤١) - برقياً:
حكمة س . ت ٧٦٩٦ هاتف ٢٧٢٤٧٤ ، ٧٢٥٨٤ - تلكس HEKMA2943 YE

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يبحث الدّارس عن الصّياغة الأولى لكتابة التاريخ اليمني ليجد كل من أتَى بعد هذه الكتابة ينقلها بنصّها دون إضافات تذكر إلا في حالات نادرة تتعلق بالمعاصرة والمشاهدة الشخصية . وأنت تقف عند أول نص تاريخي يمني يسلسل الأحداث ، وهو لعمارة اليمني في القرن السادس . فتجد أكثر المؤرخين ينساقون في تعبيره وصياغته الأولى حتى يقفوا عند الزمن الذي لم يدركه فيضيفون عليه أشياء من عندهم وهكذا .

إلا أن الصّياغة التاريخية للأحداث اليمنية تطورت في أسلوبها ونمطها على يد مؤرخ قدير نادراً ما يذكره أحد ، وهو المؤرخ الأديب الفارس إدريس بن علي الحمزى المتوفى سنة ٧١٤ هـ فهو صاحب النمط الفني الأول لكتابة التاريخ اليمني ، وسنذكر له هذا في الفصل الملحق بتاريخه الكبير (كنز الأخبار) الذي جعله في تاريخ العالم الإسلامي ، ثم أدرج فيه تاريخ اليمن على شكل حوليات منتظمة تتميز بنصاعة الأسلوب ووضوحه ، وذلك بعد أن تمرس بكتابة التّاريخ وأصبح فنه الأثير .

ثم كان للمؤرخ اليمني عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني مساهمته المشكورة في صياغة هذا التاريخ إلا أنه كان مقتفياً لأثر شيخه المؤرخ إدريس بن علي ، بل إن اقتفاءه المذكور يكاد يكون نقلاً صريحاً لما خَطّه سلفه ، كما سنبينه فيما بعد ، ومع

ذلك فهو ممن أسهم في تقييد الأحداث ، وكان مرجعاً للمؤرّخين الذين جاؤوا بعده كالجندي والخزرجي . وكان الأخير مصدراً لابن الدّيبع الذي لخص كتابه (قرة العيون) من كتاب الخزرجي (العسجد المسبوك) ثم أتى يحي بن الحسين في القرن الحادي عشر واستوعب جهود من سبقه وهكذا .

ويبقى أمامنا نصّ المؤرّخ ابن عبد المجيد وهو نص قديم يسبق نصوص فطاحلة التاريخ اليمني ، فتكون له الأهمية من هذه الناحية ، ولعلّك ستدرك هذه الأهمية عندما تجد المؤرخ الحسن بن علي الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ هـ يعتمد كتابنا هذا في تدوين الأحداث الرّسولية التي لم يدركها ويستوعبها في كتابيه الشهيرين (العَسْجد المسبوك) و (العقود اللؤلؤية) . وقد تبيّن لي جليّاً أنه قد أغار على كتاب ابن عبد المجيد اليماني في الأحداث المتسلسلة حتى قيام الدولة الجاهدية دون أن يشير إلى ذلك إلا في مواضع قليلة ، ولا غضاضة في ذلك فهي عادة مطّردة عند المؤرخين . وكان مؤرخنا ابن عبد المجيد اليماني قد انتهب نفسه كتاب (كنز الأخبار) لعماد الدين إدريس عندما أرّخَ لأحداث التاريخ اليمني حتى قيام الدولة المؤيدية ، باستثناء فصل مستل من مفيد عمارة ، ووريقات مأخوذه من تاريخ (وفيات الأعيان) لابن خلكان ، وهكذا يكون المؤرخ اليمني نهباً لمن يليه وهلمّ جرّى .

على أنه إذا ذكرنا الإضافات الحقيقية في تدوين التاريخ اليمني فسنجدها في الجهود الشخصية التي قام بها مؤرخون لم يعتمدوا على النقل في قليل أو كثير ، ومن هؤلاء وأقدمهم المؤرخ علي بن محمد العلوي في كتابه (سيرة الهادي يحي بن الحسين) والمؤرخ ابن حاتم في (السّمط الغالي الثمين) الذي فَصّل فيه أحداثاً تاريخية لا نجدها في غيره ، ثم مؤرخ الدّولة الرّسولية المجهول ، الذي قمنا بنشر كتابه في السنوات الأخيرة ، ثم المؤرخون المتأخرون من كتاب السّير والفترات المحصورة كالمؤرخ الموزعي في كتابه (الإحسان) الذي قمنا بنشره أيضاً ، ولله

الحمد ، والحبيشي في (تاريخ وصاب) ، نشرناه أيضاً ، وغيرهم مما لا يحضرني الآن ذكرهم ، واستوعبناهم في كتابنا (مدرسة التاريخ اليمني) .

ولم نذكر من الكتب تلك الكتب المخصَّصة في التراجم فالنَّاس هنا في هذا المضمار عالة على ابن سمرة والجندي ، وإنما استجد المؤرخ البريهي بَعْضَ التّراجم المستحدثة بعد الخزرجي عندما وجد حَشْداً من العلماء شاهدهم بنفسه ، وذلك عندما ترجم لهم في كتابه (تاريخ البريهي) ، والذي قمنا بنشره أيضاً سنة ١٩٨٠ م ، وهذه خواطر مرت بنا أثناء عملنا في هذا الكتاب أردنا قولها هنا ، وبقي أمامنا ترجمة المؤلف والحديث عن كتابه .

ابن عبد المجيد اليماني

هو الأديب المنشي تاج الدين أبو محمد عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله ابن أبي المعالي مثنى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يوسف اليمني المخزومي ، كذا يسلسل نسبه المؤرخ ابن حجر ، وهو أيضاً عند الفاسي إلا أن الأخير يجعل مثنى متى ، ولد بمكة لمضي اثنتى عشرة ليلة من رجب سنة ٦٨٠ هـ وهو تاريخ مضبوط لأنه ذكر عن نفسه أنه عندما وقعت معركة التتار وانتصار المسلمين عليهم سنة ٧٠٣ هـ كانت سنه إذ ذاك ثلاثاً وعشرين سنة ، وذكر الجندي أن ميلاده كان بمدينة عدن يقول الفاسي : « ومولده في ١٢ رجب سنة ٦٨٠ هـ بعدن ، على ما ذكر الجندي في تاريخ اليمن ، وهو أقعد بمعرفته » قلت : لعله ارتحل إلى مكة صغيراً فقد ذكروا أنه طلب بها وأنه سمع فيها من العز الفاروقي ، وقد توفي المذكور بواسط سنة ٦٩٤ هـ ، وكان بمكة سنة ٦٩١ هـ ، فيكون سن صاحبنا إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وكان صاحبنا ممن شغف بالرِّحلة وجعلها ديدنه ، فكان في سنة ٧٠٣ هـ بمدينة عدن كما ذكر ذلك عن نفسه في تاريخه هذا ، وكان أثيراً عند ملوك اليمن ولعله كان يطمح إلى منصب كبير في الإنشاء ، وهو في سن

لا يسمح له بتولّي مثل هذا المنصب ، فقد ذكر عن نفسه سنة ٧٠٤ هـ أنه كان بمدينة عدن ، وأنه توجّه إلى مصر « لما منعت الصدقات السلطانية » وسنه إذ ذاك ٢٣ سنة كما أسلفنا ، وكانت رحلته من الديار اليمنية رحلة علم وتثقيف ، فقد أخذ عن الشيوخ واستفاد من العلماء والأقران ، وفي الشام وقف على المكتبة السميساطية ، وقد حدّثنا عن مقتنياتها حيث وقف على نسخة نادرة من تفسير الرّازي وغيره ، ومكث مدة يدرس العروض والمقامات بجامع دمشق بمرتب حصل عليه من واليها الأفرم يقدره الفاسي بنحو مئة درهم كل شهر . وأخيراً عاد إلى اليمن يحدوه الشوق إلى المنصب الذي يتوق إليه ، وكان الملك المؤيد قد عرف قدره ، فاستدعاه من الشام سنة ٧١٨ هـ ليتولى منصب الإنشاء ، وقد ذكر هذا ابن عبد المجيد نفسه في تاريخه وأورد في تاريخه بعض القصائد التي قالها في مناسبات لها صلة باحتفالات الدولة وأكثرها في مدح الملك المؤيد . وتُعَدُّ أيام المؤيد من سنة ٧١٨ هـ حتى وفاته سنة ٧٢٢ هـ ، هي أيام العز والسعادة بالنسّبة لمؤرخنا ابن عبد المجيد ثم فجأة يتوفى اللهُ المؤيَّد ويعقبه ابنه المجاهد وتتطور أمور من قبل المتنافسين على الحكم ، ويثور عَمُّ المجاهد الملك المَنصور أيوب ، ثم تعَقّبه ابنه الظّاهر ، وكان لسوء حظ مؤرخنا أن يكون من حِزْب الأخير الذي لم تواتِه الظروف وتكون هزيمته على يد خَصمه الملك المجاهد ، وفي هذه الحادثة يقول مؤرخ الدولة الرسولية في العصر الحديث الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ١٨٧ :

« كان الملك المجاهد تنقصه الحنكة السياسية والقدرة على إدارة شؤون البلاد ، وكان يفتقر إلى الخبرة مما جعله أسير حاشيته ومنفذاً لما يشيرون به عليه ، وكان لكل ذلك أثره السيء على نفوس العسكر وأمرائهم الذين أيقنوا أنه لن يستقيم لهم أمر معه ، ولهذا قرروا الخلاف عليه ، والخروج عن طاعته ، وبدأت ثورتهم بقتل نائب السّلطنة ومن كان معه كقاضي القضاة ، وغيرهما من

كبار أعوان المجاهد ، وأتبعوا ذلك بالقَبْض على المجاهد نفسه في ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٢٢ هـ وعزلوه عن السلطنة ، وأقاموا عمه سلطاناً على اليمن وسلموا إليه المجاهد فسجنه في حصن تعز ، وحلفت للمنصور أيوب فأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، وعلى الرغم من أن المنصور أختصّ أعوانه بالمناصب والإقطاعات وكسب قلوب الجند بالهبات ، فإنه لم يحترز أتباع المجاهد ، مما أتاح الفرصة لبعض غلمان المجاهد » .

ويستمر الصراع بين الأقارب حتى ينتهي الأمر بتغلب المجاهد على خصومه وخروج صاحبنا من الدّيار اليمنية ذليلاً مدحوراً لا يلوي على شيء حتى تردّه الأقدار إلى الكنانة مَرَّة أخرى ، ليجد نفسه غريباً بين مصر والشام ، وذكر من ترجم له أنه وصل إلى مصر سنة ٧٣٠ هـ ، وتَردّد بينها وبين الشّام مدّة ، وفي مصر درَّس بالمشهد النفيسي ، وولي شهادة المارستان ، ويفهم من بعض ما أورده النويري من مكاتبات أنه عمل في ديوان الإنشاء بمصر ، ثم استوطن بيت المقدس مدَّة ، وترَدّد بين دمشق وحلب وطرابلس ، وولي بالقدس تصديراً ، وفي سنة ٧٤١ هـ رجع إلى الشام فأقام بها بقية حياته حتى توفي سنة ٧٤٣ هـ ، وكانت وفاته بالقدس كما نقله الأستاذ مصطفى حجازي في ترجمته للمذكور .

مؤلفاته

١ ـ **الاكتفاء بحل ألفاظ الشفاء** ، ذكره بروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) ٢٦٩/٦ ، ومنه مخطوطة بدار الكتب المصرية ٢١٢٧

٢ ـ **حاشية على كتاب الشّفا في حقوق المصطفى** ، للقاضي عياض ، بعنوان : المجمل بحل مشكلات الشفاء ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس .

٣ ـ **مطرب السّمع في حديث أم زرع** .

٤ ـ **مختصر الصِّحاح** ، ذكره ابن العماد في شذرات الذهب .

٥ ـ **إشارة التعيين في طبقات النحاة واللُّغويين** ، منه مخطوطة بدار الكتب المصرية ، وطبع أخيراً بتحقيق الدكتور عبد المجيد دياب .

٦ ـ **لقطة العجلان في مختصر وتذييل وفيات الأعيان** ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الأمبودليان ، انظر فهرستها ص ١١١ ، وكتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٤١٤

٧ ـ **مقامة في فن التطفيل** ، أوردها محقق (بهجة الزمن) الأستاذ مصطفى حجازي .

٨ ـ **رسالة بعثها الخليفة المستكفي إلى الملك الرّسولي من إنشاء ابن عبد المجيد** ، أوردها المحقق السابق .

٩ ـ **مفاخرة بين القنديل والشمعدان** ، نشرها الأستاذ عزت العطار في الثلاثينات ، ثم أعدنا نشرها في مجموع المقامات اليمنية فتنظر .

١٠ ـ **مقامة بعنوان** : خلاصة الحكم في المفاضلة بين السيف والقلم .

كتابه (بهجة الزّمن)

هذا الكتاب من أهم مؤلفات ابن عبد المجيد ، ألّفه للملك الظّاهر أسد الدين بن أيوب ، الثائر على الملك المجاهد ، وليس للنّويري كما ذكر بعضهم ، وقد ظل نصّه الأصلي مفقوداً ، وإنما عرفناه من مختصره المدرج في موسوعة شهاب الدين النويري المسماة (نهاية الأرب) ، فعندما وقف على هذا المختصر الأستاذ مصطفى حجازي اهتبل الفرصة ونشره مستقلاً جازماً بسلامة النص وكماله ، يقول « والنّويري كما عودنا أمين كل الأمانة فيما ينقل عن مصادره التي أخذ منها في موسوعته الكبرى التي أسماها (نهاية الأرب في فنون الأدب) وفي الجزء الحادي والثلاثين وجدنا هذا الكتاب قد أورده النّويري ضِمناً ، حيث

استطرد عند ذكره حوادث سنة ٧٢٥ هـ فروى هذا الكتـاب ، ويغلب على الظّن أن النويري لم يتصرف في عبارة الأصل لأن صنيع المؤرخين القدامى في التـأليف كان يعتمد على الرواية الأمينة » .

قلت : لـو أن المحقـق اطّلع على مخطـوطـة الكتـاب الأصليـة لغيّر ظَنّــه في النويري ، ولوجد أنه إنما لخّص بعض الحوادث وترك بعضها ، بل أنه ربمـا حـذف أوراقاً كاملة من الكتاب .

وكان ضرورة أهميـة نَشْر الكتـاب كامـلاً ، وقـد حظيت مكتبـة بـاريس الوطنية بوجود النسخة الوحيدة منـه ، وكانت هـذه المكتبـة ، شـأنها شـأن بقيـة مكتبات أوربـا الأخر قـد حفظت تراثنـا الإسلامي وصـانتـه من العبث من قبل الجاهلين ، الـذي كان سيلقـاه لو أنـه ظل في موطنـه الأصلي ، خـاصـة في فترات الجهل والفقر ، لا كما يظن بعض النّاس الذين يرون النّكبـة كل النكبـة في تسرب تلك المخطوطات إلى أوربا .

وبهذه المناسبـة نقول : إن حفـظ المخطوطـات ونشرهـا حسنـة من حسنـات الاستشراق الأوربي لا يجهلها إلا جاحد للجميل ناكر للمعروف .

وكان عثورنا على مصوّرة من هذه المخطوطة النادرة بواسطة السيدة الفاضلـة ماري كريستين التي تَفضّلت بتصويرها على حسابها وأهدتها إلينا ، والكتـاب يقع في ١٢٣ ورقة مسطرتها ١٩ سطراً وينقصـه من أثنـائـه وآخره بعض الأوراق نَبّهنـا عليها في مواضعها ، وخطه جيد وأظنه يعود إلى القرن التاسع .

وحيث إنّ الكتاب لا توجد منه إلا نسخة واحـدة فقـد قمنـا بتتبع المؤلف في مصـادره ، ولحسن الحـظ وجـدنـا المؤلف يرجع في أول الكتـاب إلى كتـاب (كنز الأخبار) للشريف عمـاد الـدين إدريس بن علي المتوفى سنـة ٧١٤ هـ ، وهو نقل بالحرف والعبارة ، فأفادنا كثيراً في استكمـال النقص والمراجعـة . لولا أن نسختنـا

من الكتاب المذكور تنقصها أوراقٌ ، فاستعنا بكتاب (العسجد المسبوك) للخزرجي الذي عدَّ مؤرخنا ابن عبد المجيد من مراجعهِ الرئيسيّة .

أما في الفترة المتأخرة المعاصرة للمؤلف ، فقد وجدنا المؤرخ الخزرجي المذكور يستل عبارة المؤرخ ابن عبد المجيد بالعبارة والنّص ، فأفادنا هذا النّقل كثيراً في المراجعة ، حيث إننا لم نجد نسخة أخرى من الكتاب الذي نحققه ، وهكذا مَنّ الله علينا باستكمال ما كان في الكتاب من نقص ، ولا نزعم الكمال فيما قمنا به ووراء كل ذي علم عليم ، وبالله التوفيق .

كتاب

بهجة الزَّمن في تاريخ اليمن

جمع الشيخ الإمام أبي المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد القُرَشي رحمة الله عليه وصلى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم .

يـاأكرم الأكرمين العفو عن رجلٍ   في السيئـات لـه وِرْدٌ وإصـدار
هانت عليه معاصيـه التي عظمت [...]   ربـك للعـاصين غفـار
وامنن عليَّ وسامحني وخُذْ بيـدي   يامن له العفو والجنـات والنـار
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسَلَّم

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر وأعن ، الحمد لله مصرِّف الأقدار ، ومكوِّر اللَّيل على النَّهار ، وجاعل الأيَّام والليالي عبرةً لأولي الاعتبار ، وما يَنْشأ[1] منهما من اختلاف الدّول تاريخاً يستضيء به أولو الأبصار ، نَحمدُه على منِّه المِدْرار ، وسُحب فضله الغِزار ، ونُصلي على سَيِّدنا محمد النبي المختار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين في دِينه ، أحبَّاء الله والأنْصار ، وسلَّم وكرَّمَ وبَعْد :

فإنَّ المِنح الإلهيَّة ، والمِنَن الربَّانية ، نَظَمَتْني في سِلْك الخدم الشريفة العالية ، المولويَّة[2] العاليَّة ، العامِليَّة[3] والسُّلْطانية ، المالكيَّة الملكيَّة ، الظاهِرية[4] الأسديَّة[5] ، ضاعَف الله نِعَمها ، وأدام على أوليائها كرَمَها ، بعد معاندَة الزَّمان ، ومُصارَمة الإخوان ، وظُهور مُكايَدة الدَّهر الخوَّان ، فألفيتُ منهُ أوصافاً قلَّ أن تَجتَمع في إنسان ، لِساناً بالبيان ، ومنطِقاً لا يَعرف البُهْتان ، وجَناناً في قَضاء الأمُور أمْضَى من سِنان ، إلى ما حازه من فَضائِل متنوِّعة ، ومآثِر تفرَّقت في أسلافه الملوك ولكنَّها متَجمِّعة ، وما أحقّه بقول من قال :

---

(١) خ : يشا .

(٢) لقب أطلق في العهد المملوكي على السلطان نفسه (صبح الأعشى ٢٣/٦) .

(٣) لقب أيضاً يطلق على السلطان ، انظر (تعريفات صبح الأعشى ٢٤٠) .

(٤) هو الملك الظاهر عبد الله بن أيوب من أمراء الدولة الرسولية ، ناصب الملك المجاهد الملك ، ووقعت بينهما معارك انتهت بنصر المجاهد ، وزج الظاهر في سجن (تعز) مكرماً معززاً إلى أن مات سنة ٧٣٤ هـ (العقود اللؤلؤية ٢١/٢ وما بعدها) .

(٥) من ألقاب الملك الظّاهر المذكور ، انظر (العقود اللؤلؤية ١٥/٢) .

يغضِي حياءً ويغضِي من مَهابَتِه فَلَيْس يُسْألُ إلاَّ حينَ يَبْتَسِمُ[1]

ولَمّا مثَلتُ بمقامِه العالي ، وشاهدت فضله الجالي[2] ، رأيت العالم في إنْسانِه ، والعالِم النِّحْرير يغرق في بَحْر بيانِه ، وذكر اختلاف الدول وانقلاب أهل [الملك][3] والخول ، وتقلّب الزّمان بالسّالك والمسالك ، والمملوك والمالك ، وسأل[4] وضع للقطر اليمني من عَهد الرَّسول ﷺ تاريخاً ال[5] عليه نفصّل أحوال القطر اليمني وملوكه على جليَّة من الأمر مقرَّرة وموضحة ، لتأملها محرّرة . فأجبْته خلَّد الله سُلطانه أني عَثْرت على مصنَّفات مُختَصرة ، وفَوائد في أمهات الكتب مُعْتبَرة ، تذكر طرفاً[6] من أخبار اليمن المحروس ، ولم أشاهد كِتاباً مطوَّلاً يقتضي السنن من عهد الهجرة والماجرايات[7] التي اتفقت بها على الخليـة[8] ، وعَلِق بالذّهن منها أشياء جميلة ، وفوائد جليلة ، فبرز مَرْسومه برسم ما عَلِق بالذّهن من أخباره ، وأحْضَره الحِسّ عند التذكّر من آثاره ، وكان ذلك منه وهو في مَحَلّ مُلكه وعَظَمة سُلطانه ، وعظيم سُلطانه ، بمعقل الدملؤة[9] ، وليس معي كتاب في هذا الفنّ يُراجع ولا مُطوَّل في التاريخ يُطالَع ، فاستعنت بالله ، وجعلت سعادته

(١) من قصيدة مشهورة للفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) العالي أو الواضح .

(٣) مطموسة في الأصل .

(٤) كلمة مطموسة .

(٥) كلمة مطموسة .

(٦) كلمة مطموسة .

(٧) الماجرايات ، وفي المصادر : الماجريات : الحوادث ، مأخوذة من قولك : (جرى ماجرى) .

(٨) كذا في الأصل .

(٩) الدملؤة : حصن يعتبر فرع من جبل الصلو في بلاد الحجرية . ضبطه الجندي بضم الدال وسكون الميم وضم اللام وفتح الواو وهو حصن منيع (إبراهيم المقحفي : معجم المدن والقبائل اليمنية ص ١٦ ، ط دار الكلمة سنة ١٩٨٥ م) .

وسُلطانه دليلاً على التّذكار ، وسَعْد بخته[1] قـائـداً يَقُود إلى طـاعـة قَلَمي عَسـاكر الأخبار ، ومن هاهُنا أبدأ بما منَّ اللهُ به من الآثار .

فصل

في ذكر اليمن وتسميته بذلك باختلاف العلماء في تَسْمِية هذا القطر باليمن

فقال قَومٌ : سُمّي باليمن لأنّه على يمين الكعبة ، كما سُمّي الشام بالشام لكونه على شمال الكعبة .

وقال قَومٌ : سُمّي باليمن بن أقطن بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نُوح النبيّ عليه السلام ، وهو قُطر مُبارك عظيم البركة جاءت فيه الآثار النبويّة على الناطق بها أفْضَل الرضوان مِنْها :

« الإيمان يمان والكعبةُ يَمانية وإني لأجِدُ نَفَس الرحمن من قِبَل اليمن » وقوله ﷺ : « جاءكم وَفْدُ اليمن أرَقُّ قُلُوباً وألين أفئدة »[2] . وفائدة هذا الحديث أنّ من رَقّ قَلْبه ولان فؤاده كان أسْرَعُ قَبُولاً للإيمان ، ولذلك إنهم آمنوا بوصول معاذ بن جبل ، وما شاهدوا النبيَّ ﷺ .

وللعلماء في وصف اليمن وما فيه من الآثار مصنّفات جمّة ، ليس هذا موضع إيرادها ، ومدينة اليمن صنعاء ، لأنّها كانت في الصّدر الأول والعَصْر المتقدّم كرسي ملك التبابعة[3] كل من ملك حضرموت إلى حجّة ، وما وراء ذلك سُمّي تُبعاً ، ووقع اصطلاح أهل ذلك العَصْر ، أن كل من وُلّي مصر سُمّي فِرْعون ، وكل من

---

(١) بخته : من « البخت » : الحظ ، والسعد فارسيّ معرّب .

(٢) ورد هذا الحديث بروايات متعددة وصيغ مختلفة ، انظر (تاريخ صنعاء) للرازي ٦ ، تحقيق الدكتور حسين العمري . ونثر الدر المكنون ص ٤٣٥ ط ثانية .

(٣) كلمة مطموسة في الأصل .

وَلّي فـــارِس سُمّي كِسْرى ، وكل من وَلِّي الرّوم سُمّي قيصراً ، وكلّ من وُلّي اليمن سُمّي تُبّعاً ، وكل من وَلِّي الحبشة سُمّي النجاشي .

واسم صنعـاء أزال ، ونُقل عن وهبِ بن منبّـه أنّـه وَجَـد في التوراة : « أزال بُورك فيك وما حواليك »[١] ولَمّـا تُوفي نوح عليـه السلام ، سـار سـام في الأرض يَرْتـادُ مكانـاً أطيبَ مـافيهـا ، فـأقبل طـالِعـاً في الجنوب إلى أن صـار إلى الإقليم الأول ، فوجد اليمنَ أطيبه سَكنـاً ، وارتـاد اليمن فوَجَـد حقل صنعـاء أطيبـه[٢] ، فَبَنى صنعـاء اليمن ، ثم أسَّس غمـدان ، ثم احْتَفر بِئْره ، وهي التي تُسمَّى كرامــة ، مقابلةً لأول باب مِنْ أبواب المسجد الجامع[٣] من ناحية المشرق ، وماؤهـا أُجـاج ، وبنيت صنعـاء بين الجبلين نُقم وعَيْبـان ، وبينهما ستــة أميــال . ويُقــال : أول جدار[٤] رُفع بعد الكعبـة عمـارة حران بـالجزيرة ، [جزيرة[٥] ابن عمر من قرايـا الموصل][٦] وعمارة غمدان بصنعاء اليمن .

فصل في ذكر غمدان

والباني له سام بن نوح عليه السلام ، واختلف العلماء[٧] في سَمكـه ، بَعْـد أن زادت فيه التبـابعـة ملوك حمير ، وأصَحّ مـاقيل فيـه إنّـه عشرون سقفـاً ، بين كل

---

(١) في تاريخ صنعاء للرازي ١٥ : « أزال كل عليك وأنا أتحنن عليك ، بورك فيك وفيا حواليك » .

(٢) تاريخ صنعاء ١٦ : أطيبها بعد المدة الطويلة فوضع مقرانة ـ وهو الخيط الذي يقدر به البنـاء ـ إلخ .. في خبر طويل أورده الرازي في تاريخه ، واختصره المؤلف هنا .

(٣) الرازي : مسجد صنعاء .

(٤) الرازي : أول حجر وضعت على حجر ، وكذا في (كنز الأخبار) مخطوطة المتحف البريطاني .

(٥) جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل ، قلت : هي غير جزيرة حرّان المشار إليها هنـا ، لأن حرّان مدينة قديمة بينها وبين الرها يوم وبينها وبين الرقـة يومـان ، قـال يـاقوت : هي أول مـدينـة بنيت بعد الطوفان .

(٦) زيادة من المؤلف على (تاريخ صنعاء) للرازي .

(٧) كنز الأخبار : بالرواية .

سقف وسقف عشرة أذرع[١] ، وكان في رأسه غرفة اثنا عشر ذراعاً في مثلها ، تكوينه[٢] من زجاج ملوّن ترمي ظلّها على ثلاثة فراسخ ـ الفرسخ : ثلاثة أميال ، الميل : ثلاثة آلاف خُطْوة الْخَطوة : خَطوة البعير ـ ، وهو من المباني العجيبة التي يُضرب به المثل ، ويَقال إنّه إذا سُرِّج فيه يراه الرَّائي مثل النجم الزاهر ، وإذا استلقى المستلقي به عَرَف الغُراب من الحدأة[٣] . وقد أكثر الشعراء فيه وضُرب به المثل وما أحسن قول بعضهم :

أم أين غمدان المنيف وأهله — وهو الشفاء لقلب من يتفكّر
يسمو إلى كبد السماء مصعداً — عشرين سقفاً كلها[٤] لاتقصر
ومن السحاب معصب بغمامةٍ — ومن الرُّخام ممنطق ومؤزّر
فأزاله الدهر الخؤون وأهله — فحوتهم بعد القصور[٥] الأقبر[٦]

ولم يزل غمدان قائم العمارة إلى أن هدمه فَرْوَة بن مسيك[٧] بأمر رسول الله ﷺ . وقيل : هُدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وقيل : في خلافة عثمان رضي الله عنه .

وقيل : إن دور صنعاء بلغت مئة وعشرين ألف دار ، ومساجدها ثلاثة

---

(١) في تاريخ صنعاء ٢٢ : كل سقف على عشرة أذرع .
(٢) الرازي ٢٤ : « بيضة رخام » .
(٣) مطموسة في الأصل وأصلحناها من تاريخ الرازي ٢١ ، وفي كنز الأخبار : « ومرّ به الطائر عرف الحدأة من الغراب » .
(٤) الرازي : سقفها ، وفي الإكليل ١٧/٨ : سمكها .
(٥) الرازي : « التحارب » .
(٦) انظر القصيدة كاملة في تاريخ صنعاء للرازي ٢٥
(٧) هو فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة المرادي وفد على النبي ﷺ واستعمله على مراد (تاريخ صنعاء ٥٨٥) .

عشر[1] ألف مسجد ، وحماماتها كذلك ، وعدّوا مساكن[2] القطيع فبلغت سبعين ألف مسكن والقطيع ربعها ، ثم تلاشت في أيّام أحمد بن قيس الضحاك في سنة ثمانين وثلاث مئة من الهجرة ، فبلغت ألف دار وأربعين داراً .

فصل ، وأمّا مسجد الجامع بها فاختلف في من بناه بأمر رسول الله ﷺ أن يُبنى حائط باذان[3] [مسجداً][4] بين غمدان إلى الحجر الململمة ، فوجدت في زقاق بني[5] ثمامة وكبَّر الناس ، وأمره أن يجعل قبلته .

وقيل : عمّره فروة بن مسيك المرادي حين وجّهه رسول الله ﷺ إلى صنعاء ومخاليفها ، ولم يزل كذلك إلى أيّام الوليد بن عبد الملك فأمره بالزيادة فيه من موضع قبلته الأولى إلى موضع قِبْلتِه اليوم ، وذلك سنة ست وتسعين ، وأهل صنعاء يزعمون أن جامعهم أفضل من جامع الجند لأن النبي ﷺ حدّه وذكر قبلته ، وإنّما قال لمعاذ في مسجد الجند : « حيث تبرك ناقتك فابن مسجداً »[6] .

فصل[7] ، تُوفي رسول الله ﷺ وولاته على اليمن ثلاثة : أبان بن سعيد بن العاص بن أميّة على صَنْعاء وأعمالها ، وعلى الجند ومخاليفها معاذ بن جبل الأنصاري ، وعلى حضرموت المهاجر بن أميّة المخزومي . فلمّا تُوفي رسول الله ﷺ وظهر الأسود الكذّاب العَنْسي [المتنبِّي ، وأغوى أهل اليمن ، ارتد أهل اليمن وخاف أمراء الجهات على أنفسهم][8] فلحقوا بأبي بكر الصديق

---

(1) تاريخ صنعاء : عشرة آلاف مسجد وسقايا .
(2) تاريخ صنعاء : مساكين .
(3) في الأصول : لاذان .
(4) ساقط من الأصل .
(5) الرازي : ابن ثمامة .
(6) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر عن مكحول .
(6) من هنا تبدأ المطبوعة .
(7) ساقط من (ط) .

رضي الله عنه ، فاستخلف معاذ على عمله عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي [والد عمر بن أبي ربيعة الشّاعر المشهور][1] ، واستخلف أبان بن سعيد على عمله يعلى بن منبّه التميمي حليف بني نوفل بن عبد مناف ، واستخلف المهاجر بن أبي أميّة عكرمة بن أبي جهل ، [ثم إنَّ أهل اليمن أصرّوا على المعاندة والكفر ، فما ردّهُم إلى الإسلام إلاّ عساكر جاءت من قبل أبي بكر لمحاربتهم ، ورجع أهل اليمن إلى الإسلام][2] فأقرَّ أبو بكر ابن أبي ربيعة على الجند ومخاليفه ، ويعلى على صنعاء وأعمالها . [ولم يزل الأمر كذلك إلى انقضاء خلافته][3] . ولمّا وُلّي عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ، أقرَّهما أيضاً على اليمن . وأمّا أهل حضرموت فإنهم عصوا وارتدّوا ومنعوا من يصل إليهم . وأمّا يعلى المتولّي أمر صنعاء ، فأقام صدراً من خلافة عمر ثم عزله عُمر ، وسبب عزله أن رجلاً من جبل حفاش[4] ، وهذا الجبل أعلى المهجم أتى إلى يعلى ، وقال : إن رجلاً قتل ابني ، فكتب يعلى إلى نائبه سعيد بن عبد الله الكندي على جبل حفاش وملحان : أن أحضر إليّ قاتل ابن هذا الرجل . فقدم به سعيد على يعلى ، فأحضرَ يعلى وجوه أهل صنعاء ودفع إلى والد المقتول سيفاً وقال : اقتله وهؤلاء شهود . فضربه بالسيف حتى ظنّ من حَضَر أنّه قَتَله ، فاحتملوه ليدفنوه فوجدوا فيه رمقاً فداووه فصحَّ ، فوجدَه أبو المقتول بعد ذلك يرعى غنماً . فجاء إلى يعلى ، فقال : قاتل ابني حيّ . فكتب يعلى إلى عامله بإشخاصه إليه فأشخصه إليه حياً [فأمر ففتشت جراحته فوجد فيها الدِّية][5] فقال لوالد المقتول :

---

(١) زيادة على (كنز الأخبار) .

(٢) ساقط من (ط) .

(٣) ساقط من (ط) ويكثر مثل هذا فلا حاجة إلى التنبيه عليه هنا إلاّ لماما .

(٤) في الأصول : (خفاش) بالخاء المعجمة خطأ . قلت : حفاش جبل مشهور بالغرب من صنعاء بمسافة ١٤١ ك م : جوار جبل ملحان ، وهو ناحية تابعة لقضاء المحويت (المقحفي ١٢٤) .

(٥) هذه الزيادة لاتوجد في الأصول ، وفيها خلط والتباس ، وعبارة (العسجد المسبوك) ١٨ بعد =

« إن شئت فاقتله وادفع ديته وإلاّ فدعه[1] ، فلحق الرجل والد المقتول بعمر بن الخطاب مستعدياً على يعلى ، وأنّه حال بينه وبين قاتِل ابنه ، فغضب عُمر وبعث المغيرة بن شعبة على صنعاء ، وأمره أن يرفع إليه يعلى ، فأتى المغيرة إلى يعلى وأشخصَهُ فلمّا قدِم على عمر أخبره الخبر ، فشك في الأمر ، فاستفتى عليّاً . فقال : لقد قضى يعلى بالحق ، ثم رجع إلى عمله بعد سنتين من عزله ، فلمّا قدم إلى صنعاء أحسن إلى المغيرة . فقال المغيرة : والله إنّ يعلى خيراً منّي » . فأقام يعلى على عَمله ماشاء الله ، ثم إنّ أخاه عبد الرحمن ابتاع من رجل فرساً بمئة قلوص[2] ، وقدم البائع على فَرَسه فاستقال عبد الرحمن فلم يقله ، فلحق بِعُمر فأخبره الخبر وقال : غصبني يعلى وأخوه فرساً لي . فكتب عمر إلى يعلى أن أقدم عليَّ فأتاه ، فقصَّ عليه الصّورةَ فقال عمر : إنّ ثمن الخيل يبلغ هذا عندكم ؟ فقال يعلى : نعم . فقال عمر : نأخذ من أربعين شاة شاة ، ولا نأخذ من الخيل شيء . فأخذ على كل فرسٍ ديناراً وعاد يعلى إلى عمله ، ثم إن نفراً من مواليه وقعوا على رجل فضربوه فلحق بعمر فقال : ياأمير المؤمنين إنّ موالياً ليعلى ضربوني حتى ، قال عمر : حتّى مِه ؟ قال : حتى أحدثت . فكتب عمر يرفع يعلى إليه ماشياً ، فخرج حتى إذا صار برحابه[3] على أميال من صنعاء لقيه الخبر بقتل عمر واستخلاف عُثمان وإقراره له على عمله ، فعاد راكباً فرِحاً وتلقاه أهل بيته ومن

= قوله (حياً) » وبه أثر جراحات كثيرة فأمر يعلى من قدّر أرشها فبلغت الدية فقال لوالد المقتول ... إلخ » وفي (كنز الأخبار في معرفة السير والأخيار) لعماد الدين إدريس بن علي المتوفى سنة ٧١٤ هـ مخطوطة المتحف البريطاني ١٧٣ : » ففتش جراحته وحسب فوجد فيها الدية » .

(١) في غاية الأماني ٨٣ » إما أن تدع الرجل وإما أن تقتله ويعطى ورثته أرش جراحته » .

(٢) الإبل الشابة بمنزلة الجارية في النساء .

(٣) كذا في الأصل ، وفي العسجد ١٩ ، وغاية الأماني ٨٥ » مراحل » قلت : رحابه بلد باليمن من بلد مراد في أرض مارب (المقحفي ١٧٤) .

إليه ونجبه بالزبازب[1] والمعازِف والمحاجر[2] ، فلم يزل على عمله إلى خِلافـة عثمان ، وكذلك ابن أبي ربيعة لم يزل على الجند ومخاليفه مدّة خلافة عثمان رضي الله عنه ، فلمّـا قُتـل عثمان واستخلف ابن أبي طـالب كرّم الله وجهَـه أرسـل إلى اليمن عبـد الله بن العبـاس بن عبـد المطلب على جميع مخـاليفـه ، فلمّا علم يعلى [وابن أبي][3] ربيعـة بقـدوم نـائب عليّ ، سـارا نحو الحجـاز على خوفٍ ووجل ، فلحقـا بمكّة ، ولم يعرض لهما أحدٌ ، وكان يعلى قد جمع أموالاً جمّةً تخرج على الحدِّ ، فوجَد بمكّة طلحةَ والزُّبير وعائشـة يريـدون الخلاف على عليّ بن أبي طـالب والمسير إلى البصرة ، فـأعـانَهُم على جهـازِهُم بست مئـة ألف درهم وست مئـة بعير منهـا جمـل عـائشـة الـذي يُنْسَب إليـه يـوم الجمـل ، وكان اسمُ الجمـل عسكراً . ولم يـزل عبيـد الله بن العبّـاس على اليمن وحـجَّ بـالنـاس إلى آخر أيّـام علي بن أبي طـالب وتخاذل أصحابه . وأغار معـاويـة على أطرافـه ، فسيَّر معـاويـة جيشـاً أمّر عليهم بسْر بن أرطـأة الفهري إلى اليمن وأمَره بقتـل شيعـة علي بن أبي طـالب ، فقتـل بالمدينة قَوْماً وهَدَم دوراً ، ثم أتى مكّة فقتل قوماً من ولد أبي لهب ، وكذلـك فَعَل بالسراة ونجران ، فلمّا قارب صنعاء انحازت[4] مِنْه همدان إلى جبل شبام[5] فَـدَخل صنعـاء وقَـدْ تميّل[6] عنهـا عبيـد الله بن العبـاس ، فـوجَـد لـه صبيين صغيرين ،

(١) في الأصل بالدنادن والإصلاح من العسجد ٢٠ قلت الزبازب : نوع من السفن وأظنه أيضاً نوعـاً من المعازف ، والله أعلم .

(٢) من الحجير وهو ما يعرف في البلاد الأخرى بالزغاريد (عامية) .

(٣) ساقط من الأصل .

(٤) في الأصل أغارت وما أثبتناه في العسجد ٢٠

(٥) شبام هو شبام الغراس في الشمال الشرقي من صنعاء بمسافـة ٢٣ ك.م وتقع بـالسفح الغربي لحصن ذي مرمر (المقحفي ٢٢٤) .

(٦) كذا في (كنز الأخبار) للشريف إدريس (مخطوط) وكذا في الأصل ، ولم أجد هذه اللفظة في سائر المصـادر الأخرى ، قلت : عبـارة العسجـد ٢٠ وهو ممن ينقل عن كتـابنـا هـذا « وعلم بـه عبيـد الله بن العبـاس جمع أهل صنعـاء وخطبهم وحضّهم على القتـال فقـال لـه فيروز الـديلمي ماعندنا قتال ، فاحتزر في نفسك إلخ » .

فذبَحهُما بيده وقتل مَعَهُما سبعين شيخاً من أبناء فـارس ، فَدُفِنَـا حيث قُتلا وعُمِلَ عليهما مسجد ويُعْرف بصنعاء بسمجد الشهيدين[1] عظيم الفضل والبركة .

ولَمَّا بَلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مسير بُسْر[2] إلى اليمن جهَّز جيشاً مع حارثة بن قُدامة السعدي ، وعلم به بُسْر فخرج لـه ، فَهَرب [وتبعـه حـارثـة حتى جاوز المدينـة فوجـد أبـا هريرة يصلي بـالنـاس فـاختفى من حـارثـة][3] وقـال ووجدت أبـا هرٍ لتركت أكثره[4] شعراً بـالأرض . ثم قتل علي بن أبي طـالب كرَّم الله وجهَهُ .

ولاية معاوية وولده

واستـولى معـاويـة على البـلاد ، فبعث إلى اليمن عثمان بن عفَّـان الثقفي ، ثم عزلـه وجمع اليمن بكاملـه لأخيـه عُتبـة بن أبي سفيـان ، فـأقـام بـه ثلاث سنين ثم تُوفي ، فبعث معاوية على اليمن النّعمان بن بشير الأنصـاري فمكث سنـة ثم عزلـه ، وولّى سعيـد بن داذويـه منء الفُرس فـأقـام تسعـة أشهُرٍ ومـات ، فـاستعمـل الضحاك بن فيروز ، فلم يزل على اليمن حتى توفي معاوية .

فلمـا وَلّي يـزيـد بعث بحير بن ريشـان[5] الحميري على المخلافين ، مخلاف صنعاء ومخلاف الجند ، وتقبّلَهما منه بمال عظيم ، وكان بُحير متجبِّراً عاتيـاً ولم يزل على اليمن حتى مات يزيد .

---

(١) من المساجد العامرة في الغرب الشمالي من سوق صنعاء (مساجد صنعاء للحجري ٥٩) .

(٢) في الأصل بشر بالشين المعجمة ، والإصلاح من المصادر الأخرى ترجمته في الأعلام ٥١/٢

(٣) ساقط من الأصل وما أوردناه وجدناه في كنز الأخبار للشريف إدريس (مخطوط) وهو مصـدر كتابنا .

(٤) كذا في الأصل وفي كنز الأخبار (مصدر كتابنا) .

(٥) في الأصل بحير بن زيان ، وما أثبتناه من العسجد ، ومثله في غاية الأماني .

ولاية ابن الزبير

وظَهَر ابن الزبير بمكة فأطاعه أهل اليمن إلاّ القليل منهم ، فبعث عليهم الضحّاك بن فيروز ، ثم مكث سَنَة فَعَزَلَه بعبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فأقام سَنَة ، فعزله بعبد الله بن أبي وداعة السَّهمي ، فمكث سنة وثمانية أشهر ثم عزله بأخيه عبيدة بن الزبير ، فمكث خمسة أشهر ، وعَزَله ، وولّى قَيْس بن يزيد السَّعدي أحد[1] بني تميم ومكث عشرة أشهر وعزله ، واستَعْمَل بعده ولاة يقفون الأربعة الأشهر والخمسة ويعزلهم حتى قُتل سنة ثلاث وسبعين . ولما قتل ابن الزبير .

ولاية الحجاج وولاية بني مروان

استولى[2] الحجاج بن يوسف نائباً عن عبد الملك بن مروان على الحجاز واليمن واليمامة والبحرين ، فبعث على اليمن أخاه محمد بن يوسف فأقام عليها تسع عشرة سنة إلى آخر أيّام عبد الملك وتوفي ، وكان قد جمع المجذومين بصنعاء وجمع لهم الحطب ليحرقهم فمات قبل ذلك . فولى الحجاج بأمر الوليد بن عبد الملك ابن عمه أيوب بن يحيى الثقفي ، فلم يزل عليها بولاية الوليد .

وأيوب هو الذي تولّى عمارة الجامع بصنعاء حين زاد الوليد فيه ما زاد . فلمّا وُلّي سليمان بن عبد الملك ، ولّى اليمن عروة بن محمد السعدي فأقام عليها [ست سنين] ولاية سليمان وولاية عمر بن عبد العزيز .

---

(١) للطبوعة : (أخو) ، وما أثبتناه في الأصل وكنز الأخبار .

(٢) في الأصل : (واشتمل) والإصلاح من المطبوعة وكنز الأخبار .

(٣) في للطبوعة (ولّى ، وفي كنز الأخبار (جمع) .

واستقضى عمر بن عبد العزيز وهب بن منبه ، وكان وَهْب يقول : « إنَّه يرى الرؤيا الصادقة فتكون كما يراها » . فلمَّا ولِّي القضاء ذهبَ الذي كان يراه . فلمَّا تُوفي عمر بن عبد العزيز وولّي يزيد بن عبد الملك ، استعمل على اليمن مسعود بن عوف الكلبي فأقام عليها ولاية يزيد . فلمّا وُلّي هشام بن عبد الملك بعث يوسف بن عمر الثقفي على مخاليف اليمن جميعاً ، فمكث عليها ثلاثة عشرة سنة فخرج عليه سنة سبع ومئة عُبَاد الرعيني في ثلاث مئة محكماً[2] فقتلهم يوسف جميعهم ، ثم أمره هشام بالخروج إلى العراق وولاَّه أمرها ، وأمره بالقبض على خالد بن عبد الله القسري واستخراج الأموال منه ومن أسبابه ، فاستخلف على اليمن ابنه الصلت ، وسار يطوي المراحل ويخلط الليل بالنَّهار فقدم الكوفة فقال بعض الشعراء :

ألا قطع الرحمن ظهر قلائص حملنك من صنعاء ستّاً وأربعا
كأن على العيس التي أقبلت به أمام[4] ركاب القوم سفراً مجوعا

فأقام الصلت على اليمن خمس سنين ، فلمَّا توفي هشام ، وولّي الوليد بن يزيد بَعث على اليمن جَميعَه مروان بن محمد بن يُوسُف ابن أخ الحجاج ، وكان في أيَّامه شيَّد[5] دار [خوط يوم الجمعة النصف من شوال سنة أربع وعشرين ومئة ، وكان في دار][6] خوط تُسمّى برك الغماد ، وكانت مجمعاً للعَرب والوفود بصنعاء إذا قدموا على مُلُوكها ، حتّى ضرب بها المَثل [قال سعيد بن عبادة يوم بَدْر لرسول الله ﷺ : « لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد من ذي يمن

---

(١) زيادة من (كنز الأخبار) على الأصل .

(٢) كذا في الأصل ، وكنز الأخبار ، وفي غاية الأماني ١١٩ « نفر » .

(٤) كنز الأخبار (أقام) .

(٥) في كنز الأخبار والعسجد ٢٢ (سيل) .

(٦) ساقط من الأصل والزيادة من (كنز الأخبار) ليستقيم المعنى .

مـافـارقنـاك » ، وقـال عمر بن عبـد العزيز لرجلٍ من أهـل بيتـه كلّمـه في شيء يعطيه فقال : أمَّا مالي فلن يسعكم ، وأمَّا هـذا المـال فـإنَّما حقكم فيـه كحقٍّ رجلٍ بأقصى برك الغماد][1] . وكان سيل نقم يصُب إليها فكبست قبل هـذا التـاريخ ، واختطت منـازل الوليـد ومسـاكنـه ، فنزل سَيْل نقم نزولاً عظيماً فخرَّب المنـازل وجرَّ الأمتعة .

فلمّا ولي يزيـد بن الوليـد النـاقص بعث الضحـاك بن واصل السكسكي على اليمن فأقام عليها ولاية يزيد .

فلمّـا غلب مروان بن محمـد على الأمر بعث على اليمن القـاسم بن عمر الثقفي أخا يُوسف بن عمر ، وحضرموت يومئذ ممتنعـة قـد ثـار بهـا الأعور الخـارجي ولم يلبث القاسم أن قصده الأعور إلى صنعاء فـانهزم عنـه وقتل ابن أخيـه الصلت بن يوسف ، وغلب عبـد الله بن يحيى الأعور على اليمن سنـة وأربعـة أشهر ، واستولى ابنه أبو حمزة الخارجي على مكّة ، وقتل أهل قديد[2] ، وسار فاستولى على المدينـة فأقام بها أربعة أشهر ، ثم سـار منهـا يُريـد الشـام ، فبلغ الوادي[3] فتلقتـه هنـاك جيوش أهل الشام بعثهم مروان بن عبد الملك بن محمد بن عطيّـة السعـدي [وقـد انتخبهم وجعلهم من فرسان الناس ووجوههم][4] فقتلهم عبـد الملـك بوادي القرى ومكَّة وبيشة وصنعـاء وأصْفَى اليمن منهم ، وسـار إلى حضرموت ، فـأتـاه كتـاب مروان بتوليـه الموسِمَ فصـالحهم وَسَـار في ركب قليل ، فقُتل بـالجـوف ، ولمَّـا بَلَـغ

(١) من زيادات المؤلف على (كنز الأخبار) .

(٢) قديد : موضع قرب مكة (مراصد الاطلاع / ١٠٧٠) .

(٣) كذا في الأصل وفي المطبوعـة (وادي القرى) قـال المحقق الـدكتور مصطفى حجـازي (واد بين المدينة والشام كثير القرى) .

(٤) زيادة على (كنز الأخبار) .

مروان قُتْل عبد الملك بن عطيَّة بعث الوليد ابن عروة بن محمد فلم يزل على اليمن حتى انقطعت ولاية مروان(١) .

ولاية بني العبَّاس

وجاءت الدولة العباسية فاستخلف أبو العباس السفّاح في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، فبعث على الحجاز واليمن عمَّهُ داؤد بن علي بن عبد الله بن العبّاس ، فاستخلف داؤد على اليمن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن زيد بن الخطَّاب [القرشي العدوي](٢) فمكث خمسة أشهر ومات ، فبعث أبو العباس على اليمن محمد بن زيد بن عبد الله بن زيد بن عبد المدان الحارثي ، فقدمها لسبع مَضَيْن من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومئة ، وبَعَث أخاً له على عدن ، وأراد إحراق المجذومين بالشرار(٣) بصنعاء ، وجمع لهم الحطب فمرض أيّاماً يسيرةً ومات قبل إحراقهم ، ومات أخوه بعدن ، فوجّه أهل عدن إلى أخيه بريداً يُخبر بموته ، ووجَّه أهل صنْعاء بريداً بخبر موت محمد ، فالتقى البريدان بموتهما [من الجند](٤) وماتا جميعاً لا يعلم هذا ماقدم له هذا . وكانت ولايته خمسة أشهر ، فبعث أبو العبّاس عبد الله بن مالك الحارثي فمكث أربعة أشهر ثم عزله وبعث علي بن عبد الربيع بن عبد الله بن عبد المدان ، فمكث أربع سنين وشهراً(٥) . وكان في ولاية علي بن الربيع حكومة أهل صنعاء والأبناء [في

---

(١) كنز الأخبار بني مروان .

(٢) زيادة على (كنز الأخبار) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي المطبوعة بالنيران ، وفي (كنز الأخبار) « فأراد إحراق المجذومين بصنعاء » قلت : لعل الصواب السرار بالمهملات واد يشق صنعاء (سبق) .

(٤) زيادة من (كنز الأخبار) .

(٥) كنز الأخبار : أشهراً .

الرحبة[١] ، فوكل أهل صنعاء ابن ثُمامة ، ووكل الأبناء إبراهيم بن قوّاس[٢] ، فأخرج إبراهيم بن قوّاس كتاب رسول الله ﷺ للأبناء[٣] . فقال عمر بن ثُمامة : إنَّه يكفُر بهذا الكتاب . فغضب ابن الربيع وقال : يكفُر بكتاب رسول الله ﷺ وجرّده وضربه خمسَة وسبعين سوطاً . وقال : أمّا أنه لا يخرج من الدنيا أو تُصيبه عاهة ، فأقام حتى وُلّي منصور بن يزيد الحميري ، ودَعَى وجُوه أهل صنعاء إلى حائِط له وفيه عمر بن ثمامة ، فأكل[٤] جؤجؤ فرخ[٥] حمام فغصّ به فمات[٦]] .

وتوفي أبو العبّاس السفّاح واستخلف أخوه أبو جعفر المنصور فبعث على اليمن عبد الله بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، فأقام مدّة ، وسار نحو المنصور واستخلف ابنه ، فأقام باليمن حتى قدم عليه معن بن زائدة الشيباني في ربيع الأول سنة أربعين ومئة، وقيل سنة اثنتين وأربعين ومئة . وكان تناثر النجوم سنة أربعين ومئة تناثراً مثل المطر ، نحو المغرب حتى الصباح ، وعُوفي تلك الليلة مجانين كثر . قال بعضهم : كنت أعْرِف مِنْهُم امرأةً تقوم على رأسها [ورجليْها إلى فوق][٧] عامة يومها ، فأصبحت عاقلة تغسل ثيابها ، فقيل لها في ذلك : (إن الله رماه البارحة بنجم فأحرقه) .

وبعث معن في ولايته ابن عم يقال له سُلَيمان إلى المعافِر فقتلوه ، فَغَزاهم فقتل مِنْهم فأكْثَر ، وقال :

---

(١) الرحبة : ناحية تابعة للواء صنعاء في الشمال الشرقي لمسافة ٥ ك.م (المقحفي ١٧) .

(٢) العسجد : فراس .

(٣) في الأصل : أيها الأبناء ، والإصلاح من (العسجد ٢٥) .

(٤) الأصل : أكلا .

(٥) الأصل : فخرج .

(٦) مابين المعقوفتين ساقط من (كنز الأخبار) .

(٧) ساقط من (كنز الأخبار) .

إذا نـــابت الآلاف كادت حـــزازة　　على القلب من ذكرى سُلَيْمان تَبْردُ[1]

وقدم ابن جُرَيْج[2] العالم على مَعْن وافداً من مكة لدين لَحقه ، فأقـام عنـده حتّى إذا كان عاشر ذي القعدة مرَّ بقوم وجارية تُغني لهم شعر عمر بن أبي ربيعة :

هيهات من أمـة الوهـاب منزلنـا　　إذا حَللنا بسيف البحر من عـدن
واحْتل أهلك أجيـاداً فليس لنـا　　إلا التـذكر أو حـظ من الحـزن
تـالله قُـولي لـه في غير مُعْتبـة　　ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دُنيـا أوظفرت بهـا　　ماذا أصبت[3] بترك الحج من ثمن

قال : فبكى ابن جُرَيْج وانتحب ، وأصبح إلى معن وقال : إن أردت بي خيراً فردّني إلى مكة ولستُ أريد منك شيئاً . فاستأجر له معن أدلاء أعطاهم خمس مئـة دينار ، ودفع إليـه ألفـاً وخمس مئـة ، فوافى النـاس يوم عرفـة ، ثم إن حضرموت انتفضت على معن ، فسـار إليهم فمر بـزيـاد[4] من وادي مسـور فعظم في عينـه ما رأى من جرن الزَّبيب بها ، فقال لنائبـه : لا تقبل منهم دون عشرة آلاف ذهب زبيباً[5] . فلم يزالوا به حتى حطَّ لهم ألف ذهب ، وجمعوا أعشارهم ، فجاءت عشرة آلاف ، فأعطوا عامله تسعة وعمروا مسجدهم بـألف ، ووصل إلى حضرموت فـأوقع بهم عدّة وقعات ، قيل بلغت قتلاهم فيها إلى خمسة عشر ألفاً . فأعظم الناس ذلـك

---

(١) ورد هذا البيت في (العسجد ٢٥) وهكذا :
إذا غت الألفـــان كادت حرارة　　على القلب من ذكرى سليمان تبرد
وكذا ورد في (كنز الأخبار) .

(٢) هو العلامة الجليل عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فقيه الحرم وإمام أهل الحجاز يقال إنـه أول من صنف التصانيف أصله من الروم توفي سنة ١٥٠ (انظر الأعلام ٤/١٦٠) .

(٣) (كنز الأخبار) ، و (العسجد) : أخذت .

(٤) في الأصل : بريان ، وفي (كنز الأخبار) : بديار ، وفي (العسجـد) : بربـاب ، والإصلاح من عندنا يقول المقحفي ١٩٤ : زياد من وادي مـور يسكنها بنو حليقة .

(٥) الذّهب قال في (محيط المحيط ٣١٢) : مكيال لأهل اليمن .

وتحدَّثوا فيه حتى قـال رجل من سـادة قريش وفَـدَ على المنصور : ألا ترى يـاأمير المؤمنين إلى مـافَعَل معن بحضرموت ، كاد أن يـأتي عليهم . فسكت عنـه قليـلاً ثم قال : ياابن أخي أخبرني عن قوم نسَّـاك من قومـك ومن الأنصـار وكنتُ أعرفهم بملازمـة السـواري في مـؤخر مسجـد رسـول الله ﷺ قـد أصفرت وجـوههم من العبادة . قال : قتلهم الخوارج بقديد . قال : فأخبرني عن الفتى[1] الصـالح الـذي كان يُلازم السارية الفلانية كأنه خشبة من العبادة ؟ قال : قتل بقـديـد . قـال : فأخبرني عن أهل البيت الصـالح بني فلان مـافَعل الـدَّهر بهم ؟ قـال : قتلوا يوم قديد ، وجعل يُعدِّد له من قتل يوم قديد من أبناء المهاجرين والأنصار من وجوه أهل المدينة وعبَّادهم ونسَّـاكهم وسـاداتهم ، وكان قـاتلَهم أبو حمزة الخـارجي بـأهل حضرموت فقال : ياابن أخي أفتعتب على معن في قتل أهل حضرموت وقد أخـذ بثأركم ؟ فسكت القرشي ، ورجع معن إلى صنعاء ، ثم استخلف ابنه زايدة ، وسار إلى العراق ، وكانت ولايته اليمن بمقام أبيه سبع[2] سنين . ولمـا بلغ المنصور كتـابـه بما فعل في أهل حضرموت استصوب فعلـه ، وتَمثَّل في الكتـاب بـأبيـات من شعر الأعشى منها :

فَما وجدتك الحَرْبُ إذ عضَّ نابها   عن الأمر وقَّافاً لدى كُل مشهد

ولمَّا قدم معن على المنصور ولاه سجستان ، وبعث على اليمن ضرار[3] بن سالم العبسي ، فمكث ثلاث سنين ثم عزله بيزيد بن منصور الحميري [خـال المهـدي][4] وذلك سنة أربع وخمسين ومئـة وأقرَّ خـالَـه على اليمن ، فلمَّـا كان الموسم كتب إليـه

---

(١) العسجد : الرجل .

(٢) كنز الأخبار : تسع .

(٣) كـذا في الأصل والمطبوعـة ، وفي (كنز الأخبـار) و (العسجـد) ٢٧ ، و (المقتطف) للقـاضي عبد الله الجرافي الفرات بن سالم العَبْسي ، وأظنه كذا في سائر المصادر .

(٤) ساقط من الأصل ، والزيادة من المطبوعة ٢٠ و (العسجد) ٢٧

بموافاته فَفَعل ، واستَخْلف عبد الخالق بن محمد(١) الشهابي فَوَلي شهرين ونصفاً ، وقدم عليه رجاء بن روح الجذامي(٢) في ذي الحجة سنة تسع وخمسين [ومئة] وقد كان وقع بين أهل صنعاء والجند قتال في العيد ، وانحاز أهل الجند إلى شعوب(٣) ، ثم اصطلحوا ، فأقام رَجَاء ثلاثة عشر شهراً . ثم بعث المهدي علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العبَّاس ، فقدمها في المحرَّم سنة إحدى وستين ومئة ، فأقام إلى سنة اثنين وستين وسار نحو العراق ، واستخلف رجُلاً يقال له واسع بن عُصيمة(٤) فأقام بَعدْه أحَدَ عَشَرَ شهراً . ثم بعث إلى اليمن عبد الله بن سليمان أخا علي بن سليمان ، فقدَم لِسبع بقين من ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ومئة ، فأقام تسعة عشر شهراً . وبعث المهدي منصور بن يزيد بن منصور الحميري ، فقدم سَنَة خمس وستين ، ثم عَزَله بعبد الله(٥) بن سليمان النوفلي فمكث سنة وكان خيّراً ، يروي الحديث .. روى عن الزهري عن [عروة عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ﴿ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعونَ ذِراعًا ﴾ [الحاقة ٦٩/٣٢] . « أنها لو وقعت منها حلقة على جبل لأذابته خُلِّقت لَهم وخُلِّقوا لها » . وروى عن زيد بن زيد بن جابر عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ :

(١) في المطبوعة : عبد الخالق بن أحمد .

(٢) المقتطف : رجاء بن حيوة الجذامي قلت لعله اختلط عليه برجاء بن حيوة الكندي أحد الوعاظ والزهاد كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز توفي سنة ١١٢ هـ ، وورد ذكره برجاء بن حيوة أيضاً في اللطائف السنية ٧ ، ولعله هو الذي أوقع الجرافي في هذا الالتباس .

(٣) شعوب : هي ضاحية صنعاء الشمالية تنسب إلى شعوب بن جشم بن عبد شمس (انظر معجم المدن والقبائل لإبراهيم المقحفي ٢٣٥) .

(٤) في المطبوعة واسع بن عقبة ، ثم أصلحه بالهامش ، وفي العسجد ٢٧ ، و (كنز الأخبار) واسع بن عصمة .

(٥) قلت : أنظر ذكره في كتب الرجال ، انظر على سبيل المثال (خلاصة تذهيب الكمال) لصفي الدين أحمد بن عبد الله الجزرجي الزبيدي وفيه ص ٢٠٠ « عبد الله بن سليمان النوفلي عن ثابت بن ثوبان والزهري ، وعنه هشام بن يوسف .

« ذُو عدوات وذو نزوات[1] وذو بدوى فاستعيذوا بالله من شَرّه وأسألوه من خيره » ومعنى ذي بدوىٰ : ذي قوة . قال عدي بن رقاع : بلغنا إليه بذي بدرى قليل التفقد للعَيب يصف كثرة جيشهم »][2] .ثم عزل النوفلي بسليمان بن يزيد بن عبد المدان فأقام على اليمن بقية خلافة المهدي .

فلمّا وُلّي الهادي في المحرّم سنة سبع وستين ومئة وَلّى عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فمكث سنة ثم عزله بإبراهيم بن سليمان بن قتيبة [بن مسلم الباهلي[3] أقام أربعة أشهر وتوفي الهادي فلما ولى الرشيد][4] في ربيع الأول سنة سبعين ومئة وولّى خاله الغطريف بن عطاء اليمن ، فقدم اليمن والفتنة ثائرة بين الجند وأهل صنعاء فاصْطَلح أمرهم وأقام على اليمن ثلاث سنين وتسعة[5] أشهر ، ثم سار نحو الرشيد واستخلف على اليمن عبّاد بن محمد الشهابي .

فبعث على اليمن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان ، فقدم آخر سنة أربع وسبعين[6] وفيها وقع بصنعاء ثَلْج عظيم لم يقع مثله بها ، فمكث سنة ، ثم عزله الرشيد بعاصم ابن عُتبة الغسَّاني ، فمكث سنة ، ثم عُزل [بأيوب بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله فمكث سنة ، ثم عُزل][7] بالربيع بن عبد الله

(١) الكلمة مطموسة في الأصل ، وفي (النهاية في غريب الحديث) ١٩٣/٢ «السلطان ذو عدوان وذو بدوان » أي سريع الانصراف والملال .

(٢) من زيادات المؤلف ، وهي زيادة تدخل في موضوع غريب الحديث الذي ألف ابن عبد المجيد اليماني كتاباً فيه في شرح غريب ألفاظ الشفاء ولا يزال مخطوطاً .

(٣) زيادة من المطبوعة ، وكذا في سائر المصادر الأخرى .

(٤) ساقط الأصل وأضفناه من (كنز الأخبار) لعماد الدين إدريس (مخطوط) .

(٥) (كنز الأخبار) و (اللطائف السنية ٧) (سبعة) بتقديم السين .

(٦) في الأصل : سعين بتقديم التاء خطأ .

(٧) مابين المعقوفتين ساقط من مخطوطة (كنز الأخبار) (نسخة المتحف البريطاني) وقد وجد هذا السقط في المطبوعة من الكتاب (أعني بهجة الزمن) ٣١ فدل أن المؤلف رحمه الله رجع في جمع كتابه هذا على مخطوطة المتحف البريطاني نفسها من كتاب (كنز الأخبار) ، والله أعلم .

الحـارثي ، والعبَّـاس بن سعيـد مَولى بني هـاشم ، فـالربيـع على الصـلاة والحـارث والعبَّاس على الجِبَاية[1] ، فأقامـا سنتين وعُزلا بِمحمَّـد بن إبراهيم الهـاشمي ، وقـد جمع له الحجـاز واليمن فـأقـام بـالحجـاز ، وبَعَث ابنـه العبَّـاس فشكاه[2] النـاس ، [فعزله][3] ، وولىَّ الرشيد عبد الله ابن مصعب بن ثـابت بن الزبير ، وكان رزق عـامل صنعـاء في الشهر ألف دينـار ، فجعل لـه الرشيـد ألفي دينـار . فقـال لـه يحيي بن خالد : هذا يفسد عليك من تُوليَّه بَعْدَه من أهل بيتك ، فرَّد رزقـه ألف دينار وَوَصَله بِصَلة جَلَيْلة ، فأقام سَنَة ثم عزله بأحمد بن إسماعيل بن علي الهـاشمي سنة إحدى وثمانين ، وفي هذه السنة قام الهيْصَم بن عبد الحميد في جبـال العضـد[4] وهي جبال مسور ، وكان يُقيم ببيت دُخَّان[5] وما يليها ، فحارب جنود السلطان وهزمهم وقتلهم . وعزل أحمد بن إسماعيل بـإبراهيم بن عبـد الله بن طَلْحـة بن أبي طلحة من بني عبد الدار ، فأقام سنـة ووثب بـه الجُنْـد ، وكان في ولايتـه تخليـط وضَعْف مع أنَّ بشر الأبناوي من أهل صنعاء صاحب الرسائل المشهورة[6] في وعظ الخُلفـاء والأمراء أثنى عليـه خيراً في رسـالـة إلى يحيي بن خـالـد ، فعـزلـه الرشيـد بمحمد بن خالد بن برمك ، فدخل صنعـاء سنـة ثلاث وثمـانين ، فـأقـام بها حتى جرى الغيل المعروف بالبرمكي ، ثم سار إلى بلد يَحْصَب فأقام بقريـة منكث سنـة يجبي المخلافين الجند وصنعاء ، ثم عزله الرشيد بمولاه حمـاد البربري ، فقـدم صنعـاء في شوَّال سنة أربع وثمانين ومئة ، فلم يزل على اليمن بقيـه خلافـة الرشيـد إلى سنـة

(١) (كنز الأخبار) : الخراج .

(٢) مطموسة في الأصل .

(٣) ساقط من الأصل ، والزيادة من المطبوعة و (كنز الأخبار) وسائر المصادر .

(٤) انظره في صفة جزيرة العرب ١٣٤

(٥) كذا في الأصل وفي (كنز الأخبار) : ذخار .

(٦) انظر رسائله في صفة جزيرة العرب ص ١٠٧

ثلاث وتسعين ، فعمر اليمن في أيَّامه وخاصةً صنعاء ، وأمنَّ الطُرُق حتى كانت القوافل تقدم من اليامة فيها القطيع من الغنم على كل شاة مخلاتان في كل مِخْلاة ستة أمداد تمر ، فتباع بأرخص الأثمان .

وكان لا يترك الحج سنةً ، وفي كل سنة يحجّ ويستخلف على عمله ، وعُني بأمر الهيصم بن عبد الحميد فامتنع عليه وأجابه إلى الخلاف كثير من أهل اليمن ، فاستمدَّ الرشيد] [1] فأمده بعشرة قواد ، ثم استأمن إبراهيم بن عبد الحميد أخو الهيصم إلى حماد فأمنه ، فكان سبب ظفر حماد بجبال العضد فهرب منها الهيصم إلى بيش تهامة فظفر به هنالك ، فحمل إلى حماد بصنعاء فلم يزل عنده حتى شخص به وبأخيه إبراهيم وأهل بيته وجماعة من الرؤساء ممن كان خالف مع الهيصم أو اتهم بالخلاف فقدم بهم للعراق ، وجد الرشيد الرقة فأمر بضرب عنق الهيصم وصرف بقية من كان معه إلى السجن ببغداد فأقاموا به ، حتى وليَّ الأمين فأطلقهم .

ولَمّا استخلف الأمين سنة ٩٣ (ثلاث وتسعين) أمر حماد على ولايته فأقام مدة مديدة ثم سار نحو العراق ، واستخلف ابن أخيه ، وكان أهل اليمن كتبوا رسالتين إلى الأمين وإلى الفضل بن الربيع يشكوه فعزله الأمين بمحمد بن عبد الله الخزاعي ، فقدم خليفة له ، ثم قدم بعد ذلك فاستخرج من عمال حماد أموالاً جليلة وعدل في الناس ، ثم عزله الأمين بسعيد بن السرح الكناني ، فقدم صنعاء في شعبان سنة خمس وتسعين فأقام والياً على اليمن حتى ثارت الفتنة بين الأمين والمأمون ، فلما استقوى طاهر على الأمين وحصره وضعف أمره ودخل أهل الأطراف في طاعة المأمون بعث طاهر على اليمن يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، فقدم صنعاء آخر الحجة سنة ست وتسعين ، فقبحت سيرته من الناس ، وظهرت منه عصبية قبيحة ، وذلك أنه وجد قوماً من الأبناء

(١) هنا سقط ورقة كاملة من الأصل المخطوط بمكتبة باريس فاستكملنا الناقص من كتاب (كنز الأخبار) لوجود التشابه الكبير بينهما .

هم من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى مع وهرز مدداً لسيف بن ذي يَزَن قد نكحوا في قحطان ، فكان يؤتى بالرجل منهم إليه ، فيحمله على طلاق زوجته حتى أتى بكر بن عبد الله الأبناوي ويزيد في ملأٍ من وجوه أهل اليمن ، وكان تحت بكر امرأة من خولان فأمره يزيد بطلاقها ، فقال بكر والله ما حملني على زواجها رغبة في حسنها ولكني كنت امرءاً قليل المال ، وكان قومي لا يزوجون إلا على ألف دينار وإنما تزوجت هذه الامرأة على عنز ذبحتها في وليتها وهي طالق ثلاث ، فسكت يزيد عما كان يفعله وأقلع عنه ثم إن رجلاً من أهل العراق يكنى أبا السلط قدم على يزيد طالباً فلم يعطه شيئاً ، فعاد حتى إذا كان بضمر[1] من بلد همدان وجد عمر بن إبراهيم من ولد عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان نازلاً مع أخواله أرحب من السلمانيين فأخبره خبره فقال بئس ما صنع يزيد ووصله بعشرين دينار ، فقال أبو السلط لا جرم لأحسنن مكافأتك إن شاء الله تعالى ، فخرج من عنده ومكث وقتاً ، ثم قدم عليه بكتاب افتعله بولاية اليمن .

فقدم عمر ابنه محمد في نفر من الأعراب وقوم جمعهم فدخل صنعاء في صفر سنة ثمان وتسعين ومئة ، وأخذ يزيد بن جرير فحبسه ثم قدم عليه أبوه فأقام وقتاً ، وأخرج يزيد من الحبس ميتاً ، وقيل : إنَّه قتله ، وعن بعضهم دخلت على يزيد بن جرير في الحمام عند قُدُمِ العمري فقلت : دخل الساعة رجل فصعد المنبر يقول أنه أمير ويقرأ كتاب عهده ، فقال يزيد هكذا تقوم الساعة فكانت ولاية عمر أشهراً فعزله المأمون بإسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي ، فقدم في القعدة آخر سنة ثمان وتسعين ومئة فأقام بها سنة تسع وتسعين ، ثم سار يريد الحجاز واستخلف][2] ابن عمِّهِ أبا القاسم بن إسماعيل ، وذلك حين بلغه ظهور محمد بن

---

(١) بلدة من جبل عيال يزيد في الشمال الغربي من صنعاء على نحو ٤٠ ك . م .

(٢) من هنا ينتهي النقص في المخطوطة وهي ورقة بأكملها سقطت أثناء تجليد المخطوط .

إبراهيم المعروف بابن طباطبا بالكوفة واستيلاؤه وتسييره جماعة من الطالبيين نحو الحجاز ، فاستولوا على المدينة ومكة والموسم آخر سنة تسع وتسعين ومئة ، فلما صار إسحاق بضمر وثب به الأعراب فقاتلوه ، فرجع إلى صنعاء فوجد خليفته القاسم قد أحدث أحداثاً وضرب بها رجالاً وهدم دوراً كثيرة ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : كتابك وأخرج إليه كتاباً قد مثل على خطّه بتسمية من ضرب وهَدْم من هدم[1] ، وبحث عمن افتعل الكتاب فوجده عباد بن الغمر الشهابي على شرطته . فقال : ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : تخوفت أن يقتل ابن عمكَ من بصنعاء من أولياء السلطان . فلم ينكر عليه . وسمع بقدوم إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الطالبي والياً على اليمن بعثه الحسين بن الحسن الطالبي المعروف بابن الأفطس بعد استيلائه على مكة . فقدم إبراهيم اليمن في صفر سنة مئتين ، فأسرَف [في القتل] حتى سُمِّي الجزار ، ولم تزل أموره مستقيمة باليمن حتى ثار محمد بن إبراهيم ، وقام بعده محمد بن محمد بن يزيد بن علي عليهم السلام . فلَمَّا أسر محمد وقُتِل أبو السرايا انحلت أمور الطالبيين بالحجاز واليمن ، وبعث المأمون محمد بن علي بن عيسى بن ماهان[2] فكانت بينه وبين إبراهيم وقائِع استظهر فيها ماهان على إبراهيم ، وأقام إبراهيم يتردد في القرى التي حول صنعاء من مخلاف الخشب[3] وخولان ، حتى قدم عليه عهد المأمون بولاية اليمن ، فأبى ابن هامان تسليمها إليه فالتقيا بجدر عند صنعاء ، فهزمه ابن ماهان ، فعاد إبراهيم ولم يستقم له أمر بعد ذلك .

فقدم عيسى بن يزيد الجلودي[4] التيمي والياً فجمع له ابن ماهان عشرة آلاف

---

(١) (كنز الأخبار) : دور .

(٢) في الأصل : هامان .

(٣) في الأصل بالمهملات والخشب وطن من أرحب شمال صنعاء .

(٤) في الأصول : الحلودي ، وأوردناه هنا حسب رواية التاريخ اليمني .

مقاتل ، وخرج إليه ولده عبد الله من صنعاء وقد خندق الجَلودي عند رحابة[1] فالتقوا فهزمه الجلودي ودخل بعده صنعاء ، فَثَمَّ عبد الله منهزماً طريق أعشار في فرسان حتّى قدم مكّة . واختفى أبوه بصنعاء فدخل عليه الجَلودي فقبض عليه وحَبسَه ، وفرَّق عُمّاله في المخاليف ، وأشخص نحو العراق ، وكان المأمون قد قلَّد محمد بن عبد الله بن زياد الأعمال التهامية وما استولى عليه من الجبال ، فقدم اليمن سنة ثلاث ومئتين ومعه رَجُل تغلبي يُسمَّى محمد بن هارون قاضياً على الأعمال ، وهو جدُّ بني عُقامة ، ولم يزل الحكم فيهم يتوارث حتى أزالهم ابن المهدي حين أزال دولة الحبشة على رأس الخمسين وخمس مئة ، فاستولى ابن زياد على تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب ، واختط مدينة زبيد سنة أربع ومئتين ، وكان مع ابن زياد مَولى لَهُ يُسمَّى جعفراً ، وهو الذي ينسب إليه مخلاف جعفر ، وكان فيه دَهاء وذكاء حتى كانوا يقولون : ابن زياد بجعفره ، واشترط على عرب تهامة ألاَّ يركبوا الخيل ، وسيَّره مولاه إلى المأمون سنة خمس [ومئتين] بهدايا جليلة وأموال عظيمة ، فعاد سنة ست ومعه ألفا فارس فيها من مسودة خراسان تسع مئة ، فعظم أمر ابن زياد ، ومَلِكَ حضرموت وديار كنْدة والشِّحر ومِرْباط وأبين ولحج وعدن والتهايم إلى حِلي ومَلكَ من الجبال أعمال المعافر والجند والمخلاف ، وقلده جعفر فاختط به المذيخرة في جبل ذيْ[2] أنهار ورياض واسعة ، وخَطَب لابن زياد بصنعاء وصعده ونجران وبيحان ، ومات سنة خمس وأربعين ومئتين فأقام بالأمر بَعْدَه ولده إبراهيم بن محمد إلى سنة تسع وثمانين ومئتين .

وقام بعده زياد بن إبراهيم فلم تطل مدَّته فملك بعده أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم ، فامتنع عليه أهل الأطراف وانقطعت الخطبة له في الجبال .

---

(١) رحابه قرية أثرية تحت جبل الصمع من أعمال بني الحارث شرقي شبام سخيم (المقحمي ١٧٤) .

(٢) (كنز الأخبار) : ذات أنهار .

واستولى سليمان بن طرف على المخلاف وهو من الشرجة[1] إلى حلي وجَعَل السكَّة والخطبة باسمه ، وكان مبلغ ارتفاع عمله في [السنة][2] خمس مئة ألف دينار عثريّة[3] ، وهذا المخلاف هو المعروف بالسَّلياني[4] اليوم لا أدري نسبته إلى سليمان بن طرفٌ أو إلى الأشراف السليمانين[5] ، وخرج أيضاً من ولاية أبي الجيش لحج وأبين وما عداها إلى البلاد الشرقية . ومات أبو الجيش سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة على طفل له اسمه عبد الله ، وقيل زياد ، فتولت كفالته أخته هند بنت أبي الجيش وعبد لأبيها يُسَّمى رشيد[6] أستاذ حبشي ، فقام بأمر الطفل ، فلَمَّا مات رشيد قام بكفالته حسين بن سلامة وصَيف من أولاد النوبة ويُنْسب إلى أمه ، وقد كان هذّبه رشيد وأحسن تأديبه ، فخرج حازماً عفيفاً ، وقام بالأمر ووزر لولد أبي الجيش وأخته ، وكانت دولتهم قد [تضعضعت] أطرافها وغلبت ملوك الجبال على الحصون والمخاليف ، فقام الحسين يحاربهم حتى رجعت إليه أكثر مملكة بني زياد الأولى ، واختّط مدينة الكدراء[7] على وادي سهام ومدينة المعْقر[8] على وادي ذؤال ، وكان عادلاً في الرعيَّة كثير الصدقات وإنشاء الجوامع والمنارات الطوال والقُلل[9] العادية في المغاور . المنقطعة وبناء الأميال

(١) في الأصل : الشجرة ، والإصلاح من سائر المصادر قال المقحفي ص ٢٨٨ : الشرجة من قرى وادي زبيد من مخلاف المعاصلة ، وشرجة حرض بلدة كانت فرضة حرض ، قلت : وربما أخر بهذا الاسم ، وفي بعض المصادر شرجه أول كورة عثر ، فلعلها المقصودة هنا .

(٢) ساقط من الأصل .

(٣) نسبة إلى (عثر) مدينة تهامية خربة (المقحفي ٢٧٨) .

(٤) في الأصل السلاماني .

(٥) في المطبوعة جزم بنسبته إلى سليمان المذكور .

(٦) المطبوعة ٢٨ : رشد .

(٧) الكدراء : من قرى وادي سهام فيما بين المراوعة والمنصورية (المقحفي ٣٤٦) .

(٨) المعقر : مدينة تهامية خربة كانت قائمة بالقرب من بيت الفقيه ابن عجيل (السابق ٢٩٦) .

(٩) المطبوعة : القلب ، وقال : البئر والعادية القديمة .

والفراسخ والبرد[1] على الطّرقات من حضرموت إلى مكة حرسها الله تعالى . ورأيت اسمه مكتوباً في لوح في عدة أماكن بجامع زبيد ومسجد الأشاعر بها وبجامع حلي وبأماكن كثيرة ، وبمسجد الرّباط بأبين وهو [من أكبر المساجد][2] وأوسعها .

وأتاه يوماً رجل فقال : إن رسول الله ﷺ أمرني إليك لتعطيني مئتي دينار . قال : لعل الشيطان تمثَّل لك . قال : إنّه قد عرَّفني بأمارة لا يعملها إلا أنت . قال : وماهي ؟ قال : إنَّكَ لا تنام حتى تصلِّي عليه مئتي مرّة كل ليلة ، فبكى وقال : صدقت والله ما اطَّلع على هذا أحدٌ من عشرين سنةً إلا الله تعالى ، ومات حسين سنة اثنتين وأربع مئة ، وقد انتقل الأمر إلى طفل آخر من آل زياد ، فتولَّت كفالته عمةٌ له وعبد أستاذ اسمه مرجان من عبيد الحسين بن سلامة [فاستقر في الوزارة][3] ، وكان له عبدان فحلان من الحبشة ربَّاهما صغيران وولاهما الأمور كبيرين ، أحدهما يُسمَّى نفيساً وجعل إليه تدبير الحضرة ، والثاني يُسمَّى نجاحاً وهو والد سعيد بن الأحول ، وجيَّاش ، وكان يتولى أمور الكدرا والمهجم ومور والواديين ، فوقع التنافس بين نجاح وبين نفيس على وزارات الحَضْرة ، وكان نفيس غشوماً مرهوباً ، ونجاح ذا رفق بالناس عادلاً مُحْسِناً إلى الرعية ، إلا أن مولاتها تميل إلى نفيس ، فنمى إلى نفيس أن عمة ابن زياد تكاتب نجاحاً وتميل إليه فأعلم مولاه فأمره بالقبض عليها وعلى ابن زياد . فقبض عليهما وبنى عليهما جداراً وهما حيَّان ،] حتى] سدَّ بابه وختم[4] عليهما . فكان بموت هذا

---

(١) المسافة بين كل منزلين .

(٢) مطموسة في الأصل .

(٣) زيادة من (كنز الاخبار) .

(٤) في المطبوعة « وهما حيان يناشدانه الله حتى ختم عليهما » .

الصبيّ انقراض دولة بني زياد ، وكانت مئتي سنة وثلاث سنين[1] ذكره صاحب المفيد وهو الأصحّ ، وكان بنو زياد قائمين بخدمة الخلفاء العباسيين ومواصلتهم بالهدايا والأموال ، فلمّا اختلّ أمرهم وغلب أهل الأطراف على ما بأيديهم تغلّب بنو زياد على ما بأيديهم من أعمال اليمن ، وركبوا بالمظلّة ، وساسوا قلوب الرعيَّة بإبقاء[2] الخطبة العباسية . ولما بلغ نجاحاً مافَعَله نفيس في مواليه استنفر الناس وجمع العرب على باب زبيد ، واستولى نجاح على زبيد سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة ، وقال نجاح : مافعل مواليك وموالينا ؟ قال : هم في ذلك الجدار فأخرجهما وصلّى عليهما ، وأعاد مرجان في موضعهما وبنى عليه حيًّا ، وركب بالمظلة وضرب السّكّة ، وكاتب أهل العراق وبذل لهم الطاعة .

وقد كان حين توفي الحسين بن سلامة واختلف عبيده هرب مُلوك الجبال من سجنه ولحقوا ببلادهم ، فغلب بنو معن على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت ، وغلب بنو الكرَنْدي وهم قوم من حِمْير كانت لهم سلطنة ومكارم ظاهرة على السّوا[3] والسّمدان[4] والدملوه وحصن صبر وحصن ذخر والتعكر ومخاليفها المعافرية والجندية والجعفرية ، وتغلب على حب[5] وحِصْن الشِعَّر[6] رجل يُعرف بالحسين بن التبعي ، وبنو عبد الواحد على أعمال بُرع[7] والعمد[8] ولعسان[9] . ولم يزل نجاح مستوليًا على الأعمال التهامية حتى ملكها الصليحي

(١) المطبوعة مئتي سنة وثلاث وستين سنة .

(٢) الأصل : مانعا .

(٣) السوا عزلة كبيرة من ناحية المواسط وأعمال الحجرية .

(٤) حصن شامخ في بلد الرجاعية من المعافر بالغرب من تربة ذبحان بمسافة ١٥ ك م .

(٥) حب : حصن من عزلة سير في بعدان .

(٦) الشعر : بكسر الشين ناحية تابعة لقضاء النادرة .

(٧) برع : جبل شامخ شهير بالشرق من مدينة الحديدة .

(٨) اسم لعدة مواضع في اليمن .

(٩) في المطبوعة : نعمان . ولعسان : من تهامة .

على ما نذكره إن شاء الله تعالى . وقد جمعنا أخبار آل زياد ومواليهم في هذا الموضع ، ولم نأت به متفرقاً على حُكم السنين ليتم فائدته ، ونجيء بذكر من مَلِك منهم بعد الصليحيين في موضِعه إن شاء الله تعالى .

ولنعد إلى ذكر من ولي صنعاء وأعمالها بعد الجلودي . قيل : إنّه استخلف رَجلاً حين أشخص إلى العراق ، رَجَلٌ يقال لَهُ : حِصن بن المنهال ، فأقام حتى قَدِم عليه إبراهيم الإفريقي وهو رَجل من بني شيبان من ربيعة ، فأقام على اليمن مدَّة ثم عزله بنعيم بن الوضَّاح الأزدي والمظفَّر بن يحي الكندي اشتركا في العمل ، فقدما صنعاء [في صفر][1] سنة ست ومئتين ، وسار المُظَّفر ، فجبى الجند ومخاليفها وأقام بها مدّة ، ورجع إلى صنعاء فمات بعد أيَّام من رِجوعه ، فصار الأمر جميعه إلى نعيم ، فمكث حتى عُزل بمحمد بن عبد الله بن محزب مولى المأمون ، فقدم اليمن سنة ثمان ومئتين ، وأمر ابناً له يُقال له : أبو الحميد نحو الجند ومخاليفها ، فَجباها ، ولم يَلْبث ابن مُحزب[2] أن شغب عليه الجُنْد ، وكان في ولايته ضُعْف ، فخرج نحو الحجاز ، واستخلف عباد[3] بن الغمر الشهابي فأقام حتى قَدِم إسحاق ابن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبَّاس اليمن وهى ولايته الثانية ، وكان قدومه آخر رجب سنة تسع [ومئتين] فأساء السيرة ، وظَلَم الناس وغشمهم ، وظهرت منه أخلاق فَظَّة غليظة ، ونال اليمانية كل منال ، وتعصّب عليهم تعصّباً لم يفعله أحدٌ قبله ، حتى كان لا يسأل أحَدٌ فينسب إليهم إلا ضَرَب عنقه ، حتى كان من سأله بعد ذلك عن نَسِبه قال : مولى بني العباس ،

---

(١) ساقط من الأصل المخطوط .

(٢) في المطبوعة : محرز أصلحه من تاريخ اليمن للواسعي ، وكذا في (غاية الأماني ١٥٢) و (اللطائف السنية ٩) وسائر المراجع ، قلت : أوردناه هنا على أصله لوروده هكذا في الأصلين المطبوع والمخطوط .

(٣) العسجد (العباد) .

ولم يذكر لحميرٍ ذكراً ولا اسمَّـاً[1] حتى أمر بقلع الخوخ الحميري ، ممَّا أسرف عليهم في التحامل ، وكان أيضاً يوسّط النَّاس ، وفي فِعْله يقول بعض الشعراء :

لله دِرُّك يـاإسحـاق من رَجـلٍ ... يَسْمو بذكرك عبـاس على النـاس
تركت حمير لمَّـا أن سَمَـوت لهـا ... بحدِ سيفـك صَرْعى رهن أرمـاس
ضربت أعنـاقهم صَبراً وكنت لهـا ... لمَّا بـدا لـك منهـا الـداء كالآس
طـوراً وطـوراً تِسِـل المشرفي لهـا ... بضربك الوسط بعد الضرب في الرأس

ولم يزل كذالك حتى مات سنة ست عشرة ومئتين ، وقيل : أنَّ أهل صنعـاء شكوه إلى المأمون فأمر بإشخاصه ، فلمَّا مثَّل بين يديـه قـال لـه : ضع يـدك على رأسي ، فلمَّا وَضَع يده قال : قُل وحياة رأسك لا ضربت عُنقاً [فقالها][2] فقـال : عُدْ إلى عملك . فقيل : إنّه [إنمـا] وسـط الرأس بعـد عودتـه حين أقسم من ضَرْب الأعناق ، وكانت الزلزلة العظيمة بصنعاء في أيَّامه سنـة اثنتي عشرة ومئتين ، وكان إسحاق قد استخلف على صنعاء وعلى عمله ابنه يعقوب فحاربه [الجنـد][4] وأهل صنعاء ، وسار إلى ذمار ، وقَـدِم على صنعـاء من قبل المـأمون عبـد الله بن عبيـد الله بن العباس الهاشمي ، فأقـام بهـا حتى توفي المـأمون سنـة ثمـان عشرة ومئتين ، فلحق عبد الله بالعراق واستخلف عباد بن الغمر الشهابي ، وبـايع النـاس للمعتصم أبو إسحـاق بن الرشيـد ، فـأقر الغمر سنتين ، ثم وَلّى المعتصم صنعـاء ومخـاليفهـا عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي ، فقـدم صنعـاء آخر المحرَّم سنـة إحـدى وعشرين ومئتين ، فـأقـام مُـدّة وحَبس عبـاد بن الغمر الشهـابي وابنـه عنـد يعفر بن عبـد الرحيم الحـوالي ، وعـزل عبـد الرحيم بجعفر بن دينـار مَـوْلى

---

(١) المطبوعة : رسما .

(٢) ساقط من الأصل ، وما أثبتناه في (كنز الأخبار) .

(٣) في الأصل : الرأس ، والإصلاح من المطبوعة و (كنز الأخبار) .

(٤) الجند ساقطة من (كنز الأخبار) .

المعتصم ، فقدم خليفة له يُقَال له منصور بن عبد الرحمن التَّنُوخي في صفر سنة خمس وعشرين ، فضبط البلد ووجّه عماله ، ثم قدم عليه عبد الله بن محمد بن ماهان[1] وقد أُشْرِك مع جعفر في الولاية ، فأقام منصور وقتاً ، ثم عُزل جعفر بأيتاخ[2] التركي مُولى المعتصم ، فأقر منصوراً وعبد الله على عملها ، ومات المعتصم [سنة ست وعشرين ومئتين][3] وَوَلي الواثق فأقرَّ أيتاخ على اليمن ، فوجّه أبا العلاء أحمد بن العلاء العامري فلمَّا وصل صَعْدَة ، أرسَل يعفر الحوالي إلى غُلامه طريف بن ثابت نحو صنعاء في عسكر ، فخرج إليه من فيها من الجنْد مع منصور بن عبد الرحمن الذي كان خليفة لجعفر بن دينار ، فقاتلوا يعفر فهزموه وقتلوا من موالي يعفر ألف رَجُل وأسروا أسارى[4] ضَرَب منصور أعناقهم ، وقدم أبو العلاء صنعاء بعد الوقعة بأيام فأقام بها حتى تُوفي ، واستخلف أخَاه عمر بن العلاء ، فأقام والياً حتى ولى أيتاخ هُرثمة بن البشير مولى المعتصم ، فورد كتاب هُرثمة على منصور بن عبد الرحمن يستخلفه ؛ وقدم هرثمة سنة اثنتين وثلاثين ومئتين ، فأقام أيَّاماً وخرج لمحاربة يعفر بن عبد الرحمن وهو بشبام فحط [المتصل][5] أسفل وادي ضلع[6] ، فأقام محارباً ليعفر وقتاً ، ثم عاد ، وعزل الواثق أيتاخ عن اليمن وولاه جعفر بن دينار مولاهم ، فقدم وحاصر [يعفرا][7] مُدة وعاد إلى صنعاء [ثم خرج ثانية لحرب يعفر ، فأقام حتى بلغه موت الواثق سنة ٢٣٢ هـ وعاد إلى صنعاء][8] فأقام بها سنة وسار نحو العراق ، واستخلف ابنه

(١) في الأصل : هامان .
(٢) يرد اسمه في (كنز الأخبار) إيتياخ - بيائين .
(٣) زيادة من (كنز الأخبار) .
(٤) في المطبوعة : أسرى ، وفي كنز الأخبار (وأسروا مثلهم) .
(٥) هذه اللفظة تفردت بها نسختنا ، ولم نجدها في المطبوعة ، ولا في (كنز الأخبار) .
(٦) ضلع أو ضلاع : إحدى منتزهات صنعاء الغربية بمسافة ٥ ك م .
(٧) ساقط من الأصل ، والزيادة من (كنز الأخبار) .
(٨) ساقط من الأصل ، والزيادة من (كنز الأخبار) .

محمداً وانتهت ولاية الواثق ولم يزل على ولايته من المتوكل حتى قُتل المتوكل واستخلف المستعين سنة سَبْع[١] وأربعين فأقره ، وكان في ولايته تخليطٌ وضَعْفٌ وقتاً[٢]ا.

ثم خلع المستعين وولي المعتز ، وخلع وقُتل وهو على ولايته ، حتى استخلف المعتمد في سنة ثمان وخمسين ومئتين ، وخُلع وأموره كلها بيد أخيه أبي محمد الموفق كما عرف في تاريخ بني العبَّاس ، فوردت كتب إلى أحمد علي بن محمد بن يعفر بولاية اليمن فوجَّه عُمَّاله على المخاليف وفتح حضرموت ، وكانت قد مُنِعت[٣] على من قبله ، ثم إنّه استخلف في سنة اثنتين وستين ومئتين في ذي الحجة على عمله ابنه إبراهيم بن محمد وحج وجُدد له عهده من أبي أحمد الموفق . وفي سنة اثنتين وستين بذي الحجة نزل بصنعاء سيل عظيم وهو السيل الثاني ، وكان معظمه في السرار[٤] وتلف[٥] عالم كثير وأموال جمَّة ، وقيل إن عدّة الدور التي خربت ستة آلاف دار ، وقيل ألف دار ومئتي داراً ، واستمر إبراهيم على ولايته إلى سنة تسعين[٦] ومئتين ، وأمَره جَدُّه يعفر بقتل ولديه محمد وأحمد ابني يعفر ، فَقُتلا بعد المغرب في صومعة[٧] مسجد شبام ، فانتشرت الأمور على يعفر وتفرقت عليه وخالف عليه المفضّل[٨] بن يُونس المُرادي بالجوف ، وولد طريف (غُلامَه) بيحصب ورعين ،

---

(١) في الأصل تسع بتقديم التاء والإصلاح من (كنز الأخبار) .

(٢) كذا في الأصل ، ولم نجد هذه اللفظة في مصدر آخر .

(٣) الكنز (امتنعت) .

(٤) السرار : واد يشق صنعاء نصفين ، يقول الدكتور حسين العمري لعلّه السائلة المعروفة الآن وهي التي تشق صنعاء من الجنوب إلى الشمال ، وشرقها صنعاء القديمة وغربها أحياء النهرين ، وبستان السلطان وبئر العزب (تارخ صنعاء ٦٢٩) .

(٥) هنا بياض قدر نصف سطر في (كنز الأخبار) .

(٦) الكنز : (سَبْعين) بتقديم السين ، ومثله في (المطبوعة) . و (العسجد ٣٤) وهو الصواب .

(٧) الصومعة : المئذنة (معروفة) .

(٨) (الكنز) و (المطبوعة) : الفضل ، وفي (العسجد) الفضل بن نفيس .

والمكرمان ببيحان ومالوا إلى جعفر بن إبراهيم المناخي . فوجّه ابن يعفر إلى المخاليف من حاربهم ، فكانت سِجالاً . وَوَلَّى إبراهيم محمد الدَّعام الجوفين ، ثم تغير عليه الدَّعام ونَصَب له الحروب ، فسارت إليه عساكر إبراهيم [بن محمد بن يعفر][1] ، فالتقوا بورور[2] فهزمَهُم الدَّعام وقتل منهم بَشراً .

وقدم عَهْد ابن أبي جعفر[3] على صنعاء ومخاليفها من ذوي الوزارتين صاعد بن مخلد[4] وزير المعتمد ، فاعتزل إبراهيم بن محمد عن الإمارة ، وولّى أبو يَعفُر ابنه عبد الرحيم ، فأقام بصنعاء مدة ثم عَزَله أبوه حين قَدِم صنعاء سنة ثلاث وسبعين ومئتين ، واستعمل على صنعاء وُلاة كثيرة ، وكان أكثر مقامة بشبام ، ثم إنّه أجمع[4] أهل صنعاء وغيرهم من الأبناء ، والشهابيون على عماله بصنعاء ، فقاتلوهم فَقُتل منهم خَلْقٌ كثير ، ثم طَردوهم ونَهبوا دار أبي يعفر وأحرقوها ، ولم يلبث أبو يعفر بعد ذلك أن قُتل بشبام آخر المحرّم من سنة تسع وسبعين ومئتين ، فقام بالأمر بَعْدَه عبد القاهر بن أبي يعفر أيّاماً حتى قدم من العراق علي بن الحسين المعروف بجفتم[5] في صفر من السنة عاملاً على صنعاء وأعمالها ، فقاتله الدَّعام بمدينة صنعاء فهزمهم جفتم ، فأقام بها إلى سنة اثنتين وثمانين ورجع إلى العراق . وكان من سيرته أنّه لا ينام الليل بل يكون قاعداً ونُوَّاب الدروب بين يديه والعسس تَخْتلف إليه ، ومن له حاجة حتى يُصليّ

---

(١) زيادة من (العسجد) .

(٢) ورور : جبل في أسفل وادي شوابه من بني جبر حاشد من ناحية ذي بين يعرف اليوم بطفار داود (المقحفي ٤٦٣) .

(٣) كذا في (الأصل) و (الكنز) وفي (المطبوعة ٣٥) و (العسجد ٣٤) يعفر .

(٤) من مشاهير الوزراء كان نصرانياً وأسلم علي يد الموفق واستكتبه سنة ٢٦٥ هـ . ولقب بذي الوزارتين توفي مسجوناً سنة ٢٧٦ هـ (الأعلام ١٨٧/٣) .

(٥) المطبوعة : اجتمع .

(٦) ورد في الأصل بجفتم ، بالياء بعد الفاء .

الفجر ، ثم يقعد للنَّاس إلى وقت الغداء فيتغدى مَعَه خاصته ونُوابه ، ثم ينام إلى الظهر فإن أنْتبه عند الأذان ، وإلا جمع الصُبيان يكبِّرون حتى ينتبه ، وكان يقول : في أهل صنعاء خصال سُوءٍ[1] منها أنَّهم يَرْجفون على أنفسهم ، وسائر أهل الأمصار يرجفون لأنفسهم ، ومنها أنَّ حجاماً لو خَدَم السلطان حملوه على رُؤوسهم ، والناس عندنا يعظِّمون العلماء وأهل الخير ، ومنها أن سعاياتهم إلى السلطان بعضهم ببعض ، ومنها إهراقهم ماء سواقيهم على أبوابهم وفي شوارعهم . فلما عاد جفتم نحو العراق سار الدعَّام نحو صنعاء فدخلها ثم هَرَب منها ، ورجع الأمر إلى بني يعفر ومواليهم .

ثم إن أبا العتاهية بن الرَّوية المذحجي استدعى الإمام الأعظم الهادي][2] إلى الحق يحيي بن الحسين بن القاسم عليهم السلام من صعدة إلى صنعاء ، فدخلها في آخر المحرَّم سنة ثمان وثمانين ومئتين ، وذلك في آخر أيَّام المعتضد العباسي ، فَدَعا الهادي إلى نفسه فبايعه الناس وضرب اسمه على الدنانير والدراهم ، وكتب في الضَّرب[3] ، ووجَّه عماله إلى المخاليف فَقَبضوا الأعشار ، وخرج إلى يَحْصب ورعين ونواحيها ، واستخلف على صنعاء أخاه عبد الله بن الحسين[4] ، فأقام أيَّاماً وعاد إلى صنعاء ، ثم خرج منها واستخلف ابن عمِّه علي بن سُليمان على صنعاء ، وكان آل يعفر وآل طريف بعضهم في سجن صنعاء وبعضهم في سِجْن شبام ، فاجتمعت

---

(١) الكنز : شوم .

(٢) ساقط من مخطوطة (الكنز) .

(٣) كذا في (الأصل) وفي (المطبوع ٣٦) و (الكنز) : الطرر . قلت : الطرر : جمع طرة وهي الطغراء علامة ترسم على مناشير السلطان ومسكوكاته ، يدرج فيه اسمه واسم والده مع لقبه وذلك على هيئة مخصومة .

(٤) هو العلاّمة الكبير صاحب كتاب (الناسخ والمنسوخ) ويعرف بصاحب (الزعفرانة) خرج مع أخيه الهادي إلى اليمن (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ١٥) .

همدان وسواها ، وقصدوا الهادي إلى شبام فقاتلوه بها ، وَوَثب من بصنعاء على نائبه ، فأخرجوه وكسروا السِّجن وأخرجوا من به من آل يعفر وآل طريف ، فاستولى عبد القاهر بن أبي الخير[١] بن يعفر على صنعاء ، وخرج الهادي من شبام ، فأقام بريده وبيت زود[٢] شهراً ثم عاد إلى صنعاء في جيش كثير ، وجعل صاحب جيشه أبا العتاهية ، فَلقيته جيوش آل يعفر بالرحبة ، فهزمهم ، ودخل صنعاء وانحازت آل يعفر إلى شبام وتولى الأمر فيهم أسعد بن أبي يعفر وابن عمه عثمان بن أبي الخير ، فأقامت الحرب بينهم سجالاً مُدَّة والنَّاس في ضِيْق من العيش وانقطاع من الطرق ، ثم رجع الهادي إلى صعدة في جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ، فعادت صنعاء إلى آل يعفر ، ودخلها مولاهم إبراهيم بن خلف وصالح أبا العشيرة[٣] بن الرَّوية ، على أن مخاليف مذحج في جميع اليمن إليه .

ولَمّا توفي المعتضد سنة تسع وثمانين ، ووِلّى ولده المكتفي ، ولِيَّ اليمن نجح بن نجاح[٤] فوردت كُتبه عَلَى عثمان بن أبي الخير وأسعد بن يعفر بتَّجديد ولايتهما ، وفي ذلك الوقت اشتد القحط باليمن ومات أكثر الناس جوعاً ، وأكل الناس بعضهم بعضاً ، وخُرِّبت قرى كثيرة . ثم قدم جفتم المرَّة الثانية والياً على اليمن ، فلَمَّا صار بأرتل[٥] قرية من حازة بني شهاب خرج إليه جراح وإبراهيم بن خَلَف كالمسلِّمين عليه والمسَلِّمين الأمر إليه ، فقبضا عليه وصار جيشه

---

(١) في (المطبوعة) : الحسين ، أصلحه من عنده ، وما جاء هنا في (الأصل) و (الكنز) و (العسجد ٣٥) .

(٢) بيت زود قرية من ناحية حارف ، وهي بالغرب من (ربدة) . قلت : وردت في الأصل دون إعجام .

(٣) (الكنز) : العبرة .

(٤) في الأصل لحج بن لحجاج ، وما أوردناه من (المطبوعة) و (العسجد ٣٥) وفي (الكنز) مرعج .

(٥) (المطبوعة) : يازل .

إليهما ، وكان حبسه في قرية ظَهر[١] ، ثم احتال فخرج وصار إلى صنعاء فالتف إليه الجُنْد الذين بها وأصحابه الذين وصلوا معه ، وأسَعَد وعثمان يغدوان إليه في كل يوم يُصبِّحانه[٢] ويسألهما تَسْلِيم الأمر إليه ، فاستنظراه أيَّاماً ، فَجمع أصحابه وكَبَس عليهما ، فأرادا الهرب فَلم يُمَكنهما ، وخرجا من مواليهما ومن التف معهما من أهل صنعاء [فقاتلاه][٣] فَقُتِل في نَفَر من أصحابه ومال الجيش إليهما ، وأكل قوم من أهل صنعاء من لحم جفتم[٤] . ثم إن أسعد وثَب على ابن عمه عُثمان واستبد بالأمر إلى سنة ثلاث وتسعين .

ودخل علي بن الفضل القرمطي صنعاء فانحاز منه إلى بلاد قدوم[٥] ، ونحن نذكر مبدأ[٦] أمره وأمر المنصور صاحب مسور ، وصورة دخولهما إلى اليمن داعيين لعبد الله المهدي . أما المنصور فأصله من الكوفة واسمُه الحسن بن زادان[٧] ، ينسب إلى ولد عقيل بن أبي طالب ، ولا يعرف الطَّالبيون[٨] له نسباً . وأمَّا

---

(١) عبارة (الكنز) (فقبضا عليه وحبساه) .

(٢) كذا في (الأصل) وفي (المطبوعة) سقطت هذه اللفظة ، وفي (الكنز) بدل يصبحانه : أصحابه وكذا في (العسجد ٢٥) .

(٣) زيادة من المطبوعة .

(٤) كأنهم اغتابوه .

(٥) قدوم : أظنها قدم بلاد جنوبي حجة .

(٦) (الكنز) : مبتدأ .

(٧) (الكنز) : دادان .

(٨) عبارة صاحب (الكنز) (ولا يعرف أصحابنا له نسباً) ، قلت : وهو من الطالبيين أعني صاحب (الكنز) فهو إدريس بن علي بن عبد الله بن يحيي بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، قلت : نفى نسبة هذا الدعي إلى أهل البيت من هذا العالم الشريف الحسني الجليل له دلالته القيمة ، حتى لا يلصق بأهل البيت الطاهرين أمثال هذا الرجل الداهية وصاحب البيت أدرى بالذي فيه .

علي بن الفضل فمن أهل اليمن من حمير من ولد ذي جدن ، وكانا جميعاً ينتحلان مذهب الاثني عشريَّة ، فاتفق أن [علي بن][1] الفضل حجَّ وزار قبر الحسين فبكى عنده وترَّحم واستغفر وأظهر الأسف العظيم والحُزن ، [ووالده عبد الله المهدي يومئذ وولده][2] عبيد الله القائم بإفريقية وأول من ملك مِنْهُم ، فتفرَّسَ والد المهدي وكان مُنجماً فلكياً ، فرأى أنه سيكون له شأن ، ثم خاطبه وحادثه فوجده قريب الميل إلى ما يُريد ، فأخذ عليه العُهود وأظهر له مذهبه ، وكان أيضا تفرَّس في المنصور ما تفرَّس في ابن فضل ودعاه فأجابه ، فجمعه وابن الفضل وعرَّفهما بإنكما ستملكان ويكون لَكُما شأن عظيم ، وقال لهما : « الدين يمانٍ والكعبةُ يمانية » ، وكل أمرٍ يكون مبتداه من قِبل اليمن فإنه سَيَكون ثابتاً لثبوت نجم الدين ، فأخرجا إلى اليمن حين آمركما وادْعُوا لي ولولدي يَعْنى عبيداً فيكون له ولذريته عِزّ وسلطان ، فأقاما عِنْده حتى أمرهما بالمسير ، فَسَارا ، فدخلا اليمن بعد قتل محمد بن يعفر واختلاف آل يَعْفُر ، فقصد المنصور عدن لاعة[3] وقد أمَره المهدي بذلك ، وقصد علي بن فضل سَرْو يافع ، فأقام كل واحد منهما في جهة يُظهر الزُهْد والورع والصلاح ، حتى اجتمع[4] أهل المغرب على المنصور وأهل المشرق عَلَى ابن فضل ، فصاروا لا يخالِفُونَهما في أمرٍ لما ظَهَر مِنْ صلاحهما ، [ثم نبتدئ من ها هنا ما كان من ظُهُور المنصور وعَلي بن فضل][5] .

فأول ما فعل المنصور أن [أمر][6] أهل المغارِب بجمع زكواتِهم واسْتعمل عليها الثقات ، فَلَّما اجتمع منهم الكثير ، قال : قد رأيت أن تبنوا موضِعاً منيْعاً

(١) ساقط من الأصل .
(٢) عبارة (الكنز) (وميمون القداح يومئذ وولده عبيد القائم بإفريقية إلخ .
(٣) عدن لاعة : قرية بجنوب بني العوام في بلاد حجة .
(٤) الكنز : أجمع .
(٥) من زيادات المؤلف على (الكنز) .
(٦) ساقط من الأصل والزيادة من (الكنز) .
(٧) الأصل عليه والإصلاح من (الكنز) .

يكون فيه بيت مال المسلمين ؛ فسارعوا إلى قوله وبنوا موضعاً يُقال له : عين[1] محرَّم موضِع بني العِرجي تحت مَسْور ، فلمَّا حَصَّنَه نَقَل إليه كل ما يحتاج إليه ، وَصَار فيه في خمس مئةٌ من وجوه أصحابه بِحَريمهم وأموالهم ، وأنكر النَّاس ذلك واجتمعوا وقَصَدوه . فقال : إنَّما تحصَّنت من السُّلطان . فَلَم يقبلوا قوله ، فقاتلوه فهزمَهُم وقتل مِنْهم بشَراً كثيراً ، فَعظُم شأنه وشَاعَ ذِكْرَه في البلدان ، وبَلَغ المتقدِّم في الأمر من بني يَعْفُر ، فَكتب إلى العشائر حَوْله يحرِّضهم عليه ، فقاتلوه مراراً في كلِّها ينتصِر عليهم ، وعَمِل لِنفسه طبولاً ورايات ، وأظهر مَذْهبه ودَعا إلى المهدي عبد الله ، وقال للناس : ـ ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا رجالي وإنَّما أنا داعي المهدي الذي بشَّر به النبيَّ ﷺ : فانهمك إليه عامة الناس ودخلوا في مذهبه ، ثم سَمَتْ به هِمتّه إلى ارتكاب جبل مَسْوَر ، فأعدَّ له الرجال والعُدَد ، وعامل عشرين رَجُلاً من خمس مئة مُرّ تبين في حِصْن بيت فايش[2] من قبل الحوالي[3] ، فَتَسلَّق[4] الجبل في جموعِهم وفَتَح له أولئك العشرون . فقال : ادخلوها بسلام آمنين . وقال : ـ اخرجوا مِنْها فإنَّا داخلون . وأمَّن مُستحفظ الحِصْن ومن مَعَه ، وكان معه مال الحواليين فلم يعرض له وكان طُلُوعه مَسْور في ثلاثة آلاف رَجُل ، وكانت طُبوله ثلاثون طَبْلاً ، [وإذا ضُرِبَتْ سُمِعَتْ إلى المواضِع البعيدة من المغرب] ، وعَمَر بيت ريب[7] وجَعَله دار الإمارة وحَصَّنَه وحَصَّن سائِر الجبل ودرَّبه[8] من كل ناحية ، وجَعَل له بابين ، ولَمْ تزل عساكِرُه تُغيْر على القبائل

---

(١) في (الأصل) عنبر . والإصلاح من (الكنز) و (العسجد ٣٦) .

(٢) بيت فائش : قرية من ناحية مسور المنتاب (معجم بلدان اليمن للحجري ٦٣١) .

(٣) (الأصل) : الخوارج . والإصلاح من (الكنز) وفي (المطبوعة) أسقط النويري أغلب خبر القرامطة الوارد في كتابنا هذا .

(٤) (الأصل) : فتسلق .

(٦) من زيدات المؤلف على (الكنز) .

(٧) بيت ريب قرية من نواحي مسور وأعمال حجة (الحجري ٢٧٤) .

(٨) درّبه : جعل له درباً ، أي : سوراً .

حَوْله حتى أبادهم ، وأخذ أموالهم ، وملك جميع مخاليف المغرب ، وسار إلى بَلْد بني شاور[١] فاستفتحها ، ثُم خرج إلى ناحية شبام فحارَبْ بني[٢] حَوَّال فكسَروه في عَسْكره وقتلوا من أصحابه جَاعة وانْهزم المنصور ، ثُمَّ عَامَل رجُلاً من مواليهم كان مستحفظاً على حِصْن ضلع ، فأوقع ببني حَوَّال فهزمهم وغَنِمَ جميع ما كان لهم بشبام ، فَنقَله إلى مَسْور ، ثم خَالَف عليه ذلك المولى ، ونَدِم على ما فَعل ، واستَدْعَى العساكر من صنعاء فَكسروهم إلى شبام ، وخَرَج منهزماً إلى مَسْور وتَرَك كُل ما كان له وكَتَب إلى المهدي وَوَلده يخبرهما بما فَتَح من البلاد وبَعثَ بهدايا من طرف اليمن سَنَه تِسْعِين ومئتين .

وأمَّا علي بن الفضل فَلَمَّا تَمَّ له من طاعة يافع ما يُريدَه وكان قد أقام برأس جبل متخلِّياً بزعمه للعبادة ، وكان يُريَهُم أنّه يَصوم النَّهار ويَقُوم اللَّيل ، فأحبُّوه وافتتنوا به وجعلوا أمُورهم بيده ، وسألوه أن يَنْزل من ذلك الجبل ويَسْكن مَعَهُم . فقال : لاأفعل حتى تُعْطوني العُهود على ترك المعاصي وشُرْب الخمر والظُّلم وغَيْره ، وتنكروا على أهل المعاصي ، فأجابوا إلى ذلك . فأمرهم بعمارة حصن في ناحية السَّرو[٣] فَفَعلُوا فأنهبهم أطراف البلد وأراهُم أن ذلك جهاداً للعاصِيْن حتى يدخلوا في دِيْنِ الله طَوعاً أو كرهاً ، وكان يومئذٍ بأبين ولحج رَجُلٌ يُعْرفُ بابن أبي العلاء مالكها ، وجَعفر بن إبراهيم المناخي بيده مِخْلاف جعفر ، وبلد المعافر التي بين[٤] ذبحان وجبا ومخلاف الجند وما يليهما ، فأمر ابن فضل أهله[٥] بالغارة على ابن العلاء ، فكانوا يهزمون جيوشه ويتخطفون أطراف بلاده ، وكان بين

---

(١) بنو شاور : بطن من حاشد ، وبلدة من نواحي حجة (الحجري ٤٤١) .

(٢) في (الأصل) : اليسر ، خطأ ، وفي (العسجد) الشرق ، ووردت مطموسة في (الكنز) و (الإصلاح) من (قرة العيون لابن الديبع ١٨٩/١) .

(٣) (الكنز) : الذي هي .

(٤) (الكنز) : أصحابه .

المنـاخي [وابن][1] أبي العلاء شحنـاء[2] عظيمـة . فكتب المنـاخي إلى ابن فضـل بالموالاة علي بن أبي العلاء ، فأجابه إلى ذلك . وبعث المناخي إليه جيشاً وتعاقـدا على أنّ ما يفتتحان من بلدٍ بينهما نصفين .

فخرج ابن فَضْل لِحَرْب بن أبي العلاء بقبائل يافع وعَسْكر المناخي ، فهزمهم ابن أبي العلاء وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ولمَّا صار ابن فَضْل بصهيب[3] مُنْهزماً قـال لأصحابه : إنِّي أرى رأياً صائباً ، إن القوم قد أمنوا منَّا وأرى أن نَهْجم عليهم فإنّـا نَظْفَر بهم . وسَـارَ[4] بهم فلم يَشْعر ابن أبي العـلاء إلاّ وهـو معــه بخنفر[5] ، فقتلهم وعسكرهم واستباح ما كان لهم وأخذ من خزانـة ابن أبي العلاء تِسْعين بـدْرة[6] ، في كلِّ بِدْرة عشرة آلاف درهم ، وعاد إلى بلد يـافع فعَظُم شـأنـه وشـاع ذِكره . وبَلغ المناخي ، فَنَدم على معاضدته وخَافه على نَفْسه وسألـه قِسْمـة مـا أخـذ مِنْ خنفر ، فَجَمع ابن فضل القبائل والعساكر ، وقال[7] : هذا رسولُ جَعْفر لِقِسْمـة مـا حَصَلَ وقد أحضَرتُكُم فاشهدوا على تسليمه وأحضَر المال وسَلَّم إلى السفير[8] نِصْفَـه ، فَلَمَّـا كان اللَّيـل طَلَب السَّفير واستعـاد منـه الـذي سَلَّمـه إليــه ، وقــال : انصرف من ساعتك وقُل لصاحبك يستعد لحربي ، وكتب معه إلى المنـاخي مـامعنـاه « بلغني ماأنت عليه من ظُلْم المسلمين وأخـذ أموالهم بغير حقّ ، وإنَّما قُمت لإزالـة البـاطل

---

(١) ساقط من الأصل ، وأضفناه من (الكنز) .

(٢) في (الأصل) : جيوشاً ، وأصلحنا ، من (الكنز) .

(٣) صهيب : بلد في الجنوب الشرقي من الضالع .

(٤) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) : وساعدوه .

(٥) خنفر : مدينة خربة وسط أبين .

(٦) البدرة : صرة من المال .

(٧) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) : (فأحضروا رسول المناخي وقال هـذا إلخ ...) قلت : لعله سقط من الأصل .

(٨) (الكنز) : الثقة .

وإقامة الحقّ ، وادفع لأهل دلال[١] ديةَ ماقطعت من أيديهم[٢] . وكان جعفر قد قطع منهم على حجر بالمذيخرة ثلاث مئة يد ، فبقي أثر الدّم [زماناً طويلاً][٣] على تلك الحجر .

ثُمّ إن ابن فضل جمع جموعه وسار نحو المعافِر في العام القابل ، فجمع جعفر المناخي نحو ألف فارس وسار نحوه وقد أمر بلزم نقيل البردان[٤] الذي تحت التعكر[٥] ، فهزم ابن فضل ، فعاد إلى يافع وجَمع جموعه وسار نحو المناخي إلى المذيخرة وهي مستقر مُلكه ، فانهزم منه إلى تهامة ، واستولى ابن فضل على المذيخرة ، واستَمد جعفر بصاحب تهامة فأمدّه بجيش عظيم ، فلمّا قارب ابن فضل كبسه[٦] في اللّيل فقتل جعفراً واستباح عسكره ، واستولى على بلده ، ثم قصدَ إلى يحصب فَدخل منكث[٧] ، فأخربها ، فلمّا صار بذمار وجد الحوالي بهرّان جيشاً عظيماً ، فاستمال الحوالي[٨] بهرّان[٩] ، ودخل إلى مِلّته ، ثم قَصد صنعاء فانهزم منه أسعد بن أبي يعفر الحوالي كما قدّمنا . فلمّا صار ابن فضل هُناك[١٠] أظهر دينه الخبيث ومذهبه القبيح وارتكب محظورات الشرع ، وادّعى النّبوة ، وكان يؤذّن

---

(١) دِلال : من قرى عنس وأعمال ذمار .

(٢) (الكنز) : أموالهم .

(٣) من زيادة المؤلف على (الكنز) .

(٤) في (العسجد ٣٩) و (الكنز) : الثروات ، وضبط موضعه كما هو هنا .

(٥) في (الكنز) : الدعكر ، وهو جبل يقع في مخلاف جعفر يطلّ على وادي ظبا من الجنوب ومخلاف الجند فصبر .

(٦) (الكنز) : السؤال .

(٧) منكث : قرية في حقل يحصب من بلاد يريم .

(٨) (الكنز) : السؤال .

(٩) هرّان : حصن معروف في مدينة ذمار .

(١٠) (الكنز) : بصنعاء .

في مخطته نشهد أنَّ علي بن فضل رسول الله . وفي ذلك يقول الشاعر من أهل الوقت[1] الأبيات المشهورة :

خُذي الدّف ياهذه واضربي	وغني هزاريك ثم أطرب
تَولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
لكلّ نبي مضى شرعة	وهذي شريعة هذا النبيّ
فقد حطّ عنّا فروض الصّلاة	وحطّ الصِّيام ولم يتعب
إذا النَّاس صلُّوا فلاتنهضي	وإن صوَّموا فَكلي واشربي
ولاتطلبي السَّعي عند الصفا	ولازورة القبر في يثرب
ولاتمنعي نفسك المعرسين	من الأقربين ومن أجنبي
فمن أين حُلِّلت للأبعدين	وصِرْت محرَّمةً للأب
أليس الغراس لمن ربَّه	وأسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء	حلالا فقُدِّست من مذهب
أحلَّ البنات مع الأمهات	ومن فضله زاد حَلّ الصبي

ثم التقى ابن فضل والمنصور صاحب مسور إلى شبام ، فأقاما أيَّاماً وابن فضل يُكبر المنصور ويقول : إنَّما أنا سيفٌ من سيوفك والمنصور يخافه ويهابه لِما يَرى من شهامته ، وعَزم ابن فضل على نزول تهامةً ، فَنهاه المنصور وقال : الصَّوابُ التأنِّي وتقف بصنعاء سنة وأنا بشبام سنة حتى نُصلح أمور مااستفتحناه . فلم يقبل منه ، وجمع ثلاثين ألفاً مابين فارس وراجل ، وسَار على طريق اللحب[2] حتى إذا توسَّط البلاد ومضايقها ، ثاروا به ولزموا عليه الطريق ، فلم يقدر على التخلّص ، وبَلَغ المنصور ، فجمع جموعه وسار نحوه

(١) (الكنز) : شاعره فقط .

(٢) في (الأصل) الحب . والإصلاح من (الكنز) ، واللحب من بلد الشرف من نواحي حجة .

فاستنقذه وعاد إلى صنعاء ، فرَتب بها وسار إلى حراز[١] وملحان[٢] ونزل المهجم[٣] فقتل صاحبها وأخذ الكدرى ، وسار إلى زبيد فهجم على من بها فقتلهم واستباحهم وسَبى من زبيد أربعة آلاف عذراء ، [وصاحب زبيد إذ ذاك قيس[٤] بن زياد][٥] ، ثم خرج منها ، فلمَّا صار بموضع يُسمّى الملاحيظ جمع جنده وقال : إن هؤلاء النّسوان يشغلنكم عن الجهاد ، ونساء الخصيب فتنة فاذبحوا ما في أيديكم منها . قال صاحب التاريخ[٦] : فذبح أربعة الآف عذراء في ساعة واحدة ، ثم سمَّى الملاحيظ : المشاحِيْط ، ورجع إلى المذيخرة ، وقد جعلها دار ملكه ، وأمر بقطع الحج . واستدعى أهل صنعاء الهادي ، فدخل صنعاء ونفى عنها القرامطة وجهزَّ ابنه أبا القاسم المرتضى إلى ذمار ومخاليفها ، واستعمل العمال . ثم تعاظم أمر القرامطة وجمعوا جموعهم وقصدوا لابن الهادي ، فلحق بأبيه بصنعاء وذلك في سنة أربع وتسعين .

ثم إن موالي يعفر [الحسن][٧] بن كبالة وابن جَرَّاح جمعوا جموعهم لحرب الهادي ، ورأى خذلان أهل صنعاء فخرج إلى صعدة ، ودخل أسعد بن يعفر صنعاء ، ثم إن ذا الطوق اليافعي أحَدُ قُواد ابن فضل ، وقَصد ابن الرَّوية إلى ذمار ، فهرب منه إلى رداع ، وجمع عشيرته ، فقصده ذو الطوق فقتله وسار نحو صنعاء ، حتى إذا بلغ قرية مَحيب[٨] بمغارب صنعاء قصده أسعد إلى هنالك فقاتله

---

(١) من مخاليف اليمن الكبرى يقع غرب صنعاء ويضم عدة بلدان .

(٢) بكسر الميم ، بلد يقع شمالي حراز ويشرف على المهجم الآتي .

(٣) من مدن تهامة ، تقع شرق الزيدية على وادي سردد .

(٤) كذا عند المؤلف ، صوابه : إسحاق بن إبراهيم بن زياد كما هو مذكور في (العسجد ٤٠) .

(٥) مابين المعقوفتين زيادة من المؤلف على (الكنز) .

(٦) يعني الشريف إدريس بن علي الحمزي ، السابق ذكره .

(٧) ساقط من الأصل .

(٨) عبارة (الكنز) : « حتى إذا بلغ محيب مغارب صنعاء » . قلت : محيب من قرى بني مطر عزلة بني الراعي .

ذو الطوق صنعاء . فاستدعى أهل صنعاء بالهادي ، فصدر مقدمة عليهم علي بن جعفر العلوي والدَّعام بن إبراهيم ، وسار[1] بعدهم ابنه المرتضى ، فهربت القرامطة من صنعاء وخرج مَعه خلق كثير من أهلها ، فوافى الهادي بوَروَر وانتشرت القرامطة في البلاد ، وعاد الهادي إلى صعدة ، ولم يلبث أن مات سنة ثمان وتسعين ومئتين بعد أن أوقع بالقرامطة سبعين وقعة ، ولمَّا انتشروا في البلاد جَمَعَ آل يعفر مواليهم ومن قدروا عليه وقصدوا من في صنعاء فقتلوا بعضهم وانهزم الباقون إلى ضهر [فساروا بعدهم][2] فنفوهم وقتلوا من قدروا عليهم ، وعاد أسعد إلى صنعاء .

فلمَّا كان سنة تسع وتسعين قَصَد علي بن الفضل نحو صنعاء فهرب منه أسعد ورتَّب فيها علي بن الفضل ، وخرج لحرب المنصور صاحب مسور ، وقد اختلفا حين استبد[3] علي بن الفضل بالدعوة ولم يذكر المهدي عبيد الله[4] وابنه ، وذكّره المنصور حقوقهما ، وإنما هما نعمةٌ من نعمهم فلم يلتفت إليه[5] وحصره ابن فضل ببيت دحان أشهراً ، ثم انصرف عنه ابن الفضل [في رمضان][6] من السنة ، فأقام بصنعاء أيَّاماً ، وكان ابن أبي يعفر ومولاهم الحسن بن كبالة بذمار ، فَلمَّا توجَّه ابن الفضل نحو المذيخرة وثب أسعد على ابن كبالة فقتله ، وصَالَح ابن فضل ، فَولاه صنعاء وخَطَب له ، ولَبس الثياب البيض وقَطَع ذكر بني العبَّاس ، وتراجَع أهل صنعاء إليها ، وأمن الناس وتوفي ابن فضل الخبيث بالمذيخرة سنة ثلاث وثلاث مئة ، احتال عليه طبيب وقد احتاج إلى الفصاد ، فلمَّا حَضَر بين يديه جرَّده من

---

(١) (الكنز) : وسَيَّر .

(٢) زيادة من (الكنز) .

(٣) في الأصل استدعا الفضل ، والإصلاح من (الكنز) .

(٤) في (كنز الأخبار) : برد بالقداح .

(٥) في (الأصل) : يلتفوا إليهم ، والإصلاح من (الكنز) .

(٦) ساقط من الأصل ، والزيادة من (الكنز) .

ثيابه وغسل المفصد وهو ينظر ، وقد جعل الطبيب السمَّ في شعر رأسه ، فلمَّا غَسَل مفصده مَسَحهُ برأسِه كالمجفف له فعلق فيه وقتل الملعون وكفى الله شرَّه . فاجتمعت له رؤساء اليمن مع الحوالي وقصدوا مذيخرة وحصرها سنة ورماها بالمجانيق حتى تسلَّمها وسَبى منها بنات علي بن فضل ففرَّقها في رؤساء العرب[(١)] .

وقام الناصر أحمد الهادي بعد موت أبيه واعتزال أخيه فاستولى على أكثر اليمن الأعلى ، وقدم عدن في ثمانين ألفاً فيها أربعون ألف قوس ، ومات سنة اثنتين وعشرين[(٢)] وثلاث مئة ، ولم يزل أسعد بن أبي يعفر الحاكم على صنعاء ومخاليفها إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة ، ومات بحصن كحلان فأقام به مدة ، ثم حمل في تابوته إلى شاهرة[(٣)] وهي الحضرة التي أوقفها على الجامع بصنعاء ، فبلغ[(٤)] ودفن هنالك ولم تزل صنعاء بيد بني يعفر ومواليهم مع كثرة اختلافهم وقيام من قام عليهم بسبب ذلك إلى سنة أربع وأربعين وثلاث مئة .

ووصل المختار بن الناصر بن الهادي إلى ريدة ، فخرج من صنعاء من بني الضحاك ، فولاّها المختار أبا القاسم بن يحيى بن خلف ، ولم يلبث الضحاك أن غدر بالمختار وأصحابه ، وحبسه في قصر ريدة في صفر سنة خمس وأربعين . فأقام بالحبس إلى شوال من السنة وقتله ، وكان علي بن وردان[(٥)] من موالي آل يعفر قد غلب على صنعاء ، وثار الأسمر يوسف بن أبي الفتوح فقامت معه قومه خولان ، واحتل بلدة مَسْور المشرق ، وإلى الآن ينسب مسور إليهم ، فعارض بني يعفر وبني الضحاك وموالي آل يعفر فقصدوه وهو بخدار[(٦)] ، فهزموهم ، وقتَلَ من

(١) في (الكنز) : الناس .

(٢) من هنا يبتدء النقص في مخطوطتنا فاستكملناه من كتاب (كنز الأخبار) .

(٣) شاهرة : من ضلاع غربي صنعاء .

(٤) كذا في (الكنز) .

(٥) في الكنز فردان .

(٦) (العسجد) : حراز خطأ .

همدان خلقاً كثيراً ، ومات ابن وردان سنة خمسين وثلاث مئة ، وقد استخلف أخاه سابوراً ، فقام بالأمر ، وصار الضحاك معه كما صار مع أخيه ، فقصدوا[1] ابن أبي الفتوح إلى بلد خولان فلم يظفروا منه بشيء ، فعاد الضحاك إلى صنعاء وسار سابور يريد ذحار ، فلحقه الأسمر فقتله بنقيل يكلى[2] سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة ، فكاتب الضحاك أبا الحبيش بن زياد صاحب زبيد وخطب له بصنعاء في شوال سنة اثنتين وخمسين [وثلاث مئة] ، ولما تعطلت المخاليف من يحصب ورعين ، وظهر أمر السفهاء أجمع الوجوه إلى الأسمر يوسف بن أبي الفتوح ، وسألوه أن يكاتب الأمير عبد الله بن قحطان بن أبي يعفر وهو يومئذٍ بشبام أن يقوم بالأمر ، فخرج الأمير عبد الله إلى السِّر فأقام به مع ابن أبي الفتوح أياماً ، ثم سار نحو كحلان فأقام به مدة فرجع إلى صنعاء فدخلها سنة ثلاث وخمسين [وثلاث مئة] وانهزم الضحاك منها ، ولم يلبث ابن قحطان أن خرج من صنعاء فعادها الضحاك وأعاد الخطبة إلى ابن زياد ولم يستقم له أمر ، وعاد أمر البلاد إلى ابن قحطان فأقام يتردد من شبام إلى كحلان إلى سنة تسع وسبعين وثلاث مئة ، وتجهز لنزول زبيد فلقيه صاحبها ابن زياد إلى حجرة حراز[3] ، فاقتتلوا فكانت الدائرة على ابن زياد ، وقتل من عسكره خلقٌ كثيرٌ ، ودخل ابن قحطان زبيد في ربيع من السنة ، فنهب دور بني زياد ، ونهب العسكر زبيد أقبح نهب ، وأقام بها ست أيام ، وعاد نحو كحلان ، وخطب للعزيز صاحب مصر ، وقطع ذكر بني العباس ، ثم قصد ابن قحطان مخلاف جعفر[4] فملكه واستولى عليه في سنة ثمانين وثلاث مئة ، وأقام بإب ، فاضطرب عليه أهل

---

(١) السلوك خمس وأربعين .

(٢) نقيل يكلى : من ناحية الحدا .

(٣) السر : وادٍ من ناحية بني حشيش .

(٤) حجرة حراز : لعلها المعروفة بحجرة ابن مهدي من حراز .

(٥) من هنا تنقطع النسخة التي بحوزتنا من (كنز الأخبار) وقد سقطت أوراق أثناء التصوير .

الخلاف[1] ، فأمر بعمارة المنظر ، وتحول إليه من إب ، وجعل أمر ألهان إلى أسعد بن أبي الفتوح [فأعانه على من أراد مناوأته من أمراء العرب][2] وتوفي عبد الله بن قحطان سنة سبع وثمانين وثلاث مئة ، فقام بالأمر بعده ولده أسعد بن عبد الله ، وكان ظهور الإمام يوسف بن يحي بن الناصر بن الهادي في سنة ثمان وستين وثلاث مئة ، وكانت له حروب مع ابن أبي الفتوح وابن الضحاك وغيرهما ، ودخل صنعاء ثم فارقها وكان يحارب ابن أبي الفتوح مرة ويصالحه أخرى ، ولم يزل أمر صنعاء في غاية الاضطراب إلى سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة تارة يغلب عليه الإمام وابن أبي الفتوح ، وتارة الضحاك ، وتارة حاشد ، والعرب من همدان وحمير وخولان وبني شهاب مفترقة على هؤلاء ، فمن كثر جمعه غلب عليها ، ولم يكن الإمام يوسف هذا من الأئمة السابقين[2] عند أهل البيت ، ولا يعدونه من الأئمة القائمين بأمر الله تعالى .

فلما كان في سنة تسع وثمانين وثلاث مئة ، وصل الإمام المنصور القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن الحسن ، وهو أحد أئمة الزيدية ، وكان فاضلاً فيهم مصنفاً ، وكان مقامه قبل ذلك ترح من بلد خثعم ، ثم أقام بتبالة [واستخرج الغيل القديم الذي كان بها] ووصل إلى صعدة وملكها ، وسار إلى نجران [ثم عاد نحو تبالة وترح فخالف عليه أهل صعدة ، فجمع لهم همدان ، فأخرب دورها وطرد منها الإمام يوسف بن يحي بن الناصر وولاها ابنه جعفر بن القاسم ، فأقام بعيان ووصل إلى ريدة فأطاعه جعفر بن الضحاك وكافة أهل البون وبايعوه] فأرسل إلى صنعاء من قبله شريفاً يعرف بالقاسم بن الحسين بن الزيدي [من ولد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام] فتصرف في صنعاء بأحكام الإمامية [وعاد الإمام إلى عيان واستخرج غيل مدان] وخالف

(١) من هنا يكون نقلنا من (العسجد المسبوك) و (مطبوعة بهجة الزمن) .
(٢) ساقط من (بهجة الزمن) .

عليه أهل نجران فجمع لهم جمعاً عظيماً وسير إليه ابن أبي الفتوح ابن عمه الموفق بن يوسف ، وسارت إليه حاشد وبكيل أبناء همدان ، والزيدي في أهل صنعاء ، وسار نحو نجران في جموعه فهدم بها عدة حصون وأسر منهم جماعة كثيرة ، ورجع إلى عيان ، ورجع الزيدي إلى صنعاء .

ثم إن الإمام القاسم بن علي أمر الشريف الزيدي بالخروج إلى بلاد عنس وذمار فملكها ، فصارت كلها في طاعة الإمام القاسم بن علي ، فلما سار الزيدي إلى ذمار ، أقام بها واستعمل الإمام على صنعاء ولاةً يوليهم واحداً بعد واحد ، ثم وصل الإمام إلى ريدة ، فسأل الناس النصرة على أهل نجران ، وكانوا قد رجعوا عن طاعته وأفسدوا عليه ، فأجابه الناس إلى ماطلب ، وكتب الشريف الزيدي إلى الأمير أسعد بن عبد الله بن قحطان يرغبه في طاعة الإمام ، فأجابه ، فخطب له بكحلان وأمده في حركة في نجران بمال جزيل وخيل ، وخلع وخطب لأسعد مع الإمام بصنعاء ، وسار بجموعه نحو نجران ، فدخل عليهم درب الفخر قهراً ، وقتل منهم قتلاً ذريعاً ، ثم غدروه باسم الصلح ، فتأخر عنهم فأحكموا مافسد من دربهم ، ثم عاودهم فلم يظفر منهم بشيء ، فعاد الإمام إلى عيان .

ثم فسد مابين الزيدي وابن أبي الفتوح حتى دخل الزيدي ألهان فأخذ حصن أشيح وكان إلى ابن أبي الفتوح ، وأخذ له خيلاً وجمالاً ، وكتب إلى نائب الإمام بصنعاء يلقاه ، فالتقيا بها وهدم دور ابن أبي الفتوح ، وسار الزيدي إلى صنعاء في عسكر عظيم ، فأقام أياماً ثم عاد إلى ذمار ، وكان الإمام بورور ، فسارت إليه همدان ، وسألوه النفقات ، فكتب إلى عامله بصنعاء فلم يجدوا عنده ما يقوم بكفايتهم ، فساروا إلى ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد فحلفوا لهما ودخلوا بها ، وخرج ولاة الإمام منها وذلك في سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة ، ولما علم الشريف الزيدي بذلك سار من ذمار في جموعه حتى وصل بئر الخولاني فقطع ما كان بها من أعناب لبني أبي الفتوح ، وسار إلى نعظ فأخربها ، فخرج ابن حاشد

من صنعاء ، وعاد ابن أبي الصباح نائب الإمام ، وكانت الأبناء قد أسلمت أسعد ابن أبي الفتوح وتأخرت عن نصرته ، فلما رأى ذلك طرح نفسه على رؤساء القبائل وعلى الشريف الزيدي ، وقبله على أن يكون مخلاف خولان من تحت يد الزيدي ، وحمل أسعد بن أبي الفتوح إلى الشريف الزيدي خمس وسبعين ألف درهم ، ودخل الشريف الزيدي صنعاء ، ثم تجهز للقاء الإمام القاسم بن علي فلقيه ، ودخل الإمام صنعاء فأقام بها أياماً ثم رجع الإمام إلى ورور ، ورجع الشريف الزيدي إلى ذمار ، واستعمل الإمام على صنعاء رجلاً يقال له هلال بن جعفر العلوي .

وفي هذه السنة ارتفع سعر الطعام بصنعاء ارتفاعاً عظيماً ، ووصل جعفر بن الإمام إلى صنعاء ، والتقى بابن أبي الفتوح ورد عليه جميع مخلافه ولحق الناس من جعفر شدة عظيمة ، ثم تقدم الإمام إلى صنعاء ، ووصله بابن أبي الفتوح وتغير الإمام على الشريف الزيدي فخالف عليه ، وأقام حتى جاء الإمام من صنعاء ، وقد استخلف عليها ابنه جعفراً ، فقصده الزيدي إلى صنعاء ، فأسره وأسر جماعة من إخوته ، وسيرهم إلى بيت محمد وحارب ابن أبي الفتوح ، فانحاز إلى حصن المقطوع ، فأخرب قرية نعظ .

ثم إن الإمام أرسل له الشريف الزيدي فاستطاب نفسه فأطلق أولادهم وحملهم ، وسار فلقي الإمام إلى ريدة ، فأقام عنده أياماً ، وتعامل على أحوال لم تظهر لأحد ، وكتب له الإمام ولاية من عجيب إلى عدن ، وأشهد له بذلك ، وكان ذلك في شهر محرم من سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة ، فعاد الزيدي إلى صنعاء فولاها هلال بن جعفر ، وسار نحو ألهان ، فبلغه الخبر بموت الأمير أسعد بن عبد الله بن قحطان بن أبي يعفر بكحلان ، وولاية أحمد بن أبي يعفر بعده ، وطاعة حمير له ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة ، ثم إن الإمام القاسم دخل صنعاء وكتب إلى الإمام الأول يوسف بن يحيي .

[1]وإلى الزيدي ، فوصل الزيدي إلى صنعاء ، وكتب إلى الإمام يوسُف بن يحيي بالوصول ، فَسَار نحوه فالتقيا في مشرق همدان وتَحالفا ، وأقام يوسف بريدة ، ورجع الزَّيدي إلى صنعاء فخطب ليوسف وقطع اسم الإمام ، ووصل يوسف إلى صنعاء في المحرَّم سنة ثلاث وتسعين ، ثم خرج مع الزَّيدي إلى مشرق خولان ، فحاربا ابن أبي الفتوح ، وعاد يوسف وبَقِي الزيدي في المشرق شهران ، ثم عاد إلى صنعاء ، وسار منها إلى ألهان ، ونفى جماعة من بني أبي الفتوح وأسر منهم رجُلاً وعاد إلى ذمار . وخرج الإمام يُوسف من صنعاء فبقيت بغير سلطان ، وأتى الخبر بوفاة الإمام القاسم بن علي بعيان سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة ، فوصل ابن أبي حاشد إلى صنعاء وخطب للزَّيدي ثم تغيَّرت عليه الأحوال فخرج منها[2] بغير سلطان ، حتى اصطلح[3] ابن أبي حاشد وابن عمه أبو جعفر ، فسارت إليه همدان فدخل صنعاء سنة خمس وتسعين ، وصالحَ ابن أبي الفتوح ، واستقامت أحواله .

فلما كان نصف رجب سنة ست وتسعين [وثلاث مئة] ليلة النصف طلع نجم من المشرق مثل الزهرة أربع[4] مرَّات بعد غروب الشَّمس بنصف ساعة ولم يكن مدوراً بل هُو إلى الطول أقرب ، وفي أطرافه شُعبٌ مثل الأصابع له حركة عظيمة كأنه في ماء يضطرب ، وله شعاع كشعاع الشمس ، وكان طلوعه في برج الميزان من العقرب ودام كذلك .

---

(١) من هنا ينتهي النقص من المخطوطة ، وكان الناقص منها قدر ورقة كاملة سقطت أثناء التجليد ، والله أعلم . وقد لاقينا مشقة كبيرة في استكمال هذا النقص والتلفيق بين رواية المؤلف وغيرها من الموجود عند الخزرجي .

(٢) عبارة (العسجد ٥٠) : (ثم تغيرت عليه الأحوال ، فخرج من صنعاء وتركها بغير سلطان) .

(٣) (الأصل) : أصلح ، والإصلاح من (العسجد ٥٠) .

(٤) (العسجد ٥٠) : ارتفع .

فلمّـا كان ليلـة النصف من رمضــان نقص نـوره ثم اضمحـل ، وتجهـز ابن أبي الفتـوح بجيش عظيم يُريـد ألهـان ، فلمّـا صـار ببعض الطريـق وثب عليـه بعض خدمه فقتله ، وذلك في ذي القعدة من السنة ، فأعيـد إلى نعـظ فقبر بهـا ، فقـام بالأمر بعده ولده المنصور وحلفت له خولان ، واستقامت أموره ، وكانت صنعـاء بغير سلطان إلى المحرّم سنة سبع وتسعين ، ودخلها أسعـد بن أحمـد الضحـاك[1] إلى سنة ثمان وتسعين ، وقدمها الزيدي ومعه الإمام يوسف بن يحيي فأقامـا نحو نصف شهر ، ولم يتم لهما أمر فخرج الإمام نحو مـدر[2] ، ورجع الزيـدي وأقـامت الفتنـة على صنعـاء بين همـدان وخـولان وحمير والأبنـاء وبني شهــاب في كل شهر أمير ، وعليهم رئيس وفي أكثر أوقاتها خالية من السُّلطان ، والغـالب عليهـا آل الضحـاك إلى سنة أربع مئة ، وسار جماعـة من همـدان وبني شهـاب إلى الزيـدي إلى ذمـار ، فسار معهم إلى صنعاء فدخلها في القعـدة من السنـة ، فلمـا كان في شهر صفر سنـة إحدى وأربع مئة وصل الحسين بن القاسم بن علي إلى قاعة[3] ، وادّعى أنه المهـدي الذي بشَّر به النبي ﷺ فأجابته حِمْير وهمدان وسائر[4] أهل المغارب ، وتخلوا عن الزيدي ، فوصل [الزيدي][5] إلى صنعاء اليمن وقد كان خرج إلى مغاربها ، فأمر ابنه محمد بن القاسم الزيدي أن يَدْعوا لنفسه إلى الإمامة ، فوصل كتـابـه إلى ذمـار بالدعوة ، فبلغت الحسين [بن القـاسم][6] فـأجـابهـا بنقضهـا ، وخرج الزَّيـدي ، فأقام ببيت بوس[7] وقد حصَّنه ، وابنه[8] أقام بصنعاء فحصَّن دروبها .

---

(١) (العسجد) : أحمد بن سعيد .

(٢) مدر : بلدة من أرحب شمالي صنعاء .

(٣) قاعة : من ناحية العشة ـ قضاء خمر .

(٤) (الأصل) : وسار والإصلاح من (العسجد ٥١) .

(٥) زيادة من (العسجد) يقتضيها النص .

(٦) زيادة ليستقيم المعنى .

(٧) بيت بوس : قرية من ناحية البستان قرب صنعاء .

(٨) مطموسة في الأصل فأوردناها من العسجد ٥١

ثم بدأ للزَّيدي فأخرج من في حَبْس صنعاء وأنهب أهرا[١] الطعام بها وعاد إلى ذمار ، فتعطَّلت صنعاء من السلطنة إلى سنة اثنتين وأربع مئة ، ووصلها الضحّاك بن أبي جعفر بن الضحّاك ، فأقام بها مدَّة ووصلها رجل يُدعى أبا النجم رسولاً للإمام الحسين في جماعةٍ من أصحابه يطالب الناس بالزكاة ، ولم ينكر عليهم ابن الضحاك ووصل الحسين صنعاء آخر سنة اثنتين ، فطالب أناساً من أهل صنعاء بخمس[٢] عبيدهم وخيلهم وجعل أخاه جعفراً والياً على صنعاء وَضَرب سكة باسم الحسين ، ولم يستقم لجعفر بصنعاء كُل الأمر ، وحاربه أهلها وسطها ، فأغار عليه أخوه الإمام ، فَهدم دور صنعاء ، واستَصْفى أموالهم وعاد وترك أخاه . فكاتب أهل صنعاء الزَّيدي فَقَدم سنة ثلاث وأربع مئة ، فخرج جعفر من صنعاء ، فلما صار بها الزيدي أمر بهدم دُور جماعة من شيعة الحسين ، واجتمع معه بصنعاء عسكر عظيم ، وبَلغ الحسين فَجمع عساكره وأكثرهم همدان وحِمْير ، وقصده ، فَالتقوا عند الجُبوب[٣] فاقتتلوا ساعةً من النهار ، وانهزم الزَّيدي طريق الفج[٤] ، ودخل الحسين بعسكره صنعاء وركب في أفراس فأدرك الزيدي فقتله في الحقل حقل صنعاء ، ورجع الإمام إلى ريدةً وترك أخاه جعفراً بصنعاء ، ولما بَلغ ابن الزيدي قتل أبيه نهض في جمع مذحج ، فَوصل ألهان وبها ابن أبي الفتوح من جهة الإمام ، فَهزم ابن الزَّيدي وقتل من عسكره ونُهب وأخذت راياته ، فبعث بها إلى الإمام ، ونزل ابن مروان مستمداً بابن زياد إلى تهامة ، فأمدّه بأموال جليلة ، فوصل ألهان وجاءه[٤] ابن الزَّيدي في عبس[٥]

(١) الأهرا غير مهموز مخازن الطعام تحت الأرض .

(٢) الخمس هو حصة السلطان أو الدولة من الغنائم الحربية ونحوها .

(٣) في (الأصل) دون إعجام ، والجبوب موضع بالشرق من صنعاء أسفل جبل نقم .

(٤) أظنه فج عطان ، قرية أسفل جبل يناع شمالي حدة .

(٥) الأصل : وأخاه ، والإصلاح من (العسجد / ٥١) .

(٦) عبس : اسم لمواضع عدّة فتنظر .

فكادوا أنْ يستولوا على ابن أبي الفتوح فاستمد بالإمام فسار إليه في جيوش عظيمة ، فلَمّا قاربه انفضَّ من مَعَه وهرَب هو وابن الزيدي خفيةً ، فاستولى الإمام على ما كان لهما وعلى مئتي فرس لعبس .

وقد كان أهل البون[١] خالفوا عليه عند مسيره إلى ألهان ، فلَمّا عاد فَعَل معهم ما لا يُفعل ، ولزم مشايخهم وصَلَبهم منكّسين ، ووهَبَ خيلهم وسِلاحهم للشيعة ، وألزم جماعتهم الجزية وقبضها[٢] منهم ، وسار إلى صَعْدة في حزب[٣] عظيم فخرّب دَرْبَها وولاّها أخاه جعفراً ، وعاد الحسين صنعاء وقد خالف عليه المنصور بن أبي الفتوح ، وخالف بخلافة بنو شهاب وبنو صريم ووادعة ، ونزل بنو صريم حمدة[٤] فنهبوا دار الإمام[٥] ، وأخرجوا المحبسين من أهل البون ، وتراسَل ابن أبي الفتوح ابن زياد صاحب تهامة فأمدّه بمال ، وخرجت الشيعة من صنعاء بعد أن نُهبت دورهم ، وجمع الإمام عسكره ، فقاتلوه عند ريدة ، وهزموه إلى حمدة ، وقُتِل من عسكره قوم كثير وحطّوا عليه بحمدة[٦] ، فخرج مختفياً طريق بلد الصَّيد فنهبوا جنده ، وأعاد النّاس أبا جعفر بن قيس بن الضحّاك على إمارة صنعاء ، فأقام بها إلى المحرَّم سنة [أربع وأربع مئة][٧] وعَلِم بجمع الإمام لِعساكره فخرج من صنعاء مُختفياً مُنْهزماً ، وقَدْ كان اجتمعت إليه القبائل المخالفة على الإمام ، فاضْطربوا ثُمّ تقوَّت[٨] قُلوبهم وصاروا إلى الإمام إلى ذيبين فَهزمُوه

(١) العسجد : صنعاء .

(٢) الأصل : وتضامنهم ، والإصلاح من (العسجد) .

(٣) العسجد : جيش .

(٤) حمدة : مدينة من ناحية عيال سريح في الغرب من عمران .

(٥) العسجد : الإمارة .

(٦) من هنا ينتهي السقط من (كنز الأخبار) ، وكان قد سقطت منه ورقتان وذلك أثناء التصوير ، أو أنها سقطت علي ، والله أعلم .

(٧) ساقط من (الأصل) ، والزيادة من (كنز الأخبار) .

(٨) عبارة الكنز : « ثم نفرت قلوبهم وساروا إلى الإمام إلى كحلان » .

إلى الجوف ، ثم عاد إلى بَلَد الصيد[١] في مئة فارس ، فَعَلِمتْ به هَمْدان فالتقوه[٢] إلى عند رَيْدة وقاتلوه فغشيهم بنفسه مراراً في كُلّها يخرق صُفُوفهم فتعاوروا عليه فقتلوه ، وذلك في صَفر سنة أربع وأربع مئة . وفي جَهَلة الشّيعة من يدّعي أنّه حيّ وأنّه المهدي الذي بَشَّر به النبي ﷺ ، وكان على هذا الاعتقاد كثير من الأشراف آل القاسم بن علي ، ثُمّ انْقَرضَ أهل هذا الرأي بَعْد أنْ كانوا بشراً كثيراً في مغارِب مِخْلاف اليمن والأئمة من أهل البيت وعُلماؤهم باليمن .

على أنّ الحسين رَحِمهُ الله خُولط في عَقْلِه في آخر عُمره لأنّه ظَهرَ منهُ أقوال وأفعال تُخالِف الشريعة المطهّرة ، وكان مِنْ أفْصَح خَلْق الله تعالى وأعْلَمهم ، وهُو مع ذلك لم يبلغ الثّلاثين سنة ، ولَمّا قُتل سَار ابن أبي حاشد إلى صنعاء فأقام بها إلى النِّصف من شوّال سَنَة خَمْس ، ووَصلها أبو جعفر أحمد بن قَيْس فأقام بها إلى ربيع سنة سِت وخَرَج مِنها ورَفَع أيدي عُمّاله فَتَعطّلت من السُّلْطنة إلى سنة ثمان ، وراجَعت هَمْدان أبا جَعْفر في الرجوع إلى الأمر فأجابَهُم ، وفي شباط[٣] يوم الحادي عشر مِنْهُ سَنَة عشر وأربع مئة نَزَل باليمن ثَلْج عظيم بَعْد أن أصابهم في مشتاهم برد عظيم جَمَد الماء فيه أيّاماً والخيل تسير عليه ، وفي سنة عشر ثار زيد[٤] بن القاسم مع قوم من بني شهاب بن مروان[٥] فقتلوه بأشيح[٦] ، فسار إليهم ابن أبي الفتوح وأمدّه القائد مرجان[٧] صاحب الكدراء ، وعاضده ابن أبي

---

(١) الصِّيد : بلد من حاشد (معروف) .

(٢) (كنز الأخبار) و (العسجد ٥١) : فلقيوه .

(٣) كذا أرّخ المؤلف بهذا الشهر نقلاً عن أصله (كنز الأخبار) ، وذلك لَمّا كان يؤرخ لحادثة طبيعية ، أورد هذا الشهر وهو من الشهور الفصلية التي تؤرخ بها المواسم .

(٤) (المطبوعة ٤٥) : يزيد ، خطأ .

(٥) كذا في (الأصل) و (المطبوعة ٤٦) وفي (العسجد ٥٢) : فسحبوه ، و (الكنز) : فأسقروه فقتلوه كذا .

(٦) أشيح : حصن في بني سويد من آنس وهو في الشمال الغربي من ضوران .

(٧) من بني نجاح .

حاشد ، ثم إن ابن أبي الفتوح نزل إلى تهامة فالتقاه القائد بالكدراء بأحسن مَلْقى ، وعاد فأقام بألهان ، حتى أخرج زيداً من أشيح وسلّمه لمولاه[1] القائد ، وتحالفت همدان والأبناء على بني شهاب ، وأمرهم القائد بذلك فحاربُوهم مراراً في بيت بوس والحلل[2] ثم اصطلحوا .

ووصل جعفر بن القاسم أخو الحسين من صعدة إلى عيّان فاستدعته همدان وحمير فسار إلى صنعاء ، فدخلها سنة ثلاث عشر وأربع مئة فأقام إلى المحرَّم ، وطلب [الناس][3] المسير معه إلى صعدة ، فسار معه طائفة ، فوصل صعدة فنهبها وأخرب دُوراً وقتل ناساً ، وقد كان ذعفان وابن أبي حاشد[4] خالفا عليه عند مسيره صَعْدة ودخلا صنعاء ، فلَمّا رجع جعفر إلى عيّان سألته همدان العودة إلى صنعاء فكَرِه ، ثم وقع الخلف بين همدان وذعفان وابن أبي حاشد ، فاستدعوا جعفراً بن أبي القاسم فأدخلوه صنعاء في صفر سنة خمس عشر ، فطالب الناس مطالبةً شديدةً وأقام بها مدَّة يُحارب ذعفان وابن الفتوح وهما نصبوه في عسكر جيّد ، ثم اصطلحوا شهرين ، ونزل ذعفان إلى القائد في الكدراء فتلقّاه بأحسن لقاء وأمدّه بأموال جليلة وكتب معه إلى المنتاب صاحب مسور وأمرهم جميعاً بحرب جعفر ، فاجتمعوا عليه فخرج إلى بيت شعيب ، فحصرته همدان وحمير وأعادوا إلى ابن أبي حاشد إمارة صنعاء ، فهجم أهل بيت خولان على محطّة حمير فقتلوا منهم مئة رجل وانهزم عسكر المنتاب وذلك في المحرَّم سنة ست عشر وأربع مئة .

ثم تهادنوا إلى آخر السنة وأقام كل بموضعه ، فلَمّا كانت سنة ثماني عشرة وأربع

---

(١) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) : ولاه .

(٢) في (كنز الأخبار) : المعلك .

(٣) ساقط من الأصل .

(٤) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) : ابن رَيْعان .

مئة ، ظَهَر إنسان بناعظ ، ولَمْ يعرف الناس باسمه وذكر أنه يتسمّى عند ظهور رايته[١] وأنّه من المشرق ، فسار إلى مأرب وبها المؤمن بن أسعد بن أبي الفتوح فتلقّاه أحسن الملتقى ، وأقام عنده وسطَّر[٢] كتبه من عبد الله الإمام المعيد لدين الله الدّاعي إلى طاعة الله الدافع لأعداء الله ، وأنفذها إلى النواحي فبلغ[٣] مُرجان المتولي من الحبشة قيام المؤمن بن أسعد معه فعتب على المنصور بن أسعد ، وأعاد كتبه مختّمة فغَضِبَ المنصور ، وكتب إلى سبأ أن ينهض مع الإمام وأخيه المؤمن ، فساروا إلى مسور ولقيهم المنصور في جيوش عظيمة ، ودخل الإمام صنعاء ، وذلك في رمضان سنة ثماني عشرة ، وخطب له ابن التّقوى[٤] بالإمامة وهو يومئذ على قضاء صنعاء من جهته ، وأنفذ ولايته إلى جميع المخاليف ، وأقام أيّاماً ثم سار إلى خدار[٥] فتلقته عنس وبكيل على بركة ضاف[٦] ، وسار إلى أهل ألهان وصاحب عسكره منصور بن أبي الفتوح ، فأقام بها سبعة أيّام ، وسار إلى ذمار فأقام بها ، فرجع المنصور إلى بَلَده ، ووصلت عساكر القائد إلى ألهان ، فخالف معها[٧] جعفر بن أبي القاسم وذعفان ، وسار الإمام إلى صنعاء فتلقاها وعاد إلى ذمار ، فلَمّا كان بخدار أمر برجم إنسان زانٍ ، ودخل صاحب كحلان في طاعته وذلك في سنة تسع عشرة ، وأمر ببناء حصن هرّان ، ثم طلب من صاحب كُحلان المنصور المسير إلى مخلاف جعفر ، فسار معه إلى إب ، فأجمع عليها أهل المخلاف

---

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (كنز الأخبار) وفيه : أنه سمّي عند ظهور رايته في المشرق .

(٢) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) : وصدَّر ، وهو الصواب .

(٣) (الكنز) : وبلغ القائد مرجان صاحب الحبشة .

(٤) خطيب صنعاء في ذلك الوقت ، انظر (غاية الأماني ٢٤٣) ، وهو أحمد بن عبد السلام التقوي (ابن سمرة ٢٣٥) .

(٥) خدار : ـ بكسر الخاء ـ بلدة تقع على ربوة أمام الصاعد من نقيل يسلح

(٦) ضاف : قرية من قاع جهران .

(٧) (الكنز) : معه .

إلى ابن كرمان[1] صاحب التعكر . فاستدعى عسكر القائد ، فأقاموا متراكزين إلى سنة عشرين ، وعاد كُلّ إلى موضعه ، ثم إنّ ابن أبي الفتوح ، وابن حاشد رجعا إلى طاعة القائد ، فخرج الإمام إلى هرَّان بمكاتبة عنس[2] له ، فتعامَل عليه قوم منهم أبو عبسان[3] ومروان فقتلوه وذلك آخر ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربع مئة ، وفيها اشتد القحط باليمن فخلت بلاد كثيرة من أهلها ومات أكثر الناس ، وفيها كانت فتنة بين الشيعة والسنيّة ، والقحط بحاله إلى سنة اثنتين وعشرين ، وصنعاء خالية من السلطنة إلاّ أن لبني مروان فيها بعض الأمر وولاية ألهان ومقرى[4] إليهم من تحت يد القائد ، ولصاحب مسور حسين بن المنتاب بعض منازعه .

وفي رجب سنة ست وعشرين وأربع مئة ظهر الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن إماماً [ويُسمَّى بالنفس الزكيَّة][5] ومعه ولده حمزة بن أبي هاشم ، وهو الذي ينسب إليه الأشراف الحمزيون ، فقصد صنعاء فهرب منه ابن أبي حاشد ، ووصله المنصور بن أبي الفتوح فبايعه ورَجَع إلى بَلده ، واستقوت الشيعة على السنيّة وعزلوا القاضي وكان سنياً . فأقام أمر أبي هاشم إلى سنة تسع وعشرين فخالفت عليه همدان ، فدخل ابن أبي حاشد صنعاء ، ثم خرج منها فتعطّلت من السلطنة إلى سنة إحدى وثلاثين ، واستدعت همدان جعفر بن القاسم فدخل صنعاء في ربيع من السنة فافترقت [عليه] همدان وعلى ابن أبي حاشد ،

---

(١) الكنز : مكرمان .

(٢) في (الأصل) : عبس بالباء .

(٣) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) : أبو غسان وسقط اسمه من سائر المصادر .

(٤) مقرى : هو الاسم القديم لما يسمى اليوم بمغرب عنس من بلاد ذمار .

(٥) ساقط من (كنز الأخبار) ، وهذه التسمية مشهورة للإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب المقتول في سجن المنصور العباسي سنة ١٤٥ هـ .

والأكثر[1] مع ابن أبي حاشد ، فخرج [جعفر][2] من صنعاء إلى علب[3] فقصدوه فانهزم منها ، وسار ابن أبي الفتوح إلى مخلاف جعفر للقاء ابن الكرندي[4] وعبد الله بن أبي جعفر ، فأقام معهما إلى [أول] ربيع [من سنة اثنتين وثلاثين][5] وعاد فقوي به ابن أبي حاشد ، فَخَرَج[6] ثم فسد الحال بينهما فَهَرَب ابن أبي حاشد من صنعاء ، وجَمع جموعاً وجاءه ابن سلمة الشهابي ، فقصدوا ابن أبي الفتوح إلى السرّ ، فتراكزوا فيه وقُتل ابن عم لابن أبي الفتوح .

واستدعت همدان جعفر بن القاسم إلى صنعاء بأمر ابن أبي حاشد .

ثم انتقل الحرب ، وكان ابن أبي الفتوح بعلب ، وابن أبي حاشد وابن سلمة ببيت بوس ، فأقاموا كذلك مُدّة وجعفر بصنعاء ، تارةً يجبي الأموال وتارة يضعف[7] عن ذلك ، وكره ابن أبي حاشد مقام جعفر بصنعاء فعامل عليه من أخرجه ، فسار إلى ابن أبي الفتوح ، واستدعى ابن أبي حاشد الإمام أبا هاشم فدخل صنعاء ثاني خروج جعفر ، فأقام ثمانية أيّام ، وولى على البلد وخرج إلى ريدة ، وأطرح ابن أبي حاشد على ابن أبي الفتوح بمنزلته في نعظ على محاربته له[8] مع بني سلمة ، فقتله وعادت الفتنة بين ابن أبي الفتوح وبني سَلَمة ، وقد مالاهم بنو الحارث وغيرهم على حربه ، وصنعاء خالية من السلطنة إلى شوال سنة سبع وثلاثين وأربع مئة ، ووصل الإمام أبو الفتح الناصر بن الحسين الديلمي

---

(١) (الكنز) : فمال الأكثر .

(٢) زيادة من (الكنز) .

(٣) قرية في سفح جبل نقم من جنوبيه .

(٤) (الكنز) : الكيديد .

(٥) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز) .

(٦) (الكنز) : وعضده أياماً .

(٧) (الكنز) : يعجز .

(٨) كذا في (الأصل) وعبارة (الكنز) : بمنزلة لا يقوم مع ابن سلمة عليه فقتل وعاد .

مدعياً الإمامة ، وصار في البون مع همدان ، وجمع العساكر لصعدة فنهبها وخرّب بها دوراً ، وقتل من خولان بجز[1] مقتلة عظيمة ، ورجع في ذي القعدة فدخل صنعاء وقد دخل ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد ، فَنَصرَ الشيعةَ على السّنيَّة ، وقبض الزكاة والأخماس ، وتمّ له الأمر ، وأقام بذيبين إلى صفر سنة ثمان وثلاثين ، ووصل ابن أبي الفتوح ، فبنى[2] له في حِصْن عَلَب قصراً بالجصّ والآجر .

وكاتب له المنصور عنساً ، فأقبل من رؤسائهم مئة فارس ، فدخلوا في طاعة الإمام وبايعوه ، فاستدنى[3] له أيضاً الأمير جعفر بن القاسم فجعله أمير الأمراء ، وصرف[4] إليه ربع مايحصل للإمام ، ثم فسد الأمر بينهما ولم يتم وتمالى جعفر وابن أبي حاشد على حرب الإمام ، وخرج من صنعاء فأمر الإمام بخراب دور بني الحارث ودور بني مروان فغضب ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد لذلك ، ودخلا صنعاء ورفعا أيدي عمال الإمام ، وطرد الشيعة من الجامع ، ومكّنا منه السُّنّة وقطع اسمه من خطبته ، فخرج هارباً من عَلب إلى الجوف ، ثم إلى بلاد عنس ووصلها جعفر ، فأقاموا بصنعاء مدة وتوفي السُّلطان يحي بن أبي حاشد أول سنة أربعين وأربع مئة ، فأغلقت أبواب صنعاء ولم يتبايع الناس ثلاثة أيام . ووصل المنصور بن أبي الفتوح معزياً فيه إلى همدان ، وأقام الناس ابنه أبا حاشد وحلفت له همدان .

وفي ليلة الاثنين ثالث جمادى الآخر وهي ليلة قران المشتري ظهر علي بن

---

(١) بجز : ناحية من قضاء جماعة من بلاد صعدة .

(٢) (الكنز) : نجب .

(٣) (الكنز) فأسى .

(٤) هنا سقطت ورقة من المخطوطة فألحقناها من كتاب (كنز الأخبار) مخطوط المتحف البريطاني الذي يتفق مع كتابنا نصّاً ومضموناً ، فلله الحمد .

محمد الصليحي باليمن ، فاستولى عليه كافة ودَمَّر ملوكه في أقرب مدة ، ونحن نذكر مبتدأ أمره وكيف اتصلت به دعوة القرامطة ، قد ذكرنا دخول علي بن فضل والمنصور وماتَمّ لهما وموت علي بن فَضل في سنة ثلاث وثلاث مئة . وكان موت صاحب مسور سنة اثنتين وثلاث مئة ، واستخلف على أهل دعوته رجلاً من بني شاور يقال له عبد الله بن عباس وابنه الحسين وأمرهما بالمحافظة على دينهما الخبيث ، وأن لا يقطعان دعوة بني عبيد بن ميمون القدّاح ، فإنما هم غرس من غروسهم وهم نالوا من الملك والرئاسة مانالوه ، وأن يكتبا للمهدي فإذا ورد أمره بولاية أحدهما سمع الآخر وأطاع ، وقد كان تقدم الشاوري إلى المهدي سابق معرفة فكتب إليه يعرّفه موت المنصور وأنه قد قام بالدعوة فوصلت كتبه في ولايته ، وعزل أولاد المنصور ، وبعث إليه سبع رايات ، فسار ولد المنصور إلى المهدي وأمره بالسّمع والطاعة لابن عباس ، فعاد وقد أيس من الرئاسة فعملا على قتل ابن عباس فنهاه إخوته ، فلم ينته ، وقتله واستولى على الأمر ولم يدع مكاتبة المهدي .

ثم إن أبا الحسين خرج من مسور إلى عين محرم وفيه رجل من قبله يقال له ابن العرجي واستخلف على مسور إبراهيم بن عبد الحميد التباعي[1] وهو جد بني المنتاب ، فحين بلغه قتل أبي الحسين لزم مسور وادعى الأمر لنفسه ، وخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور إلى جبل بني أعشب[2] ، فوثب عليهم المسلمون فقتلوهم صغيرهم وكبيرهم ، وسبوا حريمهم ، ثم اتفق إبراهيم وابن العرجي ، واقتسم المغرب نصفين لكل واحد ما يليه ، ورجع إبراهيم إلى مذهب الإسلام ، وخطب للخليفة العباسي وأصله من حمير من حراز ، وكان أبوه قتل في مخلاف شرف

---

(١) في (المطبوعة) : السباعي .

(٢) (المطبوعة) : أعسب ـ بالسين المهملة ـ ، وهي عزلة قرب كحلان عفار شرقي حجة .

البياض[1] حين وجهه المنصور إلى هنالك ، وكاتب إبراهيم الأمير ابن زياد صاحب تهامة ودخل في طاعته وسأله أن يرسل إليه رجلاً من قبله ، فبعث إليه رجلاً يعرف بالسّراج ، وقال له : إذا أمكنتك فرصة من إبراهيم وثبت عليه ، فتلَقّاه إبراهيم وأنصفه فعامل عليه ، فبلغ إبراهيم فقبض عليه وحلق لحيته ورأسه ونفاه ، وقطع مواصلة ابن زياد ، وتَتَبَّع القرامطة بالقتل والسَّبي وبقي منهم بقايا ، فنصَّبوا عليهم داعياً يعرف بابن الطّفيل ، فقتله إبراهيم ، فانتقلت الدّعوة إلى رجل يعرف بابن قحيم[2] وذلك في أيام المنتاب بعد موت أبيه إبراهيم ، وخاف ابن قحيم على نفسه ، فكان لا يستقرّ في موضع واحد خوفاً من المنتاب ومن معه من المسلمين ، ثم إنه كاتب المعز إلى مصر بعد خروجه من القيروان فلما جاءه الموت استخلف رجلاً من[3] شبام حمير يُعرف بيوسف بن الأمير ، فأقام دعوتهم حياته ، واستخلف من شبام حمير أيضاً رجلاً يُسمّى سليمان بن عبد الله الزواحي[4] ، [والزواحي قرية من أعمال حراز][5] ، فَدَعى إلى الحاكم والظاهر والمستعلي والمستنصر وكان كثير المال والجاه فاستمال الرعاع والطغام إلى مذهبه ، وكلّما همَّ به المسلمون دافعهم بالجميل وقال : أنا رَجُلٌ مُسْلم كيف يحلّ قتلي وكان فيه كرم نفس وأفضال على الناس ، فيتركونه . وقد كان تفرّسَ في الصّليحي فرآه رجُلاً شَهْماً مِقداماً ، وكان كثير الخُلْطة له والوقوف عِنْدَه ، وأحْظَا الناس لديه[6] ، فَلَمَّا حَضَرته الوفاة أوصاه بالدعوة ، وأعطاه مالاً كثيراً قد كان جَمعه من أهل مذهبه .

---

(١) شرف البَياض من خولان من جهة صعدة (الحجري ٤٥١) .

(٢) في (المطبوعة) : أقحم .

(٣) من هنا ينتهي النقص في المخطوطة .

(٤) عبارة (الكنز) : واستخلف بعد موته سليمان إلخ .

(٥) زيادة على (الكنز) من المؤلف .

(٦) (الكنز) : إليه .

وأقام الصليحي دليلاً للحاج على طريق السُراة خَمْسة عشر سنة ، وهو مع ذلك يَعْمل الحيلةَ في ظُهور أمره ، فَطَلع مَساراً وهو أعلى ذَرْوة في جبال حراز ومَعَه قَومٌ قد بايعوه على الموت ، فأحاط به جميع أهل حراز وتَهدَّدوه بالقتل ، فداقَعهم بالجميل وقال : إنَّما لزمته خَوفاً أن يلزمه الغير فتلحقنا جميعاً المضرَّة ، ولم يَمْض عليه أشهر[1] حتّى بناه وحصَّنه وأتْقَنه وأمْرَه يستفحل وشأنه يَظْهر ، فَلمّا ظَهَر بمسار وقد طلعه[2] قَومٌ من الحجاز وسَنْحان ويام وجشم وهَبْره حَصْرَه جَعْفر بن القاسم في الأحبوش وهُمْ خَلْق كثير ، ورَجُلٌ يُسمَّى جَعْفر بن العباس شافعي المذْهب كان مجاباً في المغرب سَارَ مع جعفر لحصاره في ثلاثين ألفاً ، فأوقَع الصليحي بِجَعْفر بن العبَّاس في محطَّته في شعبان من السَنَة فَقَتَله في جمعٍ عظيم ، فتفرق الناس عنه ، ثم طَلَع جبل حَضُور فاستفتحه وأخذ حِصْن يناع ، وجَمَع له ابن أبي حاشد صاحب صنعاء ، فالتقوا بصُوف قريةً بين حَضُور وبيْن بني شهاب ، فقتل ابن أبي حاشد وألف رَجُل [وبهذه القتلة يُضرَب المثل إلى اليوم فيقال : « قتلة صوف »[3]] وسَار إلى صنعاء فملكها وطوى اليمن طيّاً سَهْلة وجَبَلة حتى قال يوماً وهو يخطُب في جامع الجند : وفي مثل هذا اليوم نَخْطب على منبر عدن . قال بعض من حضر مستهزئاً : سُبّوح قُدّوس . فأمر الصليحي بالحوطة عليه ، واتّفق له أن خطب في مثل ذلك اليوم على منبر عدن فقام ذلك الإنسان وقال : سُبّوحان قُدّوسان ، فبايعه ودخل في مذهبه .

وفي سنة إحدى وأربعين وأربع مئة هبَّت ريْحٌ عظيمة بشبام حمير فاقتلعت البرقوق[4] بأصوله وهَدمت داراً ومسجداً وجداراً عظيماً ، وحملت الكلاب فكانت

---

(١) (الكنز) : يسير .

(٢) (الأصل) : بمسار معه قوم ، والإصلاح من (الكنز) .

(٣) زيادة على (الكنز) .

(٤) إجاص صغير وهو للشمش واللفظة مولدة .

تنبح في الهواء . وفي سنة خمس وخمسين استقر مُلْك الصليحي في جميع اليمن من مكَّة إلى حضرموت سَهْلها وجبلها ، واستقرَّ بصنعاء ، وأخذ مَعَه ملوك اليمن الذين أزال مُلْكهم وأسكنهم مَعَه ، واختطَّ بصنعاء عِدَّة قُصور . وقد كان قد آلى أن لا يُولّي زبيداً وأعمال تهامة إلا من حَمَل له مئة ألف دينار ، [ثُم ندمَ على يمينه][1] وأراد أن يولّيها صِهْره أسْعد بن شهاب صِنْو أسماء زوجَته أمّ المكرّم ، فَحَملت أسماء المال عَلى أخيها ، [فقال لها : يامولاتنا أنّى لك هذا ؟ قالت : هُوَ من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . فتبسَّم وعلِم أنَّه من خزانته ، وقبضَهُ وقال : هذه بضاعتنا [فقالت له أسماء :][2] رُدَّت إلينا ونَمير أهلنا ونحفظ أخانا][3] . فدخل أسعد بن شهاب زبيد سنة ست وخمسين وأربع مئة وأحْسَن سيرته في الرعيَّة وفَسَح لأهل السنَّة في إظهار مَذْهبهم ، وكان يَحْملُ من تهامة إلى صنعاء كل سنة بَعْد أرزاق الجند [بها وغير ذلك من الأسباب اللازمة][4] من العين ألف ألف دينار .

ولم تزل هذه أحواله إلى آخر سنة تسع وخمسين وأربع مئة ، وعَزَم على التوجّه إلى مكة حَرسَها الله بالإيمان ، فاستخلف ابنه المكرَّم على الملك وسار في ألفي فارس ، فَمِنْهُم آل الصليحي مئة وستون رجُلاً ، واستصْحَب مَعَه مُلوك اليمن الذين أزال مُلْكهم ونعمتهم ، خوفاً أن يثوروا بَعْدَه في البلاد ، ونَزَل بالمهجم بظاهِرها بضيعة تُعْرف بأم الدُّهَيْم وبير أم معبد ، وخَيّمتْ عسكره حوله . فلَمّا كان في الثاني عشر من شهر ذي القعدة لم يَشْعر الناس لانتصاف[4] النَّهار حتى قيل

---

(١) زيادة على (الكنز) .

(٢) ساقط من (الأصل) ، أضفناه من (العسجد المسبوك ٥٨) .

(٣) مابين المعقوفتين ساقط من (الكنز) .

(٤) زيادة على (الكنز) .

(٥) (الكنز) : انتصاف ، وفي (المطبوعة) : في نصف النهار .

لهم : قُتل الصليحي !! فانذعروا وسقط في أيديهم ، وكان سبب قتله أنّه لَمّا استولى على زبيد سنة ثمان وأربعين وقتل نجاحاً بالسُّم ، وقيل : كان أهدى له جاريةً وأمرها بأن تسمّه ، فَهرب أولاد نجاح سعيد الأحول وجيّاش وغَيْرهما ، فلحقوا بأرض الحبشة ، وقد ظَهرَ على ألسنة المنجّمين وأهل الملاحِمِ أنّ سعيد الأحول قاتِلُ علي بن محمد الصليحي ، وبَلَغ ذلك الصليحي فاستشعره وصُوِّرتْ له صورة الأحول على جميع حالاته ، وبَلغ سعيد مااقتربت إليه همته وتهيأ لأسبابه ، وكانت أخبار[1] الصليحي عنده في كل وقت وحين ، فلما سمع بمسير الصُّليحي نحو الحجاز خَرَج من أرض الحبشة في البحر معارِضاً لَه في خمسة آلاف حربة قد انتقاها حتى خرج من ساحل المهجم ، وسار مختفياً حتى هجم على المحطّة انتصاف النهار والناس متفرقون في خيامهم مقيلون[2] غير مستعدين لشرٍّ ولا خائفين له ، فقصد الأحول في أهل بيته خيمة الصليحي ، فدخلوا عليه وهو عند دواب النوبة يُريد الرّكوب ، فقتلوه وأخاه عبد الله هنالك وافترقوا في المحطّة ، فقتلوا من وجَدوا ، واستولى الأحول على خزائن الصّليحي وأمواله ، وقد كان استصحب منها أموالاً جليلة . قيل : كان قصده دخول مِصْر إلى دَعْوته من العبيديين . وجَمع آل الصليحي خاصة ، فقتلهم رمياً بالحراب ، وأخذ أسماء بنت شهاب فأركبها هودجها وجَعَل رأس الصّليحي ورأس أخيه أمام هودجها حتى دخل زبيد ، وتركها في دارٍ والرأسان منصوبان قبالة الدّار التي هي فيها ، وفي ذلك يقول شاعرهم العثماني[3] من قصيدة قالها ارتجالاً :

بكرت مظلته عليه فلم ترح إلاّ على الملك الأجل سعيدها

---

(١) (الكنز) : أعلام .

(٢) أي قائلون من القيلولة (معروف) .

(٣) هو أحمد بن محمد العثماني ، دخل إلى اليمن من العراق ومدح الصليحي . انظر كتابنا (مصادر الفكر الإسلامي ٣١٤) .

ما كان أقبحَ وَجْهَه في ظلّها ... ما كان أحسن رأسَهُ في عودها

سُود الأراقم قاتلت أسد الثرى ... يا رحمتا لأسودها من سودها

فأقامت تحت الأسر سنة لم يمكنها الكتابة إلى ابنها المكرّم ، ولا أمكنها ذلك حتى تلطَّفت لرجلٍ مشرقي ، فرمت إليه برغيف فيه كتاب لطيف يخبر المكرَّم أن قد صارت حُبْلى للأحول وليس كذلك فإنَّه ما رآها قط ، ولكن أرادت ما كان من استثارة حفائظ العرب . فَلَمّا وصل الكتاب إلى المكرَّم أن قد صارت حُبْلى للأحول جَمع رؤساء العرب والقبائل وقرأه عليهم فنكّفوا وثارت حفائظهم ، وسار من صنعاء في ثلاثة آلاف فارس غير الرجّل فخطبهم في بعض الطريق وعرّفهم إنّما يقدمون على الموت فمن أراد أن يرجع فمن مكانِه وتمثَّل بقول المتنبي :

وأورد نفسي والمهنَّد في يدي ... موارد لا يصدرن من لا يُجالد

فقيل رجع بعضهم وسَارَ في الباقين حتى نزل من فج الحاقاه[1] وظنَّه أتى طريق سِهَام ، وبلَغ الأحول فجَمع جموعَه وصفّاً له على باب المجرى إلى القبلية[2] في عشرين ألف حربة ، وطحنتهم العرب طحن الرَّحى وأتى القتل على أكثرهم ، وكان الأحول قد أعدَّ خيلاً مضمَّرة على باب النحل فلَمَّا انهزم الناس ركبها في خواصه وأهل بيته حتى أتى السَّاحل ، وقد أعدَّت له هنالك سُفن ، فركبها نحو دَهْلك ودخلت العرب زبيد ، وكان أول فارس وقَفَ تحت طاق أسماء ولدها المكرَّم ، فَلم تعرفه وسألته من هو ؟ فانتسب لها وقال : أنا أحمد بن علي . قالت : إن أحمد بن علي في النَّاس كثير فاحْسر عن وجهك حتى أعرفك ، فحسر لامته عن وجهه ، فأصابته رِيْح شديدة ارتعش لها واختلجت بشرة وجهه وعاش

(١) كذا في (الأصل) ، وأبعدها صاحب (المطبوعة) و (العسجد) ، وفي (المفيد ١٢٩) فج الحلفا قال : هو ما يعرف اليوم بشط الحلفا : إحدى المحطات الرئيسية من صنعاء إلى زبيد لذلك العهد ويقع شمالي وادي سهام .

(٢) كذا في (الأصول) ولم نجد هذه اللفظة في سائر المصادر التي نقل عنها او التي نقلت عنه .

بعد ذلك سنين عِدَّة وهو على هذا الحال . وأتت رؤوس رؤساء القبائل يُسلِّمون عليها وهي بارزة وجهها لهم على عادتهم أيّام الصليحي ، وولّى المكرَّم خاله أسعد بن شهاب زبيد والأعمال التهامية ، ورجع بأمّه إلى صنعاء فأقامت مدَّة وماتت ، فجمعت الحبشة لأسعد بن شهاب فنفوه عن البلد وعادت إلى ملكهم ، ولنذكر عودتها في موضع ثان .

ثم إن المكرَّمَ فوَّض الأمور إلى زوجه الحرَّة الملكة الصليحية واسمها سيِّدة[1] بنت أحمد بن جعفر الصليحي ، وكان الصليحي يخصّها من الإكرام مالا يفعل لبناته ، ويقول لزوجته : أسماء : هي والله كافلة ذرارينا والقائمة بهذا الأمر لمن بقي منَّا . فلَمَّا ماتت أسماء فوضَّ الأمر إلى زوجته الحرَّة السيِّدة ، وخَلا للشراب واللَّذات والسماع[2] فارتحلت من صنعاء بجيش جرَّار حتى دخلت جبلة ، فبنت دارها ويُعرف بدار العزّ[3] ، وقد كان بعض من وَلِّي التعكر الصُّليحي من إخوته اختط فيها داراً[4] . ثم عادت إلى صنعاء وقالت للمكرَّم : أرسل يا مولانا على أهل صنعاء ومخلافها بالحضور غداً إلى الميدان . فلَمَّا حَضَروا قالت : أشرف عليهم . فقالت : ماذا ترى ؟ فلم يقع طرفه إلاَّ على لمع السُّيوف والأسنة البيض .

---

(١) ورد اسمها أيضاً في (المقتطف ٦٨) بالسيدة أروى بنت أحمد ، وكذا في (اللطائف السنية ٣٦) و (الأعلام ٢٨٩/١) ط (الملايين) وفي (تاريخ المعلم) وطيوط (مخطوط تحت الطبع بتحقيقنا ورد اسمها بالحُمَيْرى) وهو كذا في (المفيد ١٣٧) ولعله لقب عليها .

(٢) علق ناسخ المخطوطة على قوله هذا : هو منزه عن ذلك بل حاشى علاه كون خليفة مصر لقبه ونعته بذي السيفين ، فما أنصف المصنف ، بل جنح وجاف ولم يقصد الإنصاف ، وهذا الداعي مشهور بالمكرم في الفضل والخصال المحمودة ، مجمع على ذلك المؤالف والمخالف اهـ . قلت : هذا القول الذي بهت به للمؤلف رحمه الله كاتب هذه الحاشية ليس من عنده وإنما نقله عن عمارة اليمني أول من أرخ للصليحيين يقول في المفيد ١٢٨ : واستروح إلى السّماع والشراب إلخ ..

(٣) (العسجد ٦٢) دار العروبة .

(٤) (العسجد ٦٢) وكان الذي اختط جبلة عبد الله بن محمد الصليحي وذلك سنة ٤٥٨ هـ ، وكان أخوه علي بن محمد قد ولاه حصن التعكر في التاريخ المذكور فاختط مدينة جبلة .

ثم نزل مَعَها إلى ذي جبلة وحشدت الرعايا له ، فقالت : أشرف عليهم . فأشرف عليهم فلم يقع بَصَره إلاَّ على رجل يجر كبشاً أو يحمل ظرفاً[1] مملوءاً سمناً أو عسلاً . فقالت له : العيش بين هؤلاء يَصْلُح ، فأقام بها وكان يطلع صنعاء فيقيم بها ثم ينزل ، فاستخلف عمران بن الفضل اليامي وهو على حاله في ارتعاش يديه وبشرة وجهه وإقباله على لذَّاته حتى مات سنة أربع وثمانين وأربع مئة ، فأسندت الدعوة إلى ابن عمه السُّلطان سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي ، وكانَ دميم الخلق لا يكاد يظهر من السرج بطائل ، وكان جواداً شاعراً قائماً بأحوال الملك ، وإيَّاه عنى ابن [القم][1] بقوله :

ولَمَّا مدحت المزبري ابن أحمد ... أجاز وكافاني على المدح بالمدح
وعـوَّضني شعراً بشعري وزادني ... عطاءً فهذا رأس مالي وذا ربحي
شققت إليه الناس حتى رأيته ... فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح

وكان مستقر عزّه حصن أشيح وما إليه من الجبال المطلَّة على زبيد كوصاب والظفر وظفار وريمة ، فكانت الحرب بينه وبين آل نجاح سجالاً ، وكانت العرب تنزل في الشتاء ، فتجتمع الحبشة إلى زبيد فيقيم العرب في الحواز ، فتارة يكون ارتحالهم بالقتال وتارةً بالوباء ، حتى كان في آخر الأمر نزل في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل ، فَحطَّ على زبيد ، ورأى من الحبشة تواني ، فتوانى في الحزم وهي منهم مكيدة ، فثبتوا في بعض اللَّيالي هو وعسكره على غرة ، فأتوا على أكثر عسكره قتلاً ، ونجا سبأ على قدميه عامة ليله حتى وجد من حمله على فرس آخر الليّل ، فلم تعد العرب بعدها إلى تهامة . وكان بعد موت المكرَّم ومصير الدَّعوة إليه خطب الحرة السيدة فلم تجبه وأظهرت غاية الإنكار لذلك ، فتحاربا مدة ، فقيل له : ما تجيبك إلا بأمر المستنصر خليفة مصر ، فأرسل رسولين من خاصة أصحابه فعاد أمر المستنصر ومعهما خادم من أكبر خدَّام داره ، فوصلوا إليها وقد جمعت

---

(١) ساقط من الأصل والزيادة من المفيد ص ١٤٧

أربـاب دولتهـا[1] ... [1] فَصَبَّح الجنـد طلوع الفجر وكانت الوقعـة وقت الظهر . فقالت الناس : قتل ابن نجيب الدَّولة رسولاً .

ولم تزل أموره مستقيمة حتى سمعت منه الحرة مـا تكره وأنهـا لا تصلح لتَـدْبير الملـك لأنهـا قـد خرفت ، فـأغرت بـه ملـوك اليمن وكانـوا تحت طـاعتهـا بحيث لا يخـالفهـا أحـدٌ منهم فيما تـأمره بـه من صُلْـح أو حرب أو عقـد أو نقض كعمران اليـامي وعُمر الجبني وكل واحـد مِنْهما يسير في ألف فـارس وغيرهمـا من أهـل الأطراف ، فسـاروا إليـه إلى الجنـد في ثـلاثـة آلاف فـارس فحصروه حتى جهـد ، وكانت فرسانه تقاتلهم على أبواب المدينة أشـدَّ القتـال ، فلمَّـا اشتـد بـه الحصـار ، فرقت الحرة عشرة آلاف مثقال مصرية[2] وأشاعت في النَّاس أنها من نجيب الدولـة وطلبت العساكر من سلاطينها الأموال وإلا ارتحلوا ، فَغَـالطوهم فـارتحلوا وتفرَّق النَّـاس فقيل لابن نجيب الـدولـة : هـذا من تَـدْبير التي قُلت : إنَّهـا قـد خرفت . فركب إليها إلى ذي جبلة فاعتذر إليهـا ، ثم قـدم رسول من الـدِّيـار المصريَّـة فلم يحتفل به ابن نجيب الدولة فشق عليه ذلك والتصق به أعـداء ابن نجيب الـدولـة . فقال لهم : اعملوا على وجهين[3] وأنا أكفيكم أمره ، اكتبوا على يدي كتاباً أنه دعاكم إلى البيعة لنزار واضربوا سكَّـة نزاريـة وأنـا أوصلهـا الخليفـة الآمر بـأحكام الله . ففعلـوا وفَعـل ، فغضب عليـه الآمر ، وبعث أميراً فقبض عليـه وسيَّره إلى مصر ، فسيَّرت الحرة رسـولاً يشفـع فيـه ، فلمَّـا تـوسـط البحر غَرَّقهم المـوكلـون[4] بهم بوساطة[5] أمير الدولة الزريعية ، وانتقلت الدعوة إلى الداعي سبـأ بن أبي السعود

---

(١) هنـا سقطت ورقـة من المخطوطـة انظر مـا يقـابلهـا في بهجـة الزمن ط حجـاري ص ٥٧ ـ ٥٨ ، وانظره آخر الكتاب ص ٣٠٢

(١) من هنا ينتهي النقص في (كنز الأخبار) .

(٢) (الكنز) : بعشرة آلاف دينار درهم مصرية .

(٣) كذا في (الأصل) ولم نجدها في (الكنز) .

(٤) (الكنز) : الموكل .

(٥) (الكنز) : وصاة .

الزريعي ، وهؤلاء بنو زُريع بن العبَّاس بن الكرم بن يام بن أصبى بن حاشد بن همدان ، وهم بيت رياسة وشرف ، وكان لجِّدهم العباس سابقة محمودة وبلاءً حسناً مع الصليحي في القيام بالدعوة ، ومع المكرَّم في نزول زبيد .

ولمَّا تغلَّب بنو معن على عدن نَزَلها فافتتحها ، ونفى بني معن ، وولَّى العباس ومسعود ابني المكرَّم فيها ، وجعل للعبَّاس التعكر وما حَصَل من البّر ولمسعود الخضراء[1] وما بقي من السَّواحل ، فلم يزالا على ذلك حتى سارا مع المفضل ابن أبي البركات إلى زبيد لقتال الحبشة ، فقتلا جميعاً على باب زبيد ، فانتقل الأمر بعَدن إلى ابن أبي السَّعود بن زريع وأبي الغارات ابن مسعود حتى ماتا فَوَلي الأمر الداعي سبأ بن أبي السعود ومحمد بن أبي الغارات ، فلمَّا مات محمد وَلِّى الأمر بَعْدَه على نصيبه أخوه علي بن أبي الغارات ، وبيد الدَّاعي سبأ مع عدن قريةَ بنا أبه وَلَه في الجبال حصن الدّملوه وسامع[2] ومطران[3] وذبحان[4] ويمين[5] وبعض المعافر وبعض الجند .

ثم إن علي ابن أبي الغارات أنبأ نُوابَه مجاوزة نواب الداعي وعشيرته[6] ، وبَسطوا أيديهم إلى من يختص بالداعي وجَبَوا ماليس لهم جبايته والدَّاعي محتمل لهم ، وهُو مَعَ ذلك يجمع الأموال حتى استتم له ما يريده ونَزَل من الدملوه

---

(١) هو مايسمى اليوم بحقات من عدن .

(٢) جبل وعزلة من ناحية المواسط وأعمال الحجرية وهو في الجنوب من جبل صبر .

(٣) حصن بقدس من الحجرية .

(٤) ذبحان : عزلة معروفة من قضاء الحجرية .

(٥) ـ بضم الياء ـ حصن من الزعازع بالغرب من ذبحان .

(٦) ساقط من (الكنز).

(٧) بنا أبه : بلدة من لحج وهي على نصف ميل غربي مدينة لحج وتعرف الآن ببيبة .

بعساكر عظيمة ، فنزل بينا أبه ونزل بنو أبي الغارات بقرية الرَّعارع[1] . فقال الداعي محمد بن سبأ : كنت في طلائع الداعي[2] فَظَهر علي ابن أبي الغارات وعمَّه منيع بن مسعود ولم تحمل الخيل أفرسَ مِنْهُما . فقال لي منبع بن مسعود : ياصبيّ قُل لأبيك يَثْبُت فلابُدّ الليلة[3] من تقبيل الجشميات[4] التي في مضاربه . فأخبرت بذلك والدي فركب بنفسه وقال لمن حَضَر من بني عَمِّه آل الذئب : العرب المستخارة[5] لا تصبر على حَرّ الطّعان ولا يمسك الثور إلا قده ، فالقوا بني عمكم بأنفسكم وإلا فهي المَرْزمة[6] والعار . فالتقى القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، واتفق أن طُعن منبع بن سعود بطعنة نظمت شفته[7] وخرمت أرنبته .

وأقبل وادي لحج دافعاً بالسيل فتحاجزوا ووقفوا على عدوته[8] يتحادثون . فقال الدّاعي لمنيع بن مسعود : كيف رأيت تقبيل الجشميّات ياأبا المدافع ؟ فقال : وجدته كما قال المتنبي :

والطعن عند محبيهن كالقُبل

فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب لموافقته شاهد الحال . فتركهم بعدن ولحج مدة طويلة[9] ثم استفتح الدّاعي لحج ، وبقي ابن أبي الغارات فَلَحق بحصن

---

(١) في (الأصل) الزعازع بزائين معجمتين . قلت : وقد ترد هكذا في بعض المراجع مدينة مشهورة كانت عاصمة لحج أيام الزريعيين وهي اليوم خراب .

(٢) (الكنز) : والدي .

(٣) في (الأصل) : الشيعة ، والإصلاح من (الكنز) .

(٤) نسبة إلى جشم جد آل زريع .

(٥) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) المستأخرة .

(٦) في (الكنز) : للذمة و (المفيد ١٨٠) : الهزيمة .

(٧) مسفرثة والإصلاح من (الكنز) .

(٨) (الكنز) : نواحيه .

(٩) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) و (المفيد ١٨٠) : فأقامت فتنته بعدن ولحج مدة طويلة .

منيف[١] والجليلة[٢] وصُهيب ، واستفتح نائبه بعدن الخضراء ومالبني أبي الغـارات بها ، وكان ذلك في يوم واحد ، وَصَفَتْ البلاد للدَّاعي سبأ ، ودَخَل عدن وأقام بها سبعة أشهر ومات ، فَدُفِن بِسَفح حصن التعكر[٣] وذلـك سنـة ثلاث وثلاثين بعـد الحرّة بسَنة ، فَوَلي بعـده الأمر وَلَـده واسْمَـه عليّـا[٤] ، ودخل القـاضي الرشيـد بن الزبير من مِصْر بتقليد الدعوة ، فوافاه[٥] قـد مـات سنـة أربع وثلاثين ، فَقلّـدهـا أخاه محمد بن سبأ ولقَبه المعظم المتوّج المكين ، وكان الداعي محمد بن سبـأ ممـدوحـاً يَقْصُده الشعراء ، فيثيبهم ويُجزل لهم العطاء ، وكان جواداً حليماً وتَوسَّع في الملـك وَغَلَب على أكثر البلاد ، ومن شُعرائِه محمد بن زيـاد المـاربي الشعتمي[٦] مِنْ مـأرب مدينة السد ، وَلَه فيه من أولّ قصيدة يَمْدَحه بِهَا وهي إذ قال :

مـارَاق حُسَّـادي وريِّـق كاسي ... كيـد الغنى ومَكائـد الأنكاس[٧]

ومن محصلها :

فأشرب على برد النسيم وعـاطني ... صُهبًـا تحسب شعلـة المقيـاس
أومَا ترى وجه الزمان وقد بَدَى ... كالبدر ينصف سدفـة الأغلاس
وعَلا لسان الحق واختطب الهـدى ... من بعد مـا أشْفي على الـديمـاس[٨]

ومن شعرائه القاضي عمران بن أحمد بن عمر بن منيع اليامي[٩] فَمَن مَدائحـه

---

(١) منيف : حصن في سبأ صهيب المعروف ببلاد العلوي جنوب لحج .
(٢) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) ومخطوطة (للمفيد) : الحبلة قرية هناك .
(٣) الكنز : الدعكر .
(٤) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) و (للمفيد ١٨٣) : فولى بعده ولده على الأغر .
(٥) (الكنز) : فوافقه .
(٦) انفرد المؤلف بهذه النسبة ، انظر ترجمته في للمفيد ٢٦٨
(٧) هذه الأبيات انفرد بها الكتاب ولم نجدها في غيره ، وأظنها من محفوظ المؤلف .
(٨) الديماس : المكان العميق الذي لا ينفذ إليه الضوء .
(٩) هذا الأديب لم يذكر ضمن شعراء (المفيد) لعمارة ومن ثم شعره أيضاً .

في الداعي محمد بن سبأ قوله :

رايـات حقٍّ خـافقـات بنودهـا   وآيات صِدْق طالعات سُعُودهـا
أفـاد سُرور المؤمنين وفـودهـا   وأورد كَتب الكافرين وُرُودهـا

ومن مديحها قوله :

وخصَّ بها الداعي المكين الـذي لـه   مفاخر فوق الفرقدين مشيدهـا
أخاهمـةً ردَّت دُجى الليل واضحـاً   ونَشَّر مطـوى المكارم جُـودَهـا

ومن مدّاحـه القـاضي الأجل الفـاضل يحيى بن أحمـد بن عبـد السلاّم بن أبي يحيى[1] من السادة الرؤساء العُلماء الفضلاء ، وبَنُو أبي يحيى قضاة صنعاء ورؤسَائها وسَادتها وكُبرائها ، ولَيْس في أهل الجبال الـذي عـاصرهم[2] أشعر من هـذا يحيى بن عبـد السلام ، ولم أورد لـه هُنـا من مختـار شعره شيئـاً إذ لم أجـده ، وإنَّما أوردت ما اتفق حضوره عندي ، فمن ذلك مطلع هـذه القصيـدة التي يَمْـدح بهـا الـداعي محمد بن سبأ صاحب عدن ، وقد عزم على الخروج إلى ذي جبلة لتملـك بلاد الأمير منصور بن المفضّل وهو قوله :

النصر من قرنـاء عزمـك فـاعزم   والدهر من أسرار حكمك فاحكم

ومن مدّاحـه الشريف يحيى بن محمـد بن علي بن الحسين ، مـدحـه بقولـه من أول قصيدة[3] :

حـلالـك أليس العيــد الحـلالا   ومجـدك مِنْـه مجد العيـد طـالا
وعــزّك أكسب العبـــاد عــزّاً   تتيــه بــه فصـار لهـا حـلالا

(١) هو أخو العلامة جعفر بن أحمد بن عبد السلام ، ذكره عمارة في مفيده ٣٢١
(٢) الضمير هنا يعود إلى عمارة والكلام له ، انظر المفيد ٣٢١
(٣) لم أجده في غير كتابنا هذا ، قلت : لعله رجع إلى نسخة مطولة من المفيد غير المطبوعة ، لأن كلامه عن هول الشعراء ، يدل على أنه ينقل من هذا المصدر ، والله أعلم .

ومن مدّاحه الشيخ الأديب سالم بن عمّار الثّعْلبي يمدحه من قصيدة أولها :

هل للفضائل عن مديحك مَعْدِل ... أم هل لها من دون بابك مَوْئل
شغلت صفاتك السن الشعراء عن ... أن يفسقوا معها وأن يتغزّلوا

ومن مدّاحه أيضاً المأذون أحمد بن سالم بن ظفر الهمداني(١) بقوله :

زمانك أحيا ميتات الخواطر ... وعَصْرك أبدى داثرات الدواثر
شاوت الكرام السابقين إلى العلا ... فأصبحت فيهم أولاً غير آخر

ومِنْ مدّاحه أيضاً دجانة بن محمد الصّنعاني فمن شعره فيه قوله :

قَسماً بمدحك أنه لمشيد ... حقّاً وأنك في الزمان وحيد
فأقعد بِدَسْت الملك غير منازع ... وألبس رداء العزّ فهو جديد
وأفخر على أهل الزمان فإنّهم ... خَولٌ وإنّك فيهم لعميد

ومنهم الشيخ محمد بن القاسم بن محمد يَمْدحه ويُهنيه بعيد النحر سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة .

ألوم وحر الوجد ما أتعتب ... وهجر وتَعْذِيبي لَمّا أتحبّبُ
وأعجب شيء أن أبين صبابةً ... لواعجها بين الحشا تتقلب

ومنهم الشيخ الأديب أحمد بن علي بن أحمد المعافري ، فمن مديحه في الداعي محمد بن سبأ قوله :

شهدت بفضلك يَعرب العرباء ... وَعَنت لك الأشباه والنظراء

---

(١) كسابقه مما انفرد به كتابنا هذا ، قلت : كم أضاع التاريخ من أمثال هؤلاء الشعراء الفطاحل بسبب عدم الاهتمام بتدوين شعرهم وأخبارهم .

(٢) كسابقيه لم أجد له ترجمة ، وهو ممن انفرد به المؤلف هنا فلله الحمد .

(٣) كالسابقين .

وترفعت همم نراهـا فيـك أن يـأتي على أوصـافهـا الشعراء

وهي قصيدة طنـانـة في بـابهـا ، ومنهم الأديب أحمـد بن محمـد الخيـار ، فمن مختاره وأشعاره [في] مَدْح الداعي محمد بن سبأ قوله :

هي الـدعوة الغرّاء والعزّ والنصر وطيب الثناء والفضل والمجد والفخر
لمن قوله فضل وبـاطنـه حجى وظـاهره بشر ونـائلـه غمر

ومنهم الأديب الأجـل وزير الـدولـة الهَمْدانيـة ومميِّـز الكتـابـة الإنشائيّـة عبد الله[1] بن أحمد الصنعاني فمن ذلك قوله يمدح الداعي محمد بن سبأ بقوله :

لم يدر كيف يقول فيك المـادح أم كيف ينصفك الثناء مـدائح
يأبى امتناعاً أن ينالـك واصفٌ أبـداً كما امتنع السماك الرامـح[2]

وكان موت الحرّة المتقدِّم ذكرها بذي جبلة سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئـة ، وانتقل ما كان بيدها من الحصون والذخائر إلى منصور بن المفضل فابتاع الداعي منه الحصون والبلاد سنـة أربعين مثل مـدينـة جبلـة والتعكر وحَبْ وغيرهمـا من حصون المخلاف وسواه ، وطلع الداعي محمد[3] بن سبأ المخلاف فسكن بذي جبلـة ، وكان موتـه سنـة ستين وخمس مئـة ، ولم يـزل الأمر في ذرّيـاتهم حتى نفـاهم سيف الإسلام .

وأمَّا صنعاء فملكها بعد الداعي سبـأ بن محمـد الصليحي رجلٌ من همـدان من هبرة[4] يُعرفُ بحـاتم بن الغشم ، وكان نـاهضـاً كافيـاً ، ولـه ولـد يُسمَّى محمـد لم

(١) قلت : هؤلاء جميعهم لم نجدهم في غير كتابنا هذا ، فهو ينفرد بهم دون سواه .

(٢) السماك الرامح : أحد السماكين وهما نجمان نيران أحدهمـا في الجهـة الشماليـة أمـامـه كوكب صغير يقال له راية السماك ورمحه ، ولذلك يقال له : السماك الرامح . والآخر في الجهة الجنوبية يقـال له : السماك الأعزل .

(٣) زيادة على (الكنز) .

(٤) هبرة : بطن من همدان من ولد هبرة بن مذكر بن يام .

يشاركه أحَدٌ في شجاعتـه وجوده ، إلاَّ أنَّـه كانت فيـه لوثـة واختلال عقل . وكان إذا تزوج بامرأة وأحبَّها قتلها ، فتحاماه الناس ، ولم يزوجُـه أحـدٌ بعـد ذلـك [ثم إنه] خطب إلى بني الصليحي أهل قيضان فأبوا زواجتـه فـألح عَلَيْهم فقـالوا : إذا ضَمن أبوك زوجنَّـاك . فَلَمْ يزل بـأبيـه حتى ضَمن عليـه ، وقـال أبوه : إن قتلتهـا قتلناك . فأقـامت عنـده مُـدّة فقتلهـا ولَحِقَ بحصن براش صنعـاء ، فَلَمْ يزل أبوه يخادعه ويلاطفه حتى التقيا تحت المدرَّج فوثب عليـه والـده فقتلـه ، وقطع رأسَـهُ ودخل به صنعاء على رُمْح ، وكان لابنه مُحمَّد بنيَّة في بيت جدِّهـا ، وقـد سمعت بأنَّ جدَّها خرج ليأتي بأبيها ، فلم يُفاجئها إلاَّ رأس أبيها على الرُّمح فماتت فجأة ، وقال حاتم في قتل ولده :

وأرتعت رأس الأريحي محمَّـــــــد	من البيض مشحـوذ العرانين صـارمـا
وقـــــد كان إن جشمتـــــه لمهمَّـــــة	من الخطب والهــول المخـــوف تجشَّما

ومما يُحكى من شهامة هذا محمد وعُلُّو همتِّـه أن ركب يومـاً بصنعـاء ، حتى إذا صـار بـالجنـوب المقـابـل للجراف صـاح بهمـدان فخرج إليـه من صنعــاء والمنظر وشعوب سبع مئة لابس ، فقالوا : ما معك ؟ قال : أريـد غزو نجران . فقـالوا : سمعاً وطاعةً ، وإنَّما نتزوَّد ونستعد لذلك فالموضع بعيد ، فأبى عليهم ، فلم يزالوا به حتى أذن لهم في العود تلك الليلة ويوافونه بكرةً . وقال : صبُّوا دروعكم رهـانـة ، فصبُّوا مئة درع ، وذلك الموضع يُعرف بمصبِّ الـدروع إلى الآن . وغزا نجران على طريق مأرب والغيط فأخذه واستباحه ، فلَمَّـا مـات حـاتم بن الغشم انتقل ملـك صنعاء ومخاليفها إلى السُّلطان حاتم بن أحمـد بن عمران اليـامي وذلـك سنـة ثلاث وثلاثين وخمس مئة فكان حدُّ مُلكه من نقيل الغابرة[3] إلى اليمن وإلى القبلة بركـة

(١) (الكنز) : اختلاط .

(٢) قيضان : حصن خارب من جبل بني الحارث من بلاد يريم .

(٣) موضع بالقرب من حصن الكميم .

حوث[1] المعروفة بالبحرة ، وصَعْدة بيد الأشراف الهدويين من بعد الصليحي ، والجوف بأيدي أهله ، وقد ذكرنا ماجرى بين حاتم بن أحمد والإمام أحمد بن سليمان من الوقائع والحروب في الباب الأول ، وأخبار أهل البيت عليهم السلام[2] .

ومات حاتم بن أحمد سنة ست وخمس ومئة ، فَوَلي بعده ولده حميد الدولة علي بن حاتم ، فخالفت عليه همدان وقتلوا أخاه عمران ، ثم استقاموا له واحتوى على ملك أبيه واستقوت شوكته ، ونزل اليمن الأسفل لقتال بني مهدي ، فأوقع بهم في الحبالى[3] ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وذلك في ربيع سنة تسع وستين ، وحطّ في القاع خَلْف سوق الخميس ، فَنُسب ذلك الموضع إليه إلى الآن ، فقيل قاع همدان وعاد من الحبالي فأوقع بأهل عدينة فقتلهم .

تمام ذكر بني نجاح ملاح[4] زبيد

ولنعد إلى ذكر من ملك من آل نجاح بعد قتل الصليحي ورجوع المكرَّم بأمِّه من زبيد وتوليته لها أسَعد بن شهاب . فلَمَّا صار المكرَّم بصنعاء وثب سعيد الأحول فَطَرد أسعد بن شهاب منها ، فلحق بالمكرَّم ، فَرَجعت زبيد والأعمال التهامية إلى الأحول ، ثم أن الحرَّة السيِّدة أعملت الحيلة في قتل سعيد ، وأمرت والي حصن الشعر أن يكاتب سعيداً بأنَّه يُسَلِّم جَبَل الشِّعر ومِنْهُ يستولي على الحرَّة

(١) عبارة (الكنز) : إلى اليمن وإلى القبلة إلى حوث وصعدة إلخ ...

(٢) قلت : لم يذكر المؤلف شيئاً من هذه الوقائع ، كما أن كتابه هذا غير مقسم على أبواب ، وإنما تجده قد نقل هذه العبارة برمتها من كتاب (كنز الأخبار) للشريف إدريس بن علي ، لأنه هنا ينقل الكتاب بنصه ، وقد جرّه النقل إلى إيراد هذه العبارة دون أن يتنبه إليها فليعلم .

(٣) الحبالى : هي عزلة من ناحية السَّدَّة ـ أعمال يريم .

(٤) كذا في المخطوطة وأظنه تصحيف ملوك ، والله أعلم .

وما بيدها من الأعمال ، فَطمع في ذلك ، واتعد[١] ليَومْ معلوم ، وقد أمرت الحرَّة ملوك اليمن الأعلى بحشد عساكرهم ونُزُولهم من الجبال المطلَّة على زبيد ، وأن يطووا المراحل خلف سَعيد ، فَلَمَّا صار [سعيد][٢] تحت الشِعْر أطبق عَليْه جيش الجمعين جَمْع العرب وجَمْع الحُرَّة ، فقتل في أكثر الجيش الذين معه ولم يَذْكُر هلاك[٣] سعيد على هذا الوجه إلاَّ عمارة في مفيده[٤] ، [وهو ضعيف][٥] قال : وذلك في سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة ، فَوَلي بَعْده أخوه جيَّاش بن نجاح[٦] ، ولنذكر نبذه من أخبارهم وسَفَره إلى الهند مع وزيره ، وذلك بعد قتل أخيه سعيد الأحول .

سافر جيَّاش إلى الهند ومَعَه وزيره قَسَيم الملك أبو سعيد خلف بن أبي الطاهر الأموي من وَلد سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فقال جياش : تنكرَّت ودخلت إلى عدن ومعي الوزير خلف ودخلنا إلى الهند في سنة إحدى وثمانين ، فأقمنا بها ستة أشهر ورجَعنا إلى اليمن في تلك السنَة بعينها ، قال : ومن أعجب ما رأيته في الهند أن إنساناً قدم من سرنديب ولم يبق أحد إلاَّ فرح به ، وزعموا بأنه عالم بأخبار المستقبلات ، فسألناه عن حالنا فبشرنا [بأمور][٧] لم يُخرم قَوْله منها شيئاً ، واشتريت جاريةً هنديةً علقت منِّي بالهند ودخلت بها إلى اليمن وهي في

---

(١) في (الأصل) : واستعربه وما أوردناه في (الكنز) .

(٢) زيادة من (الكنز) .

(٣) (الكنز) : هلكه .

(٤) (المفيد ١٤٤) .

(٥) الزيادة من (الكنز) ، وهي هنا ضرورية لأن ذكر عمارة باسمه لسبب هو انتقاد روايته ، فيكون الشريف إدريس بن علي صاحب (الكنز) هو أول من تنبَّه على بعْض أوهام عمارة في تاريخه فليعلم .

(٦) من هنا يختصر صاحب (الكنز) أخبار الأحباش فيرجع المؤلف إلى المفيد لعمارة ص ٢٠٣

(٧) ساقط من الأصل والزيادة من المفيد ٢٠٤

خمسة أشهر ، وحين وصلنا إلى عَدَن قدَّمت الوزير خَلَفاً إلى زبيد على طريق السَّاحل ، وأمَرْته أن يَشيع موتي في الهند وأن يستأمن لنفسه ، وأن يكشف[1] لي عن حقيقة أحوالها ومن بقي من قومنا الحبشة في أعمالها ، وصَعَدت إلى ذي جبلة فكشفت عن أحوال المكرَّم بن علي وماهو عليه من العُكوف في لذاته واضطراب جسمه وتفويض الأمور إلى زوجته الملكة السَّيدة ابنة أحمد ، ثم انحدرت من الجبال إلى زبيد فاجتمعت بالوزير ، وأخبرني بأحوال طابت بها نفسي عن أوليائنا وبني عمِّنا وعبيدنا وأنَّهم في البلاد كثير وأنَّهم يعدمون رأساً يثورون معه . قال جيَّاش : وجَرْيت[2] على عادة الهند فأخذت شعر وجهي وطوَّلت أظفاري وشعري وسَترت عيني الواحدة بخرقةٍ سوداء ، وكنت قريباً من الدَّار السلطانية وإذا افترق النَّاس من الصباح قصدت مسطبة علي بن القُمَ ، وهو وزير الوالي من قبل المكرَّم بن علي فسمعته يَوماً وهو يقول : والله لو لوجدت كلْباً من آل نجاح لأملكته زبيداً ، وذلك لشرٌ حدث بينهم[3] وبين الوالي أسعد بن شهاب .

قال جيَّاش : وخرج الحسين بن علي القميُّ الشاعر وهو يومئذ رأس طبقة أهل زبيد في الشّطرنج . فقال لي ياهندي تحسن تلعب بالشطرنج ؟ فقلت : نعم ، فتلاعبنا فغلبته ، فكاد أن يسطوا عليَّ ، ثم دَخَل على أبيه فقال له : غُلبت في الشطرنج فقال له والده : ماهنا من يغلبك إلا جيَّاش بن نجاح ، وقد مات بالهند ، ثم خرج عليٌّ والد الحسين وهو طبقة عالية ، فلعبت معه ، فكرهت غلبه ، فخرج الدسّت[4] مانعا ، فاغتبط بي وخلطني بنفسه وهو يقول في كل يوم وليلة : عجلَّ الله علينا بكم ياآل نجاح . فإذا كان اللّيل اجتمعت أنا والوزير خلف

(١) في (الأصل) : يكشفوا ، والإصلاح من (المفيد) .
(٢) في (الأصل) : أجريت .
(٣) (المفيد) : بينه .
(٤) الدست : هو الذي يكون فيه الغالب في الشطرنج تقول الدست لي والدست علي .

ثم نفترق في أثناء النهار ، وأنا في أثناء ذلك أكاتب الحبشة المتفرقين في الأعمال وآمرهم بالاستعداد ، وحين حصلت حول[1] المدينة خمسة آلاف حربة متفرقة في الحارات . قلت للوزير خَلَف : إنّ لي عند عُمر بن شُحَيم[2] مالاً فخذ مِنْه عشرة آلاف دينار وأنفق في الرجال فقد اجتمعوا ، فَفَعل ذلك ، ثم لقيت الوزير ليلةً . فقلت له : يامولاي[3] القائد أتى أبو عبد الله الحسين بن سلامة في النّوم . فقال لي : يعود إليك الأمر الذي تحاوله ليلة ولادة هذه الجارية الهندية . ثم التفت الحسين إلى جانبه الأيمن . فقال لرجل معه : أليس كذلك ياأمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ويَبْقى الأمر في ولد هذا المولود برهةً من الدهر .

قال جيّاش : ولقد أذكر يوماً أن علي بن القُمّ عاد من دار السُّلطان إلى داره وهو مغتاض فلمّا سكن غيظه ، قال لي : اصْعَد ياهندي حتى ألعب مَعَك ، فلمّا لعبنا جاء الحسين إلى بيته فضرب عبداً له بالسّوط ، فنالني طَرَفه وأنا غافل ، فاعتزيت فكانت عادة لي أقولها عند كل مُهم يتعبني فقلت : أنا أبو الطامي . فقال الشيخ : ياهندي ماسمك ؟ فقلت : اسمي بَحْر . فقال : بَحْرٌ والله يَصْلُح أن يُكنّى أبا الطّامي . فقال جيّاش : وندمت عليها وشآءت ظنوني بالقوم . فقال جيّاش : فلمّا أراد الله رجوع هذا الأمر إلينا تلاعبت أنا والحسين ابن القُم الشّاعر الشطرنج ولَيس معنا إلا أبوه على سرير وهو يعلّم ولده ، قال له أبوه : إنْ غلبت الهندي أوفدتك على المكرّم وعلى السيّدة بارتفاع هذه السّنة ودفعت لك بالوفادة التي يدفعونها لعامل تهامة ، وهي ألوف من الدنانير ، فتراخيت له حتى غلبني ، قصداً في التقرّب إلى قَلْب أبيه ، وطاش الحسين بن علي من الفرح ، فَسَفِه عَليَّ بلسانه فاحتملته لأبيه فمدَّ يده إلى الخرقة التي كانت على وجهي

---

(١) الأصل خلف .

(٢) في (المفيد) : سحيم السين المهملة .

(٣) (المفيد) : إن مولاي .

فأحفظني ، فقام أبوه فَقَبح عليه ، وقُمْت من الغيظ فعثرت[1] وقُلْت : أنا جيَّاش بن نجاح على جاري عادتي ، ولم يَسْمَعني سُوى الشيخ فوثَبَ علي بن القُم حافياً من خلفي يجر ردَاِه حتى أدركني فأمسكني ، وأخرج المصحف فَحلفَ لي بما طابت به النفْس فَحلَفْت له وليْس مَعَنَا أحدٌ ، ثم أمَرَ بإخلاء دار الأغرّ[2] بن الصليحي وفُرِشت وعُلقت ستورها ونُقلَتْ الجارية الهندية إليها وحُمل إليها الوصائف والوصْفان وماعون وأثاث[3] ، وعاقَنَي عِنْده إلى أن أنسَى الليل ، ثم أذن لي في الانصراف ، فدخلت فوجدت الجارية قد وضعت بين المغرب والعشاء ولدي الفاتك .

ثم أتاني علي بن القُمّ ليلاً وقال : خَبَرنا لا يخفى على أسعد بن شهاب . قلت : إن معي في البلد خمسة آلاف حربة . قال ابن القُم لجيَّاش : قد ملكت فاكشف أمرك . قال جيَّاش : فإني أكرَه قتل أسعد بن شهاب لأنَّه طالما قدر على أهلينا وذَرارينا فخلَّى عنهم وأحسن إليهم . قال له ابن القُم : افعل ما تراه ، فضرب جيَّاش الطبول والأبواق وثارت معه عامة المدينة وخمسة آلاف حربة من الحبشة وأسر ابن شهاب فقال : ما يومنا منكم ياآل نجاح بواحد ، والأيَّام سجالٌ بين الناس ومثلي لا يسأل العفو ، فقال له جيَّاش : ومثلك لا يُقتل ياأبا حسَّان ، ثم أحسن إليه جيَّاش وأولاه خيراً وسَيّره بجميع ماملك من أهل ومال . قال جيَّاش : وسُلمت دار الإمارة بما فيها صبيحة الليلة التي وُلد فيها فاتك ، وصَحَّ ما كان الحسين بن سَلامة أخبرني به في النَّوم من رجوع الأمر إليَّ عند ولادة الحامل التي كانت عندي .

---

(١) (المفيد) : فاعتزيت .

(٢) (المفيد) : الأعز .

(٣) (المفيد) : ماعوناً وأثاثاً .

ثم لم يمض شهر حتى صرت أركب في عشرين ألف حَرْبة من عبيدنا وبني عمنّا الذين كانوا مستضعفين في البلاد ، فسبحان المعز بَعْد الذلّة والمكثر بعد القلْة ، ولم يكن من المكرَّم بعد ذلك كثر نكاية في جياش أكثر من غارات على أعمال زبيد ، وفي هذه الحال يقول الحسين بن القُم الشاعر يخاطب جيَّاشاً حين قتل قاضي القضاة الحسن بن أبي عقامة :

تَفرّ إذا جر المكرَّم رمحــه ... وتشجع فيمن ليس يجلى ولا يمري

وفيه أيضاً من قصيدة يأتي ذكرها :

أخطأت ياجيَّاش في قتل الحسن ... فقــأت والله بــه عين الـزمن

ولم يزل جيَّاش بن نجاح مالكاً لتهامة من سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة إلى سنة ثمان وتسعين وأربع مئة ، ثم مات في ذي الحجة منها ، وترك من الأولاد الفاتك من الهنديَّة ومنصور وإبراهيم وعبد الواحد والذّخيرة ومعاركاً . وقيل مات جَيَّاش سنة خمس مئة في رمضان منها ، والأول أظهر . وولّى بعده ابنه الفاتك وخالف عليه أخوه إبراهيم بن جيَّاش وكان إبراهيم بن جيَّاش فارساً جواداً متأدباً فاضلاً . وخالف عليه أيضاً أخوه عبد الواحد بن جيَّاش ، وكان العسكر تحبّه وتأمنه ، وجرت بينهما وقائع وحروب واقتسمت عبيد أبيهم عليهم ، وآلت الحال إلى أن ظفر فاتك بن جيَّاش ، [وأخيه عبد الواحد فعفا عنه وأكرمه وأغناه وأرضاه ، وأما إبراهيم بن جياش فنزل][1] بأسعد بن وائل بن عيسى الوحاظي ففعل معه من الإكرام مالم يسبقه إليه أحد ، ومات فاتك بن جياش سنة ثلاث وخمس مئة ، وترك ولده المنصور بن فاتك بن جياش صغيراً دون البلوغ فملكته عبيد أبيه ، وحشد إبراهيم بن جَيَّاش بعد موت فاتك على أخيه وهَبَط إلى تهامة ،

---

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المفيد ٢٠٨) وفيها إلتباس .

فالتقى هو وعبيد فاتك [فتواقعوا على قرية يقال لها الهويب وحين خلت زبيد من عبيد فاتك][1] واشتغلوا بإبراهيم بن جياش .

وثار عبد الواحد بن جيَّاش في زبيد فملكها ، وحاز دار الإمارة وخرج الأستاذون والوصفان بمولاهم منصور فاتك وأدلوه من سور البلد ليلاً خوفاً عليه من عبد الواحد ، ولحق المنصور بعبيد أبيه فاتك ، وتسلّل الناس عنه وعنهم إلى عبد الواحد بن جيَّاش حين ملك زبيداً ، وكانت العساكر تُحبُّه[2] ، ولمَّا رأى إبراهيم بن جيَّاش أنَّ أخاه عبد الواحد قد سبقه إلى الأمر والحصول على زبيد توجَّه إلى [الحسن][3] ابن أبي الحفاظ الحجوري وهو يومئذ بالجريب[4] ، وبنو أبي الحافظ من بني جريث بن شراحيل وهم يعودون إلى همدان ، وأمَّا عبيد فاتك فإنَّهم نَزَلوا بالملك المفضَّل بن أبي البركات الحميري صاحب التعكر وبالحرَّة السيدة الملكة بنت أحمد الصليحي بذي جبلة فأكرما[5] مثواهم ، ثم التزمت عبيد فاتك المفضل بن أبي البركات بربع البلاد على نصرتهم من عبد الواحد بن جيَّاش ، فأخرجه من زبيد وملَّكها لهم ، وهمَّ المفضل أن يغدر بآل فاتك ويملك البلاد عليهم حتى بلغه أن حصن التعكرَّ قد ملكه جماعة من الفقهاء واستولوا منه على ملك لا ينبغي [لأحد][6] مثله ، ففارق المفضَّل زبيد يُريد الجبال لا يلوي على

---

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المفيد ٢٠٨) .
(٢) (المفيد المطبوعة ٢٠٨) : تحبه وملكه .
(٣) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المفيد) .
(٤) الجريب : قرية من بلاد حجور الشام وهي مقر السلاطين بني الحفاظ الحجوري .
(٥) (المفيد) : اكرمت .
(٦) ساقط من (المفيد) .

أحد ، حتى كان ماقدّمنا ذكره[1] من قتل [نفسه][2] بالسّم لمّا نَظَر إلى حظاياه بين الرجال وهن في المصبّغات والطارات بأيديهن وهن يغنّين .

ثم إن الأمر في تهامة استقر لمنصور بن فاتك ولعبيد أبيه ، فمن أولاد فاتك الأمراء ومن عبيده الوزراء ، فأمّا الأمراء فمنهم المنصور بن فاتك ، ثم فاتك بن المنصور وهو من الحرّة الصالحة الحاجة[3] ، ثم لمّا مات فاتك ولدها من[4] المنصور انتقل الأمر إلى ابن عمّه واسمه [أيضاً][5] الفاتك بن محمد بن منصور بن فاتك بن جيّاش ، وانتقل الأمر إلى هذا فاتك ابن محمد سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة ، وقتله عبيده سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة وعنهم زالت الدولة إلى علي بن مهدي الخارج باليمن في رجب سنة أربع وخمسين وخمس مئة ، ولم يكن لأولاد فاتك بن جيّاش من الأمر سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العبّاس والسكّة والركوب بالمظلة في الموسم ، وعقد الآراء في مجالسهم ، وأما الأمر والنّهي والتدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء ، وهم عبيد فاتك بن جيّاش وعبيد منصور إبنه ، وهم وإن كانوا حبشة ، فلم تكن ملوك العرب تفوقهم في الحسب إلا في النّسب ، وإلا فَلَهم الكرم الباهر والأمر[6] الظاهر والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة[7] .

(١) وهذا سَهْو آخر يقع فيه المؤلف نتيجة اعتماده على النقل دون تمحيص لأنّه لم يسبق أن ذكر قتل المفضل المذكور نفسه بالسم ، بل لم يسبق ذكر حادثة الفقهاء بالتعكر أصلاً ، وإنما نقل كلام عمارة في مفيد ٢٠٩ بالحرف الواحد ، وقد كان عمارة سبق له ذكر فقهاء التعكر مع المفضل في صفحة ١٥٨ من تاريخه المذكور ، فليعلم .

(٢) زيادة من المفيد .

(٣) المفيد الحجاجة .

(٤) المفيد (بن) .

(٥) زيادة من المخطوطة على (المفيد) .

(٦) (المفيد) : العز .

(٧) (المفيد) : المأثورة .

[ذكر وزراء آل نجاح][1]

وأول من وزر منهم أنيس الفـاتِكي[2] وكان من بطن في الحبشـة يُقـال لهم الجزليون وملوك بني نجاح من هذا البطن ، فكان أنيس هذا جباراً غشوماً مهيباً شجاعاً مشهوراً جواداً ، وَلَه في العرب وقعات تحاموا تهامـة من أجلها ، ثم طغى أنيس هذا وبنى داراً واسعةً أرضية ، عرض كل قاعة منها ثلاثون ذراعاً وعرض كل مجلس فيها أربعون ذراعـاً ، وهي قصور واسعـة ، وعمل لنفسـه مظلَّـة للركوب ، وضَرَب السكَّة باسمه ، وهم أنْ يفتك بمولاهم[3] المنصور بن فاتـك فـاشتهر الأمر وانتهى[4] التَّـدْبير من نـدمـائـه لعبيـد فـاتـك ، فـدبَّروا عليـه الرأي حتى عمل منصور بن فاتك مولاهم لهم ولـه وليمة في [قصر][5] الامـارة ، واستـدعى أنيساً إليه ، فلَمَّا حَصَل عندَه قطع رأسَه واستصفى أمواله وحريمه ، ومِمَّن صار إليه بالابتياع في وزارة أنيس جارية حبشيةٌ يقال لها عَلَم ، وكانت مغنيَّة واستولدها المنصور ولداً يـدعى فـاتكاً وهي الحرَّة الصالحـة[6] التي كانت تحجُّ بـأهل اليمن براً وبحراً في خفارتها من الأخطار والمكوس .

ومن جملـة الوزراء بعـد أنيس هـذا ، الشّيخ أبو منصور مَنُّ الله الفـاتكي وهو الذي سوَّر زبيد بعد الحسين بن سلامة وأفعاله مستوسقةٌ[7] له وعليه ، فأمَّا الـذي

---

(١) هذا العنوان زيادة من المؤلف على (المفيد) .

(٢) في (الأصل) الفازكي بالزاي والإصلاح من (المفيد ٢٠٩) ، قلت : لعله كذا في الأصل المخطوط من (المفيد) بدليل تفسير المؤلف لهذا الاسم فيما بعد .

(٣) في (المفيد ١٠٢) ط حسن سليمان : مولاه .

(٤) (المفيد ١٠٢) فاشتهر الأمر والنهي والتدبير ، وفي ط الأكوع ٢١٠ : فاشتهر الأمر من نـدمـائـه بعبيد فاتك .

(٥) ساقط من (الأصل) .

(٦) هي المذكورة قبل قليل بالحاجة ، وقد توسع عمارة في ذكرها في كتابه النكت العصرية .

(٧) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) ط حسن سليمان : مستوثقة . و ط الأكوع : ٢١٠ : مقسومة .

له ، فالكرم الباهر والشجاعة والهيبة وهو الذي كسر ابن نجيب الدولة على باب زبيد ، وقتل من أصحابه مئة من العرب وثلاث مئة أرحبي [١] وخمس مئة أسود ، وَلَه وقعَةٌ أخرى مع أسعد بن أبي الفتوح قُتل فيها من العرب ما ينيف على الألف ، وهو الذي تصدّق على مدارس الفقهاء الحنفيّة والشافعية ، ثم أغناهم عمّن سواهم من الأراضي والمرافق والرياع . وكان يثيب على المدح ثواباً جزيلاً ، حتى قال الفقيه أبو عبد الله بن محمد التهامي رحمه الله تعالى ، وكان يؤدب أولاد الوزير منّ الله قال : أذكر أني جلّدت ممّا مُدّح به الوزير القائد عشرة أجزاء كبار من [شعر] المجيدين المشاهدين [٢] . وهو الذي أخرج أحمد بن مسعود الجزلي ومُفلح الفاتكي وكانا كبْشي الكتيبة وصاحبي الحل والعقد بزبيد ، فَشَردهما خوفه في الجبال كل مشرّد ، وبخروجها دانت له الدنيا وعلت كلمته .

وأمّا الذي عليه من أفعاله فإنّه وَزَر بَعْد قتل أنيس منصور بن فاتك بن جيّاش سنة تسع عشرة وخمس مئة ، فلم يقدم شيئاً [٣] على أن قتل منصوراً مولاه بالسّم ، وملك ابنه فاتك بن منصور ، وهو يومئذ [٤] طِفْل صغير ، ومات منصور بن فاتك وأبوه فاتك بن المنصور وجدّه فاتك بن جيّاش وغيرهما من آل نجاح عن أكثر من ألف سرية ما منْهنّ أحد سَلَم من الوزير منّ الله إلا عشر نساء من حظايا منصور بن فاتك منهن الحرّة الملكة أم فاتك بن المنصور فإنها اعتزلت القصر وسكنت خارج المدينة ، وبنت لها داراً لا يتطرّق الوزير إليها لعذر ولا سبب ، هذا والملك لولدها ولكنّها حسمت المادة بالبُعد عن قصر ولدها ، وكفلت كفالته إلى عبيد أبيه الأستاذين ، ومنهنّ أم أبي الجيش وهي مؤلّدة

---

(١) كذا في الأصل ، وفي طبعتي المفيد أرمني ، قلت : يحقق إذا كان للأرمن وجود باليمن .

(٢) كذا في الأصل والذي في المفيد المتاهير .

(٣) في (الأصل) : أنيساً ، والإصلاح من (المفيد) .

(٤) في (الأصل) : بزبيد ، والإصلاح من (المفيد) .

وكانت لها بنت من منصور بن فـاتـك وسُميت أم أبي الجيش ، أيضـاً الحرَّة بسبب هذه البنت ، وكانت فائقـة بـالجمـال وحسن الغنـا ، وتزوّج بنتهـا السلطـان عبـد الله بن أسعـد بن وائـل الأحـاظي التي كانت رزقتهـا من المنصـور بن فـاتــك ، ومنهنَّ الحرَّة ريــاض ، ومنهنَّ أم أبيهــا ، ومنهنَّ جنــان الكبرى ، ومنهنَّ تمنى ، وما أدراك ما تمنى جمالاً وأجمالاً ، ولم يكن لأم فـاتـك ضُرّة سواهـا . ولّمـا أراد الله هلاك مَنّ الله حاول بنت معارك بن جيَّاش وراودهـا وكانت موصوفـة بـالجمـال ، فافتدت نفسها منه بأربعين بكراً من جواريها ، فاتكاً[1] عليها فكشفت أمرهـا إلى عبيد عمِّها فاتك وعبيد عمِّهـا منصور ، فهـابوه ولم يقـدروا على شيء . فقـالت لهم الحرَّة أُم أبي الجيش : أنـا أكفيكم أمره ، ثم استخرجت ابنـة[2] معـارك بن جيَّـاش التي راودهـا الوزير من قصر الإمـارة إلى قصرهـا ، ثم أرسلت إلى منَّ الله تقـول : إنَّك أسأت السمعة عليك وعَلينا فيما تقدَّم ، ولو كنت أعلمتني خدمتك أتمَّ خدمة ، ولم يَعْلم بك أحَدٌ ، فَفَرِح الوزير بذلك وتواترت الرسائل بينه وبينها حتى قـال : فإني أزورك إلى دارك في هذه الليلـة متنكراً . فقـالت لرسولـه : إن الله قـد أجلَّ قـدر الوزير عن ذلـك ، بَلْ أنـا أزوره في داره ، فلمَّـا أمسى الليل جـاءت إليـه ، فبعثت لـه فَشَرب وطَرِب ومكنتـه من نفسهـا فـوقـع عليهـا ومسَحَت ذكره عنـد الفراغ بخرقـة فيهـا سُمٌّ قـاتل فتهرى ومـات من ليلتـه ، فَـدفَنـه ولـده منصور في اصطبله وسوَّى به الأرض فَلا يُعرف له قَبرٌ إلى اليوم ، وكانت وفاتَـه ليلـة السبت الخـامس عشر من جمـادى الأولى سنـة أربع وعشرين وخمس مئـة ، ثُمَّ وزَرَ بعـدَه لفاتك بن المنصور زُريق الفاتكي ، وكان شجاعاً كريماً . أمَّـا شجـاعتـه فقـال لي يوماً محمد ابن عبد الله اليـافعي ثم الحميري وكان كاتب زريق قـال : رأيت زريقـاً

---

(١) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) : فأبى .
(٢) في (الأصل) : امرية والاصلاح من (المفيد) .

الفاتكي يوم الجشيعة[1] وكان لمفلح على أهل زبيد ، وقد اشتجرت فيه سبعة رماح وهو مضاعف درعين فحصَّل[2] أكثرها بسيفه واندَّق فيه رُمْحان وهو ثابت في سَرْجه ، ومفْلح ينادي اعقروا به الفرس وإلا فما يسقط الأرض ، ثم حمل علي مِفْلح [فضربه ضربة][3] وقعت في مقعد [الرديف من][4] فرس مِفْلح فقسمت الفرس نصفين وسقط مفلح حتّى ردَّت عليه بنو مشعل وهم عَرَب .

وأمَّا الكرم[5] فَكَان أكثره على الشعراء ولم يكن في زمانه من يقدر على ما يقدر عليه من الأكل حتى كان يضرب به المثل ، وكان له بنون ذكور[6] وإناث ثلاثون ولداً وتناسخت[7] فريضاتهم وفريضة مَن مات من أولاده وأولادهم قبل القسمة وانتشرت واتسعت حتى لم يقدر أحد من العلماءأن يقْسمها ، وكان الوزير مِفْلح والوزير إقبال والوزير مسعود الفاتكيون أراد كل واحدٍ أن يبتاع من ورثة الوزير زريق أراضي ورياعاً ، فَلَمْ يصلوا إلى ذلك لعدم القدرة على [صحة][8] سهام كل وارث .

ولمَّا كان في سنة تسع وثلاثين قال عمارة[9] : وجدت في عدن شيخاً من أهل حضرموت يُسمَّى أحمد بن محمد الحاسِبْ ، وكان حاسباً فرضياً قد جاوز الثمانين

(١) كذا في (الاصل) وفي (المفيد) ط الأكواع ٢١٢ : يوم الجيعة ، و ط حسن سليمان ١٠٥ : يوم الجمعة .

(٢) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) ط الأكوع : فحصد ، و ط حسن سليمان : فحص .

(٣) ساقط من (الأصل) .

(٤) ما بين المعقوفتين لم يظهر في التصوير فأضفناه من (المفيد) .

(٥) (المفيد) : كرمه .

(٦) في (المفيد) ط حسن سليمان ص ١٠٥ ، بين ، و ط الأكوع ٢١٢ بنين .

(٧) التناسخ في الميراث : أن يموت ورثة بعد ورثة . وأصل الميراث قائم لم يقسم ثم لا يقسم إلا بعد أجيال .

(٨) ساقط من (الأصل) .

(٩) في (المفيد ٢١٣) .

وهو يرُيد الحج وكان بـه ضَرورة[1] ولم يملـك منـذ خلقـه الله تعـالى عشرة دنـانير ولا يُصدِّق من يقـول رأيت ألف دينـار لأنَّـه كان نـاشئـاً في بـلاد كنْـدَة ممـا يلي الرمـل ، فـانكسر مركبٌ في سـاحـل البحر[2] المجـاور لهم ، فَـوقَـع منـه إلى رَمْـل كندة ، رجل عالم وهو شيخ هذا الحاسب . [قال][3] : فأخـذت هـذا الفقيـه إلى منزلي بعدن [وكسوته وأمرت من كان معي بإكرامه][4] وإطعامـه وتنظيفـه من فضلات [البدن وخضاب لحيته وأطرافه بالحناء][5] .

فلَمّا حسنت حالته عادلني في محمل من عدن إلى زبيـد ووعـدتُـه أن أحجَّ بـه معي وأكْفيه كل مؤنة ، ففرح بـذلـك ووثق بي وسكن إليَّ ، وذاكرتـه ليلـة ونحن على الجمل فريضة بني زريق وهي إحدى وخمسون بطناً فاندفع فيها كأنـه يحفظهـا غَيْباً حتى طلع الفجر ولم يأخـذني نوم لفرط المسرَّة بعلمـه ، ثم قـال : إن شئت أن تترك السفر هـذا اليوم وتقيم على هـذا البئر ثم أصلي صـلاة الظهر إلاَّ وقـد صحَّت الفريضة وعرَّفتك بسهام كل واحدٍ من الورثة على الانفراد ، ففعلت ذلك فنـاولني الفريضَة مكتوبة بخطِّه عند الغـداء ، ووالله لقـد طـال مـا اجتمع عليهـا عثمان بن الصفَّار ومحمد بن علي السهـامي[6] ونظراؤهمـا ومـا منْهُم إلاّ من يرى أن ابن اللبـان[7]

---

(١) حج الصرورة بالصاد المهملة : الرجل يحج عن الغير قبل أن يحج عن نفسه .

(٢) هذه اللفظة لم تظهر في نسختنا المصورة .

(٣) ساقط من مطبوعتي (المفيد) .

(٤) ساقط من (الأصل) .

(٥) مابين المعقوفتين لم يظهر في التصوير .

(٦) الأخير ذكره ابن سمرة في (طبقات فقهاء اليمن) ٢٤٢ مكتفياً بالاسم فقط .

(٧) هو محمد بن عبد الله بن الحسن البصرى الفرضي المعروف بابن اللبان إمام عصره في قسمة الفرائض والتركات توفي سنة ٤٠٢ (طبقات الفقهاء للشيرازي ١٢٠) ط إحسان عباس وطبقات الشافعية للسبكي ٦٤ ، والعبر ٤٥١/٢ ، وطبقات فقهاء اليمن لابن سمرة هامش ٨٤ ، وقد أخذ عنه الفرائض من أهل اليمن ببلده البصرة الفقيه محمد بن يحيى بن سراقة .

من أتباعه في علم الفرائض والوصايا[1] والدور[2] والجبر والمقابلة والزمان المتطاول يصْنَع الوزراء لهم الولائم في المنازل ، ويوسِّعون لهم في الصلاة ثم يفترقون فيها على غير شيء . ولَمَّا وصلت إلى زبيد أسكنت الفقيه في آخر الدَّار بحيث لا يراه أحَدٌ غيري ، وكنت بالليل أقرأ عليه الفرائض وبالنَّهار أقرأ عليه حرف أبي عُمرو ابن العلاء في القرآن العظيم ، وكان فيما يقرأه القرَّاء السبعة ، ثم أخذت أكرِّر المسألة التي لورثة زريق إلى أنْ صرت أتحدَّث بها مع نفسي غيباً ، ثم تقدَّمت إلى القائِد سرور الفاتكي فادعيت عَنْده [معرفتها] وهو من أشدّ الناس حِرْصاً على الابتياع من آل زريق ، فقال : إن [صحت دعواك] دفعت إليك كذا وكذا مبلغاً قَدْ أنسيته فلَمَّا صحَّت [أحضر المال] فدفعه إلى الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي القاسم الآبار وهو [رأس الشافعية يومئذ بزبيد بل باليمن][3] وعليه قَرَأْت المذهب ، ثم جَمَع الفقهاء إلى قاعات أرضية مفروشةً بحر الرمل وجَلَس كل قوم يضربون في الرمل ناحيةً عن غيرهم فإذا صحَّ لهم بطن نقلوه من الرمل إلى الأوراق ، إلى أن صحَّت لهم الفريضَةُ جميعاً ، ولم نَبْرح من هناك حتَّى قسَّم المال بين الفقهاء وأجزل نصيبي منه ، ورجعت إلى منزلي فأحضرت المال إلى الفقيه الحضرمي ، فقال : أستغفر الله يا ولدي فقد كنت أكذِّب من قال : إنَّه رأى مئة دينار ، ثُمَّ دَفَع المال إليَّ وقال : لا حاجة لي به وأنت تكفيني ، فحججت به ومَات رحمه الله بعد قضاء الحج ، ولَمَّا همَّت الحبشة بقتلي[4] في أهل زبيد في سنَة خمسين قال لهم القائِد سرور : أليس هو صاحب مسألة زريق ، لا والله ما يُقتل ، وأمَّا زريق فَلم يكن له نفاذ في سياسَته العسكرية ولا خِبْرة في إقامة

---

(١) الوصايا : هي كالولاية على العاجز أو ما يوصى به بعد الموت من علم الفرائض .

(٢) الدور : في علم الفرائض هو الحاصل بالإقرار كأخ أقر بابن للميت ثبت نسبه ، ولا يرث فإن توريثه يؤدي لعدم توريث الأخ ، انظر كليات أبي البقاء ٣٢٤/٢ م ط دمشق .

(٣) سواقط من المصورة .

نواميس السلطنة ، فَلَمْ يلبث مدّة حتى استقال من الوزارة واستدعى لها الوزير أبا منصور مِفْلح الفاتكي ، وكان غائباً في الجبال .

وزارة مفلح الفاتكي

أمَّا جنسه فبطن من الحبشة يقال لهم سَحْرت ، وكان يكنّى أبا منصور ، ومنصور ولدٌ له ، وكان منصور هذا رشيداً من الأعيان أهل الخبرة والتفقّه والأدب والصَّباحة والسماحة والشجاعة والرئاسة الكاملة ، وكان الناس يقولون : لو كان له نسبٌ من قريش كملت له شروط الخلافة ، وكان عبيد فاتك وهم صغار ينبزون مفلحاً بالبغل لأنه كان يدلي آلة مثل التي يُدليها البغل وكان مع ذلك عفيف الذيل لم يُعْرف له صبْوة[٢] في صغر ولا كبر ، قال[٣] حمير : ولقد ذكر يوماً من عفافه أنه دعاني وهو وزير فقال : قد تنكّد عليَّ العيش لما أسمعه كل حين من غناء وردة جارية الأمير عثمان الغزِّي ويُوصَّف لي من جمالها ، ولقد انسدت عليَّ الحيلة في حصولها عندي . قلت له : إن كنت تريدها سفاحاً بذلت وسعي في خدمة الوزير فقال : « والله ما عصيت الله تعالى بفرجي منذ خلقت » قلت : فبكم يشتريها الوزير ؟ قال : بكل ما يقترح مولاها . وكان مولاها أميراً جليلاً كبير القدر وله وجاهة ومنزلة في الدولة ثم هو مقدّم الغز الذين استَدْعاهم الملك جيّاش لمحاربة سبأ بن أحمد الصليحي ، وعثمان أميرهم وشيخهم وهم أربع مئة فارس رُماة ، وبهم امتنعت دولة الحبشة عن العرب ، وكان الملك جيّاش استدعى منهم ثلاثة آلاف قوس ، فلما فصلت عن مكة ألفان إلى زبيد ندم جياش على رأيه ، وعلم أنّهم يخرجونه من البلاد ويستولون عليها ، فتقدّم جيّاش على ولاته

---

(١) يعني عمارة نفسه .

(٢) (المفيد) ط الأكوع صبورة .

(٣) هو حمير بن أسعد ذكره في (المفيد) .

الذين أمَّرهم[١] على الغز بمكيدة[٢] أن يطرحوا لهم السموم فيما يـأكلون ويشربون ، فمـات منهم بشر كثير وخَلَص منهم إلى زبيـد ألف فـارس أو دونهـا ، فجهَّـز منهم خمس مئة فارس إلى الجبال ففتحوا منها ما وطئ الحافور .

ولَمَّا حصلوا في بون صنعاء دسَّ عليهم جيَّـاش من قتلهم بـالسُّمِّ وفرّق كلمتهم بالحروب والأموال ، وبقيت عندَه بتهامة أربع مئة وخمسون فارساً فأقطعهم وادياً واسع الأعمال يقال له ذؤال ، ورعيته عك والأشـاعر ، وعرضـه يوم ، وطولـه من الجبل إلى البحر يومان أوْ دونها ، وبينه وبين مـدينـة زبيـد يوم واحـد ، ولم تزل الغُز يستعملون خراج هذا الوادي من سنة ست وثمـانين وأربع مئـة إلى سنـة أربع وعشرين وخمس مئـة ، فـأثْرت الغز وحسنت أحوالهم وتّملكوا ، ورئـاستهم تنتهي إلى شاور[٣] وطيْطاس وهـذا عثمان ، ثم مـات الإثنـان وبقي عثمان هـذا ، ولم يبق من الغز إلاَّ مئـة فـارس شيوخ ، وأمَّـا أولادهم المولودون بزبيـد ، فلم يفلحـوا ولا جاء منهم بَأس يُتقى ولا معروف يُرتجى .

قـال الشيخ بن أسعـد : ففكرت في حيلـة أتـوصَّـل بهـا إلى غرض الـوزير ، فوجـدتهـا وهي أنّي قُلت للـوزير : تـأمُره[٤] بنقض قِسْمـة الأعمـال القـديمـة فـإن الرِّجال التي كانت تَنْفع قـد مـاتت وبقيت الإقطـاعـات الجيـدة في أيـدي أولادهم الذين لا ينفعون وتصلّب في ذلـك ، وتقـدَّم على النَّـاس بـالحشود من الأعمـال إلى زبيد وتنقل قوماً إلى عمل آخرين . قال حمير : فلمَّا فعل ذلك الوزير ضـاق الأمر على جماعة من أكابر الدّولة ، ولا كضيقه عَلَى عثمان الغُزي ، فإن أموال الغُز الذين ماتوا من رفاقته صارت إليه ، فلمَّا همَّ عثمان أن يخرج من زبيد فين معه من قومـه

(١) (المفيد ٢١٦) : تمرهم .

(٢) (المفيد) : بمكة .

(٣) (المفيد) : سولي .

(٤) في الأصل : تامر .

ويشقّ العصاء دخلت إليه وشربت عنده وغنّت لي وردة وغيرها ممن عنده ، ولم يكن أحد من أهل تهامة يحجب عن حمير مغنّية ولا أم ولد ، لأنّ أكثر سراريهم ومغانيهم ممن هو تخريجه وتربية داره وتعليمه الغناء والطبخ وخياطة الثياب وعمل الطيب ، ونادم وخدم جماعة من ملوك الجبال ، ثم ترك تهامة فاختصّ بصحبة أحمد بن مسعود بن فرج المؤتمن صاحب حَيْس ، ثم كتب بعده للشيخ منّ الله الفاتكي ، ثم كَتبَ للشيخ أبي المنصور مفلح الفاتكي ، ومن عند هذا أحمد يبتاع السُّم الذي تقتل به الملوك ، لأنّ له إخوةً وأعماماً في بلاد بكيل وحاشد ينبتون هذا الشجر في بقعة من الأرض ليست هنالك إلاّ لهم ، وهي بين حصونهم يحتفظون[١] بها ويحتفظون[٢] عليها ، كما يحتفظ بالدّيار المصريّة بالشّجر الذي منه دهن البلسان[٣] وأوفى ، وكلّ من مات بالسّم من ملوك بني نجاح ووزرائهم فمن عند حِمْير بن أسعد ، حتى كانوا إذا نادموه قالوا له : ياأبا سبأ نأكل ونشرب ونحن حسبك[٤] ، فيضحك ويقول : نعم ، وكان حلو المحاضرة ، كثير المحفوظات ، حسن البادرة ، كثير البذل في ذات الله ، وفي سبيل المعروف ، يترسّل بين الملوك من الحبشة ، فيرفع الخلل ، ويُهوّن الجلل ، ثم سكن الكدرا عند القائد إسحاق بن مرزوق السَّحرتي فأكرمه وخَلَطه بنفسه ، وبها مات سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة وقد جاوز السّبْعين ، وكان ينزل عندي[٥] إذا دَخل زبيد أو عند غيري من أصدقائه ، ولم يكن بها أهله ، وبهذا السّبب يسترسل معنا[٦] حمير .

(١) (المفيد) : تخزن .

(٢) (الأصل) : يشحنون ، و (المفيد) ط الأكوع : يشبحون ، والإصلاح من ط لمفيد حسن سليمان .

(٣) لبلسان : شجر أبيض الزهر يستعمل في الأدوية .

(٤) بمعنى : الله حسيبك .

(٥) يعني المتكلم صاحب النص المنقول عنه ، وهو عمارة ، لأن المؤلف من أهل القرن الثامن وليس السادس .

(٦) (المفيد) : معي .

فلمّا أخذت النَّشوة من عثمان مأخذها قال لي : كنت حريصاً على لقائك [طمعاً][1] في صَلاَح أحوالنا مع هذا العبد الطّاغي ، وتركنا على أقطاعِنَا وأملاكنا الّتي لم نستفدها في أيّامه ولاَمِنْ إنعامه . قلت له : إنّه مع ما فيه من الإعجاب والتكبُّر حَسَن الباطن قريب الرّجوع ، وأنا أجتهد في غدٍ إن شاء الله تعالى إذا عاد[2] من الصَّباح على مولانا أن يَصِلْ ضيفاً عندك ، وأنا أعلم أنّه إذا أكل من طعامك وشرب شرابك وغناء حريمك له ، اسْتَحيا منك وخجل وعاد عما في نفسه ، فكاد عثمان يطيرُ فرحاً ولم يُصدّق أن الوزير يزوره ، وأشرت على عثمان أن يتطفَّل في الليل ويركب إلى داره ، ويقول : ضيف يشتهي أن يتشرَّف بالسماع والشراب . قال : فلمَّا أمْسَينا ووصل عثمان إلينا أشرت على الوزير أن يُخْرِج المغاني والوصائف الساقيات[3] علينا ، ففعل ذلك وَوَعده أنّه في غدٍ ضيفه ، فَحمل لي عُثمان في تلك الليلة مالاً جزيلاً ووعدنا[4] بالرّكوب من دار مولانا إلى دار عثمان ، [فلمَّا حَصَل ذلك][5] وجدنا أسمطة واسعة عددت في واحد وثلاثين خروفاً مشوياً وثلاثين جاماً[6] من الحلاوة ، وأمَّا الذي جَلَس الوزير عليه فكان في طول القاعة نحو البستان الذي لعثمان وهي خمسون ذراعاً ، فلمّا رأى الوزير ذلك امتعض حسداً لعثمان على هِمّته وسرعة ما يأتي به من ذلك[7] الأسمطة ، وكانت أربعة ، ثم فَرّق على حواشي الوزير ثلاثة أبهرة[8] سُكر وهي تسعة قناطير.

---

(١) ساقط من (الأصل) .

(٢) (المفيد) : دعاني .

(٣) (الأصل) : الينافتات ، والإصلاح من (المفيد) .

(٤) (المفيد) : وعدنا .

(٥) ساقط من (المفيد) .

(٦) (الأصل) : حلياً .

(٧) (المفيد) : تلك .

(٨) جمع بهار : عدل فيه أربع مئة رطل ، قال أبو عبيدة والبهار من كلامهم ثلاث مئة رطل ، وأحسبها غير عربية ، وأراها قبطية .

ثم انتقلنا إلى مجلس الشراب وكنّا سبعة وأنا السّاقي ، فأسكرت الخمسة الذين حضروا ، فلمّا انصرفوا قلت لعثمان : إنّك بهيمة لاعقل لك ، أترى الوزير إنّما زارك لأكلة أو شربة ؟ فما أقصر همتك وأعمى بصيرتك . قال : فدبِّرني ، قلت : اعرض عليّ ماعندك ؟ فَذَكر الخيل والعدد والألطاف والذخائر ، فأظهرت له في كل شيء نقيصة وقبَّحته عليه . قال : فماترى ؟ قلت : انظر هدية لاتخبأ في الخزائن ولا تغيب عن عينيه ، فإن المقصود أن يذكرك بهديتك كلّما نظر إليها . قال : ماعندي سوى وردة وهي رُوحي فإن كانت تصلح له نزلت عنها ، وإنْ كنت أموت . قلت : إن قبلها فهي ممايَصْلُح . قال : فتحدَّث معه فيها ، فإن قَبلها فلك عندي ألف دينار ، ثم أمر بإحضارها عاشرة عشر فقبَّلن يد الوزير ثم اندفعن يغنين بين يديه مكشوفات الوجوه ، وأوصيت الوزير أن يَعْرِض عن وردة ويستحسِن غيرها ، ففعل فكان ذلك مماقوّى عزيمة مولاها في قبولها منه .

فلمّا سكر عثمان ونام ، وسكرت النسوة إلاّ وردة فإنّي كنت أريد صحوها ، فقمت إلى المستراح واستدعيت وردة فأعلمتها القصة ، فقالت : لاأرغب إلاّ في مولاي ، فاستدعيت الوزير إلى مجلس ودخلت أنا ووردة [إليه][1] فوعدها ومنّاها ، وهممت بالخروج عَنْهما ، فأمسكني وقال : والله لا يكون هذا أبداً ، ثم عدنا جميعاً إلى المجلس ، ووالله ماملأ عينه منها ولامكّنها من يده عند السّلام ، فلمّا صَحا مولاها استأذنّاه في الخروج ، وكان ذلك عند العشاء الأخير ، فلم يخرج إلاّ ووردة بين أيدينا . فأمّا عثمان فأصبحت [2][فغدوت إليه للألف الذي كان وعدني به وحجج لي بها إلى ضيعة ذؤال التي له][3] فأعدت إليه الألف الدينار الذي دفعها إليّ وسألته في ضيعة من ذؤال فوقَّع لي بها ، وأمّا الوزير فأحضرني

---

(١) ساقط من (الأصل) .

(٢) ساقط من الأصل والزيادة من (المفيد) .

(٣) ذؤال : من أودية تهامة فيما بين وادي رمع ووادي سهام (الحجري ٣٥٠) .

ليلة[1] وخَلَع عليَّ وقال : إن بنتك وردة أقسمت عليَّ لادنوت منها حتى ترضي حمير . قال : فماالذي يرضيك ؟ قلت : ضَيْعة العبادي . بما فيها من زرع وما لها من أنفار[2] فوقَّع لي بها وهي الضيعة التي لا ضيعة على مالكها .

ونعود إلى أخبار الوزير مفلح فمنها ماحدَّث به الشَّيخ أبو الطامي جيَّاش بن إسماعيل البُوقا . قال : قَدِم علينا إلى زبيد في أول وزارة الشيخ القائد مفلح أبو المعالي بن الحبَّاب من الديار المصريّة فابتاع وصيفاً حبشياً برسم الخدمة ، ثم هرب الوصيف وتعلّق بغلمان الوزير مفلح فكتب أبو المعالي إلى الوزير بسبب غلامه بيتين من الشعر وهما :

وأنت سحاب طبّق الأرض صَوْبَه ... وعاقته عن سقياي إحدى العوائق[3]

فإن لم تجدني[4] هاطلات غمامه ... فلا تدن منّي محرقات الصَّواعق

فلمَّا وقف منصور بن مفلح على البيتين أعجب[5] بها ، وتنبَّه عن فضل أبي المعالي ، واستدعى الغلام فَرَدَّه إليه خامِسَ خَمْسَة من جِنْسِه ، ثم استدعى أبا المعالي وأمره أن يَمْدح الوزير بقصيدة ففعل ذلك فأحضره إليه حتى أنشده ودَفَع إليه خمس مئة دينار ، وَوَصله أيضاً منصور بن مفلح من عنده بثلاث مئة دينار ، ثواباً على قصيدةٍ أخرى مَدَحه بها وحَمَله إلى مكَّة حَرَسها الله تعالى . وأمَّا أحوال مفلح مع[6] العسكر ، فإن قصر الملك فاتك بن منصور نشأت به رجال من عبيد الحرَّة الملكة أم فاتك بن منصور ، وهم صواب ويمن ورَيْحان وعز ورَيْحان

---

(١) (المفيد) : إليه .

(٢) (المفيد) : وبما فيها من أبقار .

(٣) (المفيد) : عوائقه .

(٤) (المفيد) ط/الأكوع : تجد لي ، وحسن سليمان : تجد في .

(٥) (الأصل) : عثر ، والإصلاح من (المفيد) .

(٦) (المفيد) : على .

الأكبر ، هؤلاء الأزمة[1] أعيان أكابرهم ومن الفحول إقبال وبرهان ومسرور وبَارة وسرور وهو أمير الفريقين مكانة وغناء ، وكان هؤلاء الجماعة هم الذين يتكلّمون على لسان السّلطان ، وصار الوزير في أمور السلطان أجنبياً معهم ، وعظم بهم[2] جانب الحرّة واستمالوا كثيراً من الفارس والراجل ، ثم دبّروا في حيلة يخرجون بها مفْلحاً من زبيد . فقال لهم سرور : ماعندكم حيلة أحسن من مخاطبته على حج مولاتنا إلى مكّة وتجهيزها بثلاثين ألف دينار ، فلمّا أرسلوا في ذلك امتنع وقال : صرف المال إلى محاربة أعداء الدولة أولى من هذه الخرافات ، ولمولاتنا المغزل[3] ولزمها كسْر بيتها شغل شاغل [ولم يزالوا يراجعونه][4] في ذلك إلى أن قال لهم : إنّ مولاتنا إلى غير الحج محتاجة فَانْظروا فيه فإنه يسلّيها عن هذا . قالوا : وما هو ؟ قال : شيء في طول [هذا][5] وقبض كفّه ومدّ ذراعه ، فحدث في النفوس من هذه الكلمة شرٌ لم يستدركه مفلح إلاّ بالإذن لها بالحج وتجهيزها بثلاثين ألف دينار ومسير ولده منصور معها إلى مكة ، ثم كان من تَدْبير سرور على خروج مفلح مسيرَه إلى عدن لمحاربة سبأ بن أبي السُّعود وعلي بن أبي الغارات الزريعيين ، فلمّا خرج مفلح من زبيد ، ثار محمد بن فاتك في زبيد على الحرّة وولدها ، فقضى ذلك برجوع مفلح .

ثم دبّر سرور على خروج مفلح ، أنّه كاتب [عرب][6] الزعلي[7] والعمراني بالاتفاق على أعمال المهجم [وفيها يومئذٍ القائد مسعود الكردي فقضى ذلك

(١) (المفيد) : ازمة .
(٢) (المفيد) : بها .
(٣) (الأصل) : المعول .
(٤) ساقط من (الأصل) .
(٥) ساقط من (الأصل) .
(٦) ساقط من (الأصل) .
(٧) في (الأصل) : العربي .

خروج مفلح إلى المهجم][1] وهو من أعمال زبيد على ثلاثة أيَّام ، فما هو إلاَّ أن خرج مفلح مسيرة ليلة من البلد ، حتى تسلَّل الناس عنه ورجعوا إلى المدينة إلى أن بقي في خاصَّته وتوجَّه إلى جبال بُرَع وملك حصن الكرش[2] وراوح تهامة وغَاداها بالغارات ، وعبيد فاتك تقاتِله بالمراكز والأبدال[3] ، ثمّ انتقل من الحصن وترك به حريمه إلى عرب المهجم ، وهم مشعل وعمران وزعل وهم الفرسان الأنجاد ، فأسكنوه حصناً لهم يقال له : دبسان[4] وبينه وبين المهجم [نصف][5] يوم أوْ دُونه فشنَّ الغارات على أعمال المهجم ، ثم كاتب الأمير الشريف غانم بن يحيي السليماني ثم الحسني ، وهو يومئذٍ مالك مخلاف طريف[6] ، واشترط مفلح للشريف ولبني عمِّه إسقاط الأتاوة عنهم المستقرة لصاحب زبيد على غانم في كُلِّ سنة ومبلغها ستون ألفاً ، وأنَّه يضيف إلى ذلك أعمال الواديين ، وهي واسعة ، فسار الشريف في ألف فارس وعشرة آلاف راجل ناصراً لمفلح على أهل زبيد ، فلقيهم القائد سرور وكَسَر مفلحاً وكَسَر الأشراف وكسَر العرب على المهجم ، وخرج إليه من زبيد وهو مقيم بالمهجم تقليد بأعمال المهجم ومامعها من الأعمال ، وهي : مور والواديان ، فاستقرَّ سرور فيها .

وعاد مفلح إلى حصن الكرش فمات سنة تسع وعشرين وخمس مئة . فأمَّا ولده منصور فناوشهم حروباً وأذاقهم من الشرِّ ضُروباً ، ثمّ خَذَله أصحابه وتقلَّلوا

---

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (المفيد) .

(٢) في (الأصل) المكوييين والإصلاح من (المفيد) ، وحصن الكرش : أعلى قمة جبل برع وهو الآن خراب (المفيد ٢٢١) .

(٣) (المفيد) : الأموال .

(٤) دبسان : حصن يقع في الشرق الشمالي من المهجم في حزار جبل ملحان (المفيد ٢٢٢) .

(٥) زيادة في الأصل على (المفيد) .

(٦) (المفيد) : بن طرف .

عنه [ففارقه][1] وسئم[2] عض الحديد ، وفراق الأوطـان ، فـاستـأمن من منصور على يد القائد سرور ، ودخل معه إلى زبيد والوزير بهـا يومئـذٍ إقبـال الفـاتكي ، فخلع على منصور وأنزله دار أبيه ، فَلَمّـا كان من الغـد قبض عليـه وقُتل بهـا ليلاً بدار[3] الوزير إقبال فـأنكر الملـك [فـاتـك][4] ذلـك فَهمّ بـإقبـال ثم أبقـاه على دَخَن[5] . قـال حمير بن أسعـد : فـابتـاع مني رسول الـوزير إقبـال سُمّـاً ووالله ماعلمت لمن هُو ، وتلطَّف إقبال حتى سقاه مولاه فاتكاً ولد الحرّة ذلـك السُّمّ سِرّاً ، فمات فاتك بن منصور في شعبان سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة .

قالت وردة جارية الوزير مفلح : لَمّا مـات مولاي في الجبـال بحصن الكرش أو مكرّش خطبني الوزير إقبـال والقـائـد سرور والقـائـد إسحـاق بن مرزوق والقـائـد علي بن مسعود صـاحب حَيْس ، فـوعـدت كلّ واحـدٍ مِنْهم وعـداً جميـلاً وشاورت منصور ابن مولاي في رسائل القوم ، فـأشـار بسرور وقـال : استظهري بمشـورة الشيـخ حمير بن أسعـد . قـالت : فَـاسْتـدعيتـه من تهـامــة إلى الجبــال واستشرته ، فقال : أمّا علي بن مسْعُود فعنده تسعون سرِّية وأربع زوجات ، وأمّا إقبال فَعنده عِشْرون مغنِّية ، ثم هو عَبْد تاجر وتربية التجّار وبخلهـا مصور[7] بين عينيه إلى هذه الغاية ، وأمّا القائد إسحاق بن مرزوق فعنده ابنـة عُويـد أم وَلَـده فَرج وعنده ابنة عمه أحمد وَلا والله ما يمشي بأرض تهامة مثلها ، ولكنِّي أشير عليك بـالقـائـد أبي أحمـد سُرور الفـاتكي فـإنّـه ملـك واسع الهِمّـة ، ثُم هو تربيـة الملـك

---

(1) زيادة في (الأصل) .

(2) في (الأصل) : الحدين .

(3) (المفيد) : بيد .

(4) ساقط من (الأصل) .

(5) دخن بالتحريك : فساد وخبث .

(6) (المفيد) : المكرشة .

(7) (الأصل) : وتخلصها من منصور .

منصور بن فاتك ، وتربية مولاتنا أم فاتك بن منصور . قالت : فتزوَّجني القائد أبو أحمد سرور الفاتكي فوجدت رجلاً مشغولاً عن الدنيا وعن النساء والتنعم بالنظر في معالي الأمور ، فلم أزل به حتى ملكته[1] ، ثم تدرَّجت في عشرته [حتى ملكته][2] فكان على خشونته ويُبسه وانقباض جواريه منه لا يخالفني فيا أراه ، وإذا غضبت عليه كاد أن يفارق الحياة .

ودليل ذلك ما حَدَّث به الشيخ مسلم بن يشجب وزير الأمير الشريف غانم بن يحيى ، قال : قدمت من بلادي رسولاً إلى القائد سرور الفاتكي بالمهجم ، في عقد هدنة بَيْننا وبينه ، فقال لي وزيره عُبيد بن بحر : ليت قدومك تقدَّم أو تأخَّر فإنَّك صادفت القائد مشغولاً خاطره . فأقمت يومين أو ثلاثة أيَّام ولم أجتمع بالقائد ، ثم قدم علينا حِمْير بن أسعد فقال لي عبيد بن بحر : الآن انحلَّت عُقدتك بعد قدوم حمير ، قلت : كيف ذلك ؟ قال : إنَّ أُم عمرو[3] وردة ساخطة عليه وأقسمت لا تُكلِّمه ولا تأذن له في الدخول عليها حتى يأتي أبوها وهو الشيخ حمير بن أسعد ، قال مُسْلم : ولمَّا كان تلك الليلة دُعينا إلى مجلس فيه شرابٌ وغناءٌ وطيبٌ فجلسنا وإذا القائد قد طلع علينا فسلَّمنا عليه ، ثم سمعنا من خلف الستارة جلبة وجَرَس حَلْي لم يكن ، وإذا هي وردة أصلح حِمْير بينها وبين القائد فجاءت لتغنِّي فَوَقَع في نفسي من تعجيز القائد سرور وضُعْف عزيمته بعض ما وَقَع ، فكأنه تَوخَّى بما في نفسي فاقترح عليها قول الشاعر[4] :

(١) في (الأصل) : حللته .

(٢) زيادة من (الأصل) .

(٣) (المفيد) ط الأكوع :

(٤) (المفيد) : عمر .

(٥) من شعر عبد الله بن الحسين الخزاعي المتوفى سنة ٢٢٨ هـ ، أورده ابن خلكان في (الوفيات ٨٥/٣) ط إحسان عباس مع أربع أبيات أخرى ، قال : وقيل إنها لأصرم بن حميد ممدوح أبي تمام ، والله أعلم .

نحن قوم تذيبنا الحدق النُّجْلُ (م) على أنّنا نذيب الحديدا

ومن عبيد فاتك من جعلت ذكره ختامهم[١] وأخرته ، وإن كان إمامهم ومقدم عليهم وهو القائد الأجل أبو محمد سرور الفاتكي ، وجنسه من الحبشة أمحرة ، وكلما أورد عنه فهو نقطة من بحر فضله ونيله فمن مبادئ أمْره ، أن منصور بن فاتك لمّا قتل الوزير أنيساً ، وابتاع من ورثته الحرّة السيدة الصالحة حُرّة زبيد [الحاجة][٢] واستولدها ولداً سمّاه فاتِكاً بن منصور ، ابتاعت لولدها من الحبشة وصفاناً[٣] صغاراً كان هذا سرور أحدهم[٤] ، ورُبّي في حجرها ، ولم يلبث أن تَرعرع وبَرَع وولّته زمام المالك[٥] ، وصرفت إليه الرئاسة على كُلّ من كان في القَصْر ، فساد وسَدَّد ولَيّن وشَدَّد ، ثم وُلِّي العرافة[٦] على طائفة من الجند فملكهم بالإحسان والصفح عنهم ، ثم ترقت به الأحوال إلى أن وُلِّي الخطابة بين السلطان والوزراء والأكابر ، واسْتُغني به عن الأزمة ، وكان الزمام[٧] الناظر يومئذٍ هو الشيخ صواب ، وكان يميل إلى الدين والتّخلّي للعبادة ، فإذا عُوتب على ذلك قال : القائد أبو محمد سرور هو صاحب الأمر والنّهي عليّ وعليكم وعلى مولاتنا وليس شيء يخرج عن أمْرِه ، وهو أهل أن يتقلّد أمُور النّاس في الثواب والعقاب والحلّ والعقد ، وترقّت الأحوال بسرور حتّى أخرج مفلحاً من زبيد ، ولم يزل سرور هذا يُحارب مفلحاً حتى مات مفلح بالجبال بعد أن جرت بينهم وقائع يموت في كل واحدة منها العدد الكثير من الفريقين ، وكانت العاقبة والدولة لسرور.

---

(١) في (الأصل) ختامهم .

(٢) زيادة في (الأصل) .

(٣) جمع وصيف .

(٤) (المفيد) ط الأكوع : أقدمهم .

(٥) (المفيد) : المماليك .

(٦) منصب العريف هو للتولي لشؤون بعض الفئات .

(٧) منصب الزمام : هو الذي يتولى باب السلطان وغيره .

وحدَّث الشيخ عبد المحسن بن إسماعيل [وكان][1] كاتب القائد سرور ووزيره قال : أذكرُ وقد سار الأمير الشَّريف غانم بن يحيي الحسني في نصرة مفلح على سرور ومع غانم ألف فارِس ومن الرجل عشرة آلاف ، وانضاف إلى ذلك عساكر مفلح وانضمت إليها بنو مشعل وهم أحلاس الخيل وفرسان اللَّيل وبنو عمران [وبنو زعل][2] وبنو حرام والحكميون في طَمُوم وزحفوا إلينا ونحن في عدد يسير ، وقد كتب القائد سرور إلى زبيد يستنفر النَّاس ، وكانت الوقعة على المهجم ، وبُعْدها من زبيد ثلاثة أيَّام . قال فقلت للقائد : إنَّ هذا تهوّر وإنَّما نحنُ في هؤلاء كقطرة في اليمِّ أو اللقمة في الفمّ . فقال : أمْسِك عليك فوالله إن الموت عندي أهون من الهزيمة .

ثم التقى النَّاس وكانت الدائرة على مفلح وغانم ومن مَعهُما ، وتضاعف خطر[3] القائد سرور في نفس الموالف والمخالف ، وقبل ذلك مما كان من خروج الوزير مفلح طالباً لعدن[4] إلى أن حَصَل [في زبيد][5] على نصف مرحلة وثار محمد بن فاتك بن جيَّاش بن نجاح على الحرّة وعلى ولدها فاتك بن منصور بن فاتك بن جيَّاش في زبيد ، وحين خَلَت من العسكر ومَلَك هذا محمد بن فاتك بن جيَّاش دار الإمارة ليلاً ، ووقف الأمراء بين يديه ، وفاضت البلد عليه بالتهنئة ، ووزر منصور بن الوزير منّ الله الفاتكي فاستعصمت الحرَّة وولدها بِعلوّ الدار ، ونما الخبر إلى القائد سرور ، وهُو في ساقة العسكر فانثنى راجعاً وتسوَّر الحصن ودَخَل المدينة ، ونادى إلى مولاته من خلف دار الملك ارْموا إليَّ الحبال أنا فُلان ورَفَعه الأستاذون والنساء بالحبال حتى وَصَل إلى مولاته ومولاه

(١) ساقط من (المفيد) .
(٢) زيادة في (الأصل) .
(٣) (المفيد) ط الأكوع : خط .
(٤) كذا في (الأصل) و (المفيد) ط الأكوع ، وط حسن سليمان : العون .
(٥) ساقط من (الأصل) .

فسلّم عليها وسكّن رَوْعها وقال : هذه العساكر خلفي متواصلةً ثُم أخذ مئة جارية وخمسين أستاذاً فألبسهم زيَّ الرجال من الدروع والسِّلاح وفتح الطبقات[1] وصاح الجميع : يافاتك بن منصور هذا محمد بن فاتك جالس على سريره تحت طيقان الدار ، وأنَّ القائد سرور رَمَى بحجر فلم يخط وجْهَه محمد بن فاتك فانهشمت أنفه عند تلك الصيحة العظيمة ، فانْهزَم هو ووزيره تلك الساعة ومن معها وخرجوا من باب البلد ليلاً ، ولم يصل العسكر إلى البلد إلاَّ في الظُّهر من صبيحة تلك الليلة ، فهذه بعض المقدّمات الموجبات لتقدُّم القائد سرور على جميع أهل الدولة ، ثم ولي المهجم وهي كرسي ملك كبير .

ثم تشاعب العرب المشاعلة وبنو عمران وبنو زعل وشاعب[2] الحكميَّة وشاعب الأمير غانم بن يحيي الحسني ودولته ظاهرة ، وكان هذا القائد مقيماً في زبيد من هلال ذي القعدة إلى آخر يوم من شعبان ، ثم يخرج من زبيد ، فيصوم رمضان في المهجم ويُصلح أحْوال تلك الأعمال ، وتتسع نفقاته وصلاته في شهر رمضان . قال الشيخ عبيد بن بحر وزيره : كانت وظيفة مطبخه في شهر رمضان كل يوم ألف دينار ، وكنت أشاهده عدةَ سنين إذا جاء من المهجم يريد زبيد ، احتفل الناس بالخروج للقائه على اختلاف طبقاتهم ، ويقف للنّاس على تل عال . فأول طائفة تسلّم عليه المالكية والحنفية والشافعية ، وكان يتَرجَّل لهم ولا يترجَّل لأحد قبلهم ولابعدهم ، ويجيء بعدهم التجار ، فإذا انصرفوا جاءت العسكرية أفواجاً أفواجاً ، وإذا دخل المدينة وقضى حقّ السلام على السلطان ، مضى إلى دار مولاته الحرّة ، فإذا دخل عليها انفضَّ الناس من عندها الصَّغير والكبير ، ولا يبقى عندها إلاَّ غزال جاريتها وهي أخت زوجته وجاريتا منصور بن فاتك . وهؤلاء النسوة

---

(١) كذا في (الأصل) وفي مطبوعة (المفيد) : الطيقان .

(٢) في (الأصل) : شاعر .

يمشون في الخير على منوالها ويتشبّهن[1] بالصلاح بأفعالها ، فإذا وصل إليها نزلت عن سريرها إلى الأرض إكراماً له وتبجيلاً لقدره ، وقالت له : أنت يا أبا محمد وزيرنا بلْ مولانا بل رجلنا الذي لا يحلّ لنا أن نخرج عن طاعتك في شيء ، فيضجّ بالبكاء بين يديها ، ويعفّر خدّه في الأرض إلى أن تتولى[2] رفعه بيدها عن الأرض ، ثم تستأذن[3] النسوة الثلاث في طرف المجلس غير بعيد بحيث [يفضي إليها][4] بما يحسن عنده ممّا يفعله من التدبير في تلك السنة من ولاية وعزل وقتل وإنعام ولا يزال جالساً بين يديها والنسوة الثلاث واقفات على رأسه حتى يقوم إلى صلاة الظهر ، فيعود إلى مسجده وهو على باب داره ، فيجده لا يتسع من كثرة الناس [الذين] لا يستطيعون على الخروج في لقائه .

فصل فيما رواه عمارة في مفيده[5] ، قال : رأيت بخط كاتبه جريدة[6] الصدقات التي يدفعها عند دخوله إلى زبيد وهي للفقهاء والقضاة والمتصدّرين في الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام والفروع ، وهي اثنا عشر ألف دينار في كل سنة خارجاً عن الصلة العسكرية مع كثرتهم .

وحكى عبيد بن بحر : أنّ الهدايا التي يدفعها في كل سنة برسم حواشي السّلطان من الجاهات[7] والأزمة[8] والوصفان الخاص[9] عشرون ألف دينار هدية وصِلَة خارجاً عن أرزاقهم المستقرة .

---

(١) (المفيد) : ط الأكوع يتشبهان .

(٢) (الأصل) : أن يتوارى ثم تتوالى ، والإصلاح من (المفيد) ط حسن سليمان .

(٣) (المفيد) : تستأخر .

(٤) ساقط من (الأصل) .

(٥) (المفيد ٢٢٧) ط الأكوع ، و ١١٩ ط حسن سليمان .

(٦) (الأصل) : جم هذا .

(٧) (المفيد) : الجهات .

(٨) كأنها جمع زمام ، سبق شرحه .

(٩) أطلق الخاص في العصر المملوكي على خزانة الدولة وحاصلاتها .

وحكى غيرهم : أنَّ المحمول من أعمـالـه إلى بيت [مـال][1] مولاه في كل سنـة ستون ألف دينـار ، وأنَّ المحمول إلى بيت مولاتـه الحرَّة وحـاشيتهـا وترائبهـا ومن يلوذ بها على جهة الهدية خمسة عشر ألف دينار .

(**فصل**) كان القـائـد أبـو محمـد سرور الفـاتكي رحمـه الله تعـالى ، يخرج إلى مسجده بعد نصف اللَّيل أو ثُلثه ، وكان أعلم النـاس بـالمنـازل والأنواء ، ويقول : أنا أخرج في هذا الوقت لعلَّ أحداً من أهل البيوتـات وأربـاب الستر لا يقـدر على الوصول إلى عندي بالنَّهار إمَّـا لكثرة النـاس أو لِفرط الحيـاء ، فـإذا صلَّى الصُّبح ركب إمَّا إلى فقيـه يزوره أو مريض يعوده أو ضجـة[2] ميت يحضرهـا أو وليمـة أو عقد نكاح ، وما يخصّ بذلك أكابر العلماء والجند والتجار دون أصاغرهم . وكان من دعاه أجابه ، وكان المتظلم من الرعية يَجْفو عليه ويفحش لـه في القول ، وهو آمن من حميته وغرته وغضبه ، وكان يدعى إلى الحاكم فيحضر ، ولا يوكِّل ، ويقعد بين يدي الحاكم تواضعاً لا وضاعة ، ودخولاً لأوامر الشرع تحت الطاعـة ، ثم يعود بعـد ركوبه بالغداة فيسلِّم على السلطان ويستعمل[3] الأشغال بتدبير الأمور العسكرية إلى وقت الغـداء ، ثم يعود إلى المسجـد في زوال الظـلّ ، فـلا يشتغـل بشيء سـوى المسنـدات الصحيحـة[4] عن رسـول الله ﷺ إلى صـلاة العصر ، ثم يـدخـل داره ويخرج قبل المغرب إلى المسجد ، فإذا صلَّى المغرب تنـاظر الفقهـاء بين يـديـه إلى العشاء الأخير ، وربَّما تظل[5] المناظرة في بعض الليـالي [وربمـا][6] ركب حمـاراً وأخذ وصيفاً بين يديه حتى يجتمع بالحرَّة الملكة للمشورة ، ولم تزل هذه حـالتـه من

---

(١) ساقط من الأصل .

(٢) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) : صحبه .

(٣) كذا في (الأصل) و (المفيد) ط حسن سليمان ، وفي الأكوع : يشتعل بتدبير

(٤) أي الأحاديث النبوية الصحيحة المسندة إلى النبي ﷺ .

(٥) (المفيد) : يطيل .

(٦) زيادة من المفيد ط حسن سليمان .

سنة سبع[١] وعشرين وخمس مئة إلى أن قُتل في مسجده هذا بزبيد في الركعة الثّالثة من صلاة عصر يوم الجمعة الثّاني عشر من رجب[٢] سنة إحدى وخمسين . قتله رجل يقال له محرَم[٣] من أصحاب علي بن المهدي ، ثم قُتل قاتِلَه في تلك العشية بعد أن قتل جماعة من الناس ، ولم تلبث الدولة بعد قتله إلاّ يسيراً حتى أزالها علي بن مهدي وملك زبيد وأعمالها في أربع وخمسين وخمس مئة [في آخر يوم من رجب][٤] .

وعلى ذكر ابن مهدي في اليمن وفي هذا الفصل نشير إلى جمل من بدايته ونهايته[٥] ، وبالله التوفيق والإعانة وهو حسبي ونعم الوكيل .

دولة علي بن مهدي باليمن

أمّا نسبه فمن حمير ، وأمّا اسمه فعلي بن مهدي من أهل قرية يقال لها : العنبرة[٦] من سواحل زبيد ، كان [أبوه][٧] رجلاً صالحاً سليم القلب ، ونشأ ولده مهدي هذا على طريقة أبيه في العزلة والتمسّك بالصلاح ، ثم حجّ وزار ، ولقي حاج العراق وعلماءها ووعاظها وتضلع من معارفهم ، وعاد اليمن ، فاعتزل وأظهر الوعظ وإطلاق التّحْذير من صحبة العسكر ، وكان فصيحاً صبيحاً [أخضر اللون ملوح الخدّين واللحيّ ، طويل القامة مخروط الجسم بين عينيه

---

(١) المفيد : تسع بتقديم التاء .
(٢) كذا في المفيد ط حسن سليمان و (الأصل) وفي (المفيد) ط الأكوع : صفر .
(٣) (المفيد) ط حسن سليمان : مجرم بالجيم .
(٤) زيادة في (الأصل) .
(٥) (المفيد) : غايته .
(٦) قرية في غربي زبيد تبعد عن زبيد بعشرة أميال (المفيد ٢٢٩) .
(٧) ساقط من (المفيد) ط الأكوع .

سجّادة[1]][2] ، حسن طيّب النغمة حلو الإيراد غزير المحفوظات ، قائماً بـالوعـظ والتفسير وطريقة الصوفية أتمّ قيـام . وكان يتحـدّث بشيء من أحوال المستقبلات فيصدق ، فكان ذلك من أقوى عدده في استمالة قلوب العـالم ، وظهر أمره بسـاحل زبيد بقرية العنبرة وقرية واسط[3] وقرية القضيب[4] والأهواب والمعتفى والفـازة وكان ينتقـل بينهم ، وكانت عبرتـه لاترقأ على مرّ الأوقـات . قـال عمـارة[5] : وكنت يومئذ ملازماً له منقطعاً إليه في أكثر الأوقات مدّة سنة ، ثم علم والدي أني تركت التفقّه ولزمت طريق النسك فجاء من بلاده مسافراً حتى أخذني من عنـده وأعادني إلى المدرسة بزبيد ، وكنت أزوره في كل شهر زَوْرة ، فلَمّـا استفحل أمره انقطعت عنه خوفاً من أهل زبيد ، ولم يزل من سنة إحدى وثلاثين يعـظ النّـاس في الوادي[6] ، فإذا دنا موسم مكّة خرج حاجّاً على نجيب إلى سنـة ست وثلاثين ، ثم أطلقت الحرّة أم فاتك بن منصور له ولإخوته ولأصهـاره ثُمّ من يلوذ بـه خراج أملاكهم فلم تمض هنيهـة حتّى أثروا[7] واتسعت بهم الحـال وركبوا الخيل فكانـوا كما قال [المتنبي][8] :

فكأنمـا نتجت قيـامـاً تحتهم   وكأنما ولـدوا على صهـواتهـا

ثم أتى بقوم من الجبال حالفوه على النُّصرة ، فخرج من تهامة إليهم سنـة ثمـان وثلاثين ، وجمع جموعاً تبلغ أربعين ألفاً فقصد بهم مدينـة الكـدرا ، فلقيـه القـائـد

(١) كذا في الأصل وفي (المفيد) ط حسن سليمان .
(٢) مابين المعقوفتين ساقط من (المفيد) ط الأكوع ، وأثبته في الهامش .
(٣) واسط قرية باليمن بساحل زبيد قرب العنبرة (مراصد الاطلاع ١٤٢١) .
(٤) مواضع هناك وكذا الأهواب والمقتفى وسيأتي بعضها .
(٥) المفيد ٢٣
(٦) المفيد : البوادي .
(٧) (الأصل) : أثاروا .
(٨) سقطت من (الأصل) .

إسحاق بن مرزوق السحرتي في قومه ، فهزموا أصحابه ، وقتلوا خلقاً من جموعه ، وعفوا عن أكثرهم وعاد ابن مهدي إلى الجبال ، وأقام بها إلى سنة إحدى وأربعين ، ثم كاتب الحرّة بزبيد وسألها في ذمّة له ولمن يلوذ به ويعود إلى وطنه ، ففعلت له الحرّة على كُره من أهل دولتها ومن فقهاء عصرها ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، وأقام ابن مهدي سنين عدّة يشتغل بأملاكه ، وهي مطلقة من الخراج ، واجتمع من ذلك مال ، وكان يقول في وعظه : أيّها الناس دنا الوقت أزف الأمر كأنكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عياناً ، فما هو إلاّ أن ماتت الحرّة في سنة خمس وأربعين ، حتى أصبح في الجبال في موضع يقال له : الدّاشر[1] من بلاد خولان ، ثم ارتحل إلى حصن يقال له : الشرف[2] ، وهو لبطن من خولان يقال له : خيوان[3] بإسكان الياء وسمّاهم الأنصار ، وسمّى كل من صَعَد معه من تهامة : المهاجرين ، ثم ساء ظنّه بكل أحدٍ ممن هو في صُحبته خوفاً منه على نفسه ، فأقام للأنصار رجلاً من خولان يُسمّى سبأ [بن يوسف وكنّاه شيخ الإسلام][4] وللمهاجرين رجلاً يُسمّى التويتي لقّبه أيضاً بشيخ الإسلام ، وجعلها نقيبين على الطائفتين ، فلا يخالطه[5] ولا يصل إليه أحدٌ سواهما ، وربّما احتجب فلا يرونه وهم ينصرفون في الغزو ، فلم [يزل][6] يغادي الغارات ويراوحها على تهامة حتى أخرب الحزوز[7] المضاهية[8] للجبال ، والحبشة ، ويومئذ تبعث الإبذال[9] في المراكز فلا يغنون

(١) حصن بوصاب السافل ، وسمي اليوم : المصباح (المفيد ٢٣١) ، ومثله عند القحفي ١٥٤

(٢) من حصون وصاب معروف .

(٣) كذا عند المؤلف نقلاً عن عمارة ، والمعروف أن خيوان من ولد زيد بن مالك بن جشم بن حاشد فهو من حاشد وليس من خولان (انظر المقحفي ١٥٠) .

(٤) ساقط من (المفيد) ط الأكوع .

(٥) (المفيد) : يخاطبه .

(٦) ساقط من (الأصل) .

(٧) جمع حزة وهي منخفضات الجبال .

(٨) (المفيد) : المصاقبة .

(٩) (المفيد) ط حسن سليمان : الأموال .

شيئاً لوجوه كثيرة منها : أن الموضع الذي هو حصن الشّرف حصن منيع بنفسه وبكثرة خولان ، ومنها أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى حصن الشرف مشى في وادٍ ضيّق بين جبلين مسافة يوم كامل وبعض يوم ، فإذا وَصَل إلى أصل الجبل الذي فيه الحصن احتاج في طلوع النَّقيل[١] إلى نصف يوم حتى يقطع العقبة ، ومنها أن الوادي يتصل مسيله من تهامة بحَراج[٢] عظيمة إذا كمنت فيه الجيوش العظيمة الجرارة [شهراً][٣] لم يعلم بها أحد ، وكانت غوادي ابن مهدي إذا غارت على بعض أعمال تهامة ونهبت وأحرقت ، وأدركها الفجر قبل نيل[٤] الجبل تعدل الجبل إلى الوادي الذي فيه الحراج فكمنت فيه فلا يصل إليها أحدٌ ولا يقدر عليها .

ولم يزل ذلك من فعله مع أهل زبيد إلى أن أخلى جميع البوادي وقطع الحرث والقوافل . وكان يأمر أصحابه أن يسوقوا الأنعام والرَّقيق وما عجز عن المسير عقروه ، ففعلوا من ذلك ما أرعب وأرهب وقضى بخراب الأعمال ، قال عمارة[٥] : ثم إني لقيت هذا علي بن مهدي عند الدّاعي محمد بن سبأ صاحب عدن بمدينة ذي جبلة سنة سبع[٦] وأربعين يستَنْجده على أهل زبيد ، فلم يجبه الدّاعي إلى ذلك وعَرَض عليَّ صحبته ، وعقد لي أن يقدّمني على كل أصحابه . ولمّا عاد ابن مهدي من ذي جبلة سنة سبع إلى حصن الشرف دبّر على قتل القائد سرور الفاتكي ، فقتل في شهر صفر في السادس سنة إحدى وخمسين وخمس مئة . وكان ممّا أعان ابن مهدي على أهل زبيد اشتغال رؤسائها بالتنافس والتحاسد على رتبة

---

(١) العقبه .

(٢) جمع حرجة : وهي الأرض الملتفة بالأشجار ، وفي (الأصل) : بحراج عظيم .

(٣) زيادة من (المفيد) .

(٤) (المفيد) : ذيل .

(٥) المفيد ٢٣٢

(٦) (المفيد) : تسع .

القائد سرور ، وانفتح على الدولة بعده أبواب الشرّ وانحلّ عقدها المشدود ، وفارق ابن مهدي حصن الشرف فهبط إلى الدّاشر وبينه وبين زبيد أقل من نصف يوم ، وتقرّب[1] الرعايا إليه وعمرت[2] البلاد الذين هم كانوا رعايا الحبشة ، وكان الرّجل من أصحاب ابن مهدي يلقى أخاه أو قريبه وهو مع الحبشة إمّا مزارع أو جمّال أو راعي ماشية لهم أو حارس ضيعة فَيُفْسِدَه ، ولم يزل الأمر كذلك حتى زَحَفَ ابن مهدي لهم إلى باب مدينة زبيد في عوالم لاتُحصى .

وحَدّث غير واحد من أهل اليمن مِمّن أدركه الحصار بزبيد قالوا : لم تصبر أمّة على الحصار والقتال ماصبر عليه أهل زبيد ، وذلك أنّهم قاتلوا ابن مهدي اثنين وثلاثين[3] زحفاً يقتل فيها منه مثل مايُقْتل مِنْهم ، ونالهم الضّر والجوع حتى أكلوا الميتة من شدّة الجهد والبلاء ، ثم استنجدوا بالشريف الزيدي ثم الرسي أحمد بن سليمان[4] صاحب صعدة فأنجدهم طمَعاً في الملك[5] ، وشرطوا له أن يملكوه عليهم ، فقال الشريف : إن تقتلوا مولاكم[6] حلفت لكم ، فوثب عبيد فاتك بن محمد بن فاتك بن جيّاش بن نجاح مولى مرجان ، ومولى أبي عبد الله الحسين بن سلامة مرجان ، والحسين بن سلامة مولى رشيد الزمام ، ورشيد مَوْلى زياد بن إبراهيم بن أبي الجيش إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد ،

---

(١) (المفيد) : نفرت .

(٢) (المفيد) : عرب .

(٣) (المفيد) : وسبعين .

(٤) هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر ، مولده سنة ٥٠٠ هـ ودعوته سنة ٥٣٢ هـ وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦ هـ ، له سيرة مخطوطة (إتحاف المهتدين ٥٥) .

(٥) هذا سوء ظن من عمارة نقله عنه صاحبنا وإنما هي غضبة لله لما فعله ابن مهدي في أهل حصن قوارير (انظر تاريخ اليمن الإسلامي للشهي . المطاع ٣٤١) .

(٦) كان سبب طلب قتل المذكور عائداً إلى أمور خلقية لم يرضها الإمام المتوكل في سيرة فاتك هذا (انظر المصدر السابق ٣٤١) .

فقتلوه في سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة ، فعجز الشريف عن نصرتهم على ابن مهدي ، وجَرَت بينهم وبين ابن مَهْدي مصاف يتحصَّنون مِنْه بالمدينة إلى أن كان فتحه لها وزوال دولتهم واستقراره بدار الملك في يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وخمسين وخمس مئة ، وأقام بها علي بن مهدي بقية رجب وشعبان وشهر رمضان ، ومات في شوّال من السنة ، فكانت مدّة مملكته شهرين وواحد وعشرين يوماً ، ثم انتقل الأمر إلى ولده المهدي ، ثم ولده عبد النبي ، ثم إلى ولده عبد الله ، ثم عادت إلى عبد النبي والأمر في اليمن بأسرهِ إليه ماعدا عدن [فإن أهلها][1] هادنوه عليها بمال في كل سنة ، واجتمع لعبد النبي هذا ملك الجبال والتهائم وانتقل إليه ملك جميع اليمن وذخائرها .

وحدَّث محمد بن علي من أهل ذي جبلة أنّه حصل في خزائن ابن مهدي ملك خمس وعشرين دولة من دول أهل اليمن ، فمنها أموال زبيد ، وما من عبيد فاتك وجهاته وأعيان دولته إلاّ من مات عن أموال من العين الجزيلة صارت إليه ، لأنّه ملك الذَّراري والنِّساء فأظهروا لهم كنوز مواليهم ، وكذلك المسوغ[2] واللؤلؤ والجواهر واليواقيت الفاخرة والملابس الجليلة على اختلاف أصنافها ، فكانوا كا قال الله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكوا مِنْ جَنّاتٍ وَعُيونٍ ☆ وَزُروعٍ ومَقامٍ كَرِيمٍ ☆ وَنَعْمَةٍ كانوا فِيها فاكِهِينَ ☆ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ ﴾ [سورة الدخان ٤٤/٢٥ ـ ٢٨] . وانتقل إليهم ملك [بني سليمان الشرفاء][3] ، وانتقل إليهم ملك بني وائل[4] سلاطين وِحَاضة[5] ، وهم أهل دولة جليلة ،

(١) ساقط من (الأصل) .

(٢) في (المفيد) : المصوغ ـ بالصاد ـ وهو الصّواب .

(٣) ساقط من (المفيد) ط الأكوع .

(٤) بنو وائل قبيلة من حمير تنسب إلى وائل بن سدد بن زرعة بن حمير بن سبأ الأصغر (المقحفي ٤٥٩) .

(٥) وحاضة : بلدة في أعلى جبل حبيش في عزلة شبع شمال إب ، ويقال لها أيضاً : إحاضة (المقحفي ٤٦٠) .

وكـذلـك معـاقل من بقي من بني الصليحي ، وكل معقل منهـا لـه أعـمـال واسعـة وارتفاعات كثيرة ، فأمّا مُلك الملك منصور بن المفضّل بن أبي البركات بن الوليـد الحميري فإنه حاز جميع حصونه ، وهي مـاهي وجميع ذخـائره ، وإنمـا هي ذخـائر الـدّاعي علي بن محمـد الصليحي ، وذخـائر المكرَّم بن علي زوج الملكـة السيـدة ، وذخائر الحرَّة الملكة زوجته ، وذلـك أنّ الجميع انتقل إلى الحرّة فـأودعتـه في حصن التعكر ، وتغلَّب المفضّل بن أبي البركات على الحصن وعلى مافيـه ، وانتقل التَّعكر وما فيه من الممالـك بـأسرِهـا إلى ولـده منصور بن المفضَّل لأنهم يزعمون أن الملـك منصور بن المفضَّل عَمَّر في الملك ثمانين سنة ومات في عشر المئة والسَّبعين .

ومِمّـا انتقـل إلى ابن مهـدي حصن الْمَجْمَعَـة[1] وأمـوالــه ، وحصن التعكّر وأمواله على ماقيل ، ومدينة ذي جبلة وهي مقرّ الدَّعوة الفاطمية ، وكرسي الملك لبني الصليحي ، وكذلك مدينة الجند وأعمـالهـا ، وكـذلـك تـالبـة[2] وشريـاف[3] وذِخَرْ[4] وأعمالها وليس ملك هذا علي بن محمد صاحب ذخر دون [ملك][5] الملك منصور بن المفضَّل ، [ثم ملك بني الزّر ومدينـة ذي أشرق ومـدينـة إبْ وحصون خولان وبلادهما وحصون ربيعـة وهي عَـزّان[6] وحب[7] والشماحي[8] ، وأخـذ

---

(١) حصن في أعلى عزلة شعب يافع من مخلاف الشوافي في الشمال الغربي من مدينة إب بمسافة يسيرة (المفيد ٢٣٥) و (المقحفي ٣٦٣) .

(٢) تالبة : من أعمال قفر يريم (المقحفي ٦٧) قلت : لعلها غير مذكورة .

(٣) شرياف : حصن في عزلة بني عيسى من جبل ذخر في الشمال الشرقي .

(٤) ذخر : هو الجبل المعروف بجبل حبشي من قضاء الحجرية (الحجري ٣٤٠) .

(٥) ساقط من (المفيد) .

(٦) عـزان : حصن خرب أعلى جبـل ريـعـان المطـل على مـدينـة إب من الجهـة الشرقيـة (المقحفي ٢٨٦) .

(٧) حب : حصن من عزلة سير في بعدان (المقحفي ١٠٤) .

(٨) الشماحي : من عزلة المويه من بعدان (المقحفي ٢٣٦) .

الملك السلطان أبا النورين الفتح ، وبقي حصن][1] السّوا لابن السَّبائي الخولاني ، ثم استولى ابن مهدي على معاقل الداعي عمران بن محمد التي صارت إليه ، وهي حِصْن سَامِع ومطران وحِصْن يُمين ، وهذه الحصون بإقليم المعافر ، وانتقل إليه معقل اليمن التي ليس بعد التعكّر وحَبّ سواه ، وهو حصن السَّمادان[2] وبه يضرب المثل ، وهو الحصن الذي ليس لمخلوق عليه اقتدار ، مالم يعنه الخالق بماضيات الأقدار ، وهذا الّذي نسمّيه[3] نقطة من بحر ماملك ابن مهدي . هذا ولم نذكر بلاد بني المظفر سبأ بن أحمد الصليحي ولا إقليم حراز ولا برع ولا بلاد بكيل ولا حاشد ، ولا حصونها وأعمالها ولا حليـة[4] ولا عَنّـة[5] ولا وادي زبيد ولا غير ذلك من جبال وادي رَمَعْ [وريمة الأشاعر[6] وحصونها ومعاقلها وقُراها ومذيخرة وأعمالها] وهي مسيرة ثلاثة أيّام ودَمْت[8] ووادي نخلة .

فأمّا المذهب الذي كان عليه ابن مهدي يعتقده فكان حنفي الفروع ، ثم أضاف إلى عقيدته في الأصول التّكفير[9] بالمعاصي والقتل بها ، وقتل من خالف

---

(١) مابين المعقوفتين ساقط من (المفيد) .

(٢) كذا في (الأصل) وهو السمدان : حصن شامخ في بلد الرجاعية من المعافر بالقرب من تربة ذبحان بمسافة ١٥ كم (المقحفي ٢١٢) .

(٣) (المفيد) : سميته .

(٤) سبق ذكرها وهي بلدة من الكلاع ثم من الأشراف أعمال ذي السفال (المقحفي ١٢٨) .

(٥) عَنّة : واد مشهور في بلاد العدين غربي إب (السابق ٢٩٩)

(٦) كذا في (الأصل) وفي (المفيد) ط حسن سليمان : والأشاعر . قلت : لعلها ريمة الأشابط : من أشهر جبال اليمن يقع في الجنوب الشرقي من الحديدة بمسافة ٧٠ كم وهو أحد الأقضية التابعة للواء صنعاء (المقحفي ١٨٨) .

(٧) ساقط من (المفيد) ط الأكوع .

(٨) دمت : ناحية من قضاء النّادرة التابع للواء إب .

(٩) وهو مذهب الخوارج قالوا : إن كل من أذنب ذنباً من أمّة محمد ﷺ ، فهو كافر ويكون في النار خالداً مخلداً . إلا النجدات منهم فإنهم قالوا : إن الفاسق كافر على معنى الكفران لا الكفر .

اعتقاده من أهل القبلة ، واستباحة الوطء لسبايـاهم واسترقـاق ذراريهم ، وجعل دارهم دار حرب يحكم فيهم حُكْمه في أهل دار الحرب .

وحُكِي عنه ـ والعهدة على الحاكيين[1] ـ أنّه لم يثق بإيمان أحد من المهاجرين حتى يذبح وَلَده أو أباه أو أخاه أو أمّهُ ويقرأ عليهم : ﴿ لاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنونَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَرَسولَهُ وَلَوْ كانوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [سورة المجادلة ٢٢/٥٨] . قال عمارة[2] : وأعرف مِنْهم صبياً كان جاراً لي وكان يتفقه معي ، راحت والدته إليه تَزُوره فَذبَحها . وأمّا اعتقاد أصحابه فيه فَفَوق ما يعتقده النّاس في الأنبياء صلوات الله عليهم ، وذلك أنّ الواحد من آل مهدي هؤلاء يحسن عنده أن يقتل جماعة من عسكره ، ثُم إذا قدروا عليه لم يقتلوه ديناً وعقيدةً ، وإذا غضب على رجل من أكابرهم وأعيانهم حَبَس نفسه في الشمس ولم يُطعم ولم يشرب ولم يصل إليه ولد ولا زوجة ولا يقدر أحد أن يشفع فيه حتى يرضى عنه ابتداءً من نفسه ، ومن طاعتهم له أن كل واحد يحمل ماتغزله زوجته وبناته إلى بيت المال ، ويكون ابن مهدي هو الذي يكسو الواحد منهم ويكسو أهله من عنده ، ولَيْس لأحد من العسكرية فَرَس يملكه ولا يرتبطه في داره ولا عُدّة من سلاح ولا غيرها ، بل الخيل في اصطبلاته والسّلاح في خزانته ، فإذا عنَّ له أمر دفع لهم الخيل والعدّة وما يحتاجون إليه . ومن سيرته أن المنهزم من عسكره يُضرب عُنقه ولا سَبيل إلى حياته . ومن سيرته قتل من شرب [المسكر][3] وقتل من سمع الغناء وقتل من زَنى وقتل من تأخّر عن صلاة الجماعة

---

(١) يعني بها الأول ، وهو الذي حكى لعمارة هذه الرواية ، والثاني عمارة نفسه . ونص عمارة في مفيده ٢٣٦ : « وحكي لي عنه والعهدة على الحاكي » .

(٢) المفيد ٢٣٦

(٣) ساقط من (المفيد) ط الأكوع .

أو عن مجلس وعظـه ، وهمـا يوم الخميس ويوم الاثنين ، وقتل من تـأخّر فيهما عن زيارة أبيه مقبوراً ؛ وهذه الرسوم فإنّما هي على العسكرية ، أمـا الرعـايـا فـالأمر فيهم ألطف من أمر العسكرية[1] . واتصل بالسّلطان الملك النـاصر صلاح الـدين يوسف بن أيوب بن شاذي صاحب مصر أن باليمن رجلاً يقال له : عبـد النبي بن مهدي وأنّه خارجيّ بها ، وفي جملـة مـا يزعمـه أن دولتـه تطبق الأرض وأن مُلكـه يسير مسير الشّمس فغضب من ذلك السُّلطـان صلاح الـدين ، فجهَّز أخـاه الملـك المعظّم فخر الدين تُوران شاه إلى اليمن في عسكر جرّار .

وقبل الخوض في ذلـك فلنـذكر نبـذة من تـاريـخ بني أيـوب ونسبتهم وذكر والدهم نجم الدين .

ذكر قاضي القضـاة شمس الـدين بن خلكان في تـاريخـه[2] في حرف الهمزة : هـو أيـوب بن شـاذي بن مروان الملقب الأفضـل نجم الـدين والـد السلطـان صلاح الدين يوسف رحمه الله ، كان في أول أمره متسلماً قلعـة تكريت هو وأخوه أسد الدين شيركوه يُدبران أحوالها وينظران في أمورها وتوفي والدهمـا شـاذي بهـا وهنالك قبره ظاهر معروف وولـد لـه بهـا السلطـان صلاح الـدين ، ومولـده هو بمـدينـة أذربيجـان[3] ، ثم انتقل إلى المـوصـل وأقـام بهـا مـدّة ، ثم اتصـل بخـدمـة نور الـدين محمود بن زنكي صـاحب الشـام ، وكان مقبلاً عليـه مكرّمـاً لـه ، ولَمّـا ورد[4] ولـده صـلاح الـدين للعـاضـد صـاحب مصر وذلـك في سنـة أربـع وستين وخمس مئة كما هو مشهور ، وتوجَّه إليه والده نجم الدين أيوب من الشام ، ودخل

---

(١) من هنا ينتهي النقل من (المفيد) لعمارة .

(٢) وفيات الأعيان ٢٥٥/١ ط إحسان عباس .

(٣) الوفيات بمدينة دوين من أعمال أذربيجان .

(٤) الوفيات : وزر وهو الصواب .

القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين [وخمس مئة][1] وخرج العاضد للقائه وسلك صلاح الدين معه من الآداب ماجرت به عادته وألبسه الأمر كُلّه فأبى أن يَلبسه وقال : يا ولدي مااختارك الله لهذا الأمر إلاَّ وأنت كفؤ له ، ولا ينبغي أن تغيّر موضع السعادة ، فحكّمه في الخزائن كُلّها ، وكان كريماً يطلق فلا يُرد ، ولم يزل عنده حتى اشتغل صلاح الدين بملك الديار المصرية كما سيأتي في ترجمته[2] ، فخرج نجم الدين يوماً في باب النصر أحد أبواب القاهرة فشبَّ به فرسه فألقاه في وسط المحجة[3] وذلك يوم الإثنين ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمس مئة ، وحمل إلى داره متألماً إلى أن توفي يوم الأربعاء سابع عشرين الشهر المذكور ، ودفن عند قبر أخيه أسد الدين شيركوه رحمهما الله تعالى ، ثم بعد ذلك نقلا إلى مدينة رسول الله ﷺ ودُفنا هنالك . ولَمّا توفي السُّلطان الأفضل نجم الدين وكان السلطان صلاح الدين غائباً في غزوة الكرك وهي أول غزواته ، فبلغه الخبر وهو راجع في الطريق فشقّ عليه حيث لم يحضره ، ولقد كان رجلاً مباركاً كثير الصلاح مائلاً إلى أهل الخير حسن النيّة جميل الطوية لا يتوسَّط إلاّ بالخير ، وظهرت ثمرة بركته وحسن اعتقاده في أولاده ، وذكر أنّه بنى بمدينة بعلبك خانجات[4] لطيفة حسنة الوصف كثيرة الأنس يقال لها : النجميّة وهي منسوبة إليه ، وسُئل أهل البلد عن سبب بنايتها هنالك ؟ فقالوا : كانت بعلبك إقطاعه يوم ذاك ، والمسجد والحوض اللذان بظاهر القاهرة خارج باب النّصر

---

(١) زيادة من (الوفيات) .

(٢) هذه عبارة ابن خلكان في (الوفيات) وهو يشير إلى ترجمته في موضعها لكن المؤلف أورد النقل هنا كما جاء ، وهو لم يترجم لصلاح الدين وإنما ذكر أخاه توران شاه ، وقد جَرّه النقل إلى هذا السهو ، دون أن يتنبّه إليه ، كما وقع له في مواضع أخرى نبهنا عليها .

(٣) مطبوعة (الوفيات) : اللّجة خطأ .

(٤) كذا في (الأصل) وفي (الوفيات) خانقاه : وهي من اللفظة الفارسية (خانكاه) بمعنى بيت أو مسكن الدراويش والمرشدين حيث يجرون فيه مراسم تصوفهم (المعجم الذهبي ٢٣٢) .

عمارته أيضاً ، ورؤي تاريخ بباب[1] الحوض في الحجر المركب أعلاه في سنة ست وستين ، ولمّا مات رثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة طويلة أوّلها :

هي الصدمة الأولى فمن بان صبره ... على هول ملقاه تضاعف أجره

ولنعد[2] إلى ذكر المعظم توران شاه بن أيوب دخل اليمن سنة تسع وستين وخمس مئة وافتتح زبيد يوم الاثنين التاسع من شوال ، وقبض على عبد النبي بن مهدي ومات في أسره وقيل شنقه وزالت دولة بني مهدي .

دولة بني أيوب

وسار المعظم إلى عدن فملكها ، وقتل بلال بن ياسر[3] المحمّدي نائب آل زريع بعدن ، وكان بلال بن ياسر من أجواد الأنجاد الممتدحين ، ورَد إليه فضلاء الديار المصرية كالرشيد بن الزبير الفاضل العالم والأعز أبو الفتوح بن قلاقس الحميري[4] ، وامتدحه بقصيدة منها :

سافر إن حاولت أمراً[5] ... سار الهلال فصار بدراً

---

(١) (الوفيات) : بناء .

(٢) إلى هنا انتهى النقل من (وفيات الأعيان) وقد نقل الترجمة بنصّها من صفحة ٢٦٠ إلى ٢٦١

(٣) في (المفيد) بلال بن جرير .

(٤) كذا في (الأصل) ولم يذكر في نسب ابن قلاقس نسبته إلى حمير وإنما ينسب إلى لخم ، قال في ترجمته صاحب (وفيات الأعيان) : نصر بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي (الوفيات ٣٨٥/٥) .

(٥) في كتاب (النصوص الصقلية من شعر ابن قلاقس) للأستاذ الدكتور محمد زكريا عناني ١٢٣ ورد موضع هذه اللفظة (قدراً) ومن أبياتها :

أمـا تراني شـاحب الـ ... وجنـات قـد ألبسـت طمرا
فـوقـائع الأيـام تخـرج أهلهـا شعثـاً وغبرا
مـدّت إليّ الأربعـون يـداً وقـد قهقرت عشرا

=

وهي مشهورة في ديوانه ، فأجازه ألف دينار ، ثم سافر إلى أن صار بالقرب من دهلك فغرق عند جزيرة الناموس ، فعاد إليه فقيراً وأنشده قصيدة أخرى أولها :

وردنا[1] وقد ناد السماح بنا رُدّوا وعدنا إلى مغناك والعود أحمد

وكان كاتبه الأديب أبو بكر بن العيدي[2] الأديب البليغ ، وكان متمكناً عنده ، ومن جملة تمكنه أن قال له بلال بن ياسر : ياأديب الدولة دولتك فاكتب[3] بما شئت ولمن شئت ، ومن لطيف ما كان يصنعه الأديب أنه يخرج إلى باب البر إذا سمع بوصول القوافل ويتعرّض للواصلين ، فمن كان شاعراً أكرمه وأهّله وأخذ له جائزة بلال ، ومن لم يعرف نحله شعراً من شعره واستجاز له ، وأخذ[4] المعظّم خبر بن بلال بن ياسر وخرج من عدن وتوجّه إلى صنعاء أول

=

واستحـــــدثت في لمتي نقطـــــاً فهـــلاً كن حبرا

مرت على النـــــائبـــا ت تـذوقني فـوجـدت مرا

ومروعي بـــالبحر يحســـــب أنني ارتـــاع بحرا

أو مـــادرى أني بتســـــهيـل المصـــاعب منـــه أدرى

يقول الدكتور عناني عن هذه القصيدة : والحق أنها قصيدة مفعمة بالحيوية والتعبير المتقن والمعاني الآسرة ، انسابت أبياتها طوراً تعنف وتحتد وطوراً تلين وترق ، إلخ ...

قلت : أورد منها أيضاً ابن خلكان في وفياته ٣٨٧/٥

(١) في نصوص صقلية ١٢٢ (صدرنا) ، وقد أورد من أبياتها قوله :

فيا أيها البحر الذي من هباته أعـــدد فيا انتقي وأعــــدد

أجرني من البحر الذي أنا صارم أجرد من مالي به حيث أغمد

طواني بسحب الموج تحت سمائه على أنني ياأيها الشمس فرقد إلخ..

(٢) هو أبو بكر بن أحمد العيدي ترجم له عمارة في مفيده ، وجعله خاتمة الشعراء (انظر المفيد ٣٢٦) .

(٣) المفيد ٢٢٨ ، أحب من شئت وكيف شئت .

(٤) كذا في (الأصل) .

المحرَّم سنة سبعين فحطَّ بالميدان وخرج إليه مشائخ أهل صنعاء ووجوه أهلها في زي حسن مضاهٍ لزي[1] أهل الاسكندرية ، فأعجبه زيُّهم وأمر بإحضار جماعة من رؤسائهم وحاورهم وحدَّثهم وجرت بينهم وبين وزيره مراجعةٌ نحويةٌ ، فقال الوزير لأهل صنعاء : ماعندكم من كتب النحو ؟ قالوا : كتب الصفار[2] . فأمر بإحضار كتاب منها فوجد القول قول أهل صنعاء . ولمَّا دخل صنعاء وملكها بنى بها المباني ، وكان معه من الأمراء الأعيان درباس[3] ، وسيف الدولة المبارك بن منقذ ، وأخوه ابن منقذ ، وخطَّاب ، وعثمان الزنجيلي ، وياقوت التعزي ، ومظفر الدين قايماز ، وغيرهم ورتَّب في زبيد سيف الدولة بن منقذ ، وفي تعز ياقوت التعزي ، وفي عدن عثمان الزنجبيلي ، وفي جبله مظفر الدين قايماز ، ولم تُعجب المعظم [توران] شاه اليمن فسار من صنعاء على طريق المدارة[4] إلى أن صار بالقرب من أشيح خرجت عليه عربان كثيرة فنهبوا خزانته وتوجّه إلى أخيه بمصر فوجده على حصار حلب ، فاستنابه بدمشق ، ثم توجه إلى الإسكندرية ومات بها مستهل صفر . وقيل خامس صفر سنة ست وسبعين وخمس مئة ، وسمع نوابه باليمن بموته فادَّعى كل منهم الملك لنفسه وضرب السكة باسمه ، وكل واحد لا يتعامل بسكة أصحابه .

وأمَّا سيف الدولة بن منقذ فإنّه مرض وبغض اليمن وسار إلى مولاه صلاح الدين وخلَّف أخاه خَطَّاباً بزبيد فضرب باسمه الدرهم ، وأمَّا مظفر الدين قايماز

(١) عبارة (الكنز) : لا يخرج فيه أهل الإسكندرية .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بابن الصفار ، ويعرف أيضاً بابن النحاس وفاته سنة ٣٣٧ هـ ، وقد اشتهر كتابه (الكافي في النحو) فكان مدرسة أهل اليمن .

(٣) انفرد بذكره كتابنا هذا وكتاب (قرة العيون) لابن الديبع ٢٨٢/١ و (العسجد ١٥٥) .

(٤) كذا في كتابنا ، وفي المصادر الأخرى عن طريق نقيل السّود من بلاد بني شهاب وسنحان ، انظر (الأيوبيون في اليمن) للدكتور محمد عبد العال ٩٢ ، و (غاية الأماني ٣٢٤) و (العسجد المسبوك ١٥١) ، وفي (قرة العيون ٢٨٣/١) : عن طريق صنعاء ، قلت : المدارة من قرى جهران آنس .

فـإنّـه ضعف أمره ولم يتعـد بلـده . وأمّا عثمان الـزنجيلي فـإنـه اشترى العقـار من الدكاكين بعدن والدُّور ووقفها على المسجـد الحرام بمكـة ، ويقـال أنـه وقفهـا على مدرسة أنشـأهـا هنـالـك[1] . ولمّـا علم صلاح الـدين بفسـاد مـااتفق أرسل المقـدم خطلبا[2] إلى البحر إلى عثمان الزنجيلي ، فلما وصل إليه قابلـه بـالإجلال ، واتفقـا في المسير إلى خطان[3] ، فلمـا سمع خطـان بـذلـك ارتفع إلى حصن قوارير وأخلى زبيد ، ودخل المقدَّم خطلبا الواصل من الملك صلاح الدين زبيداً وملكها في سنة أربع وسبعين وخمس مئة ، وكان خطان يغير جماعة معه في بعض الأيـام[4] مـابين الهويب[5] والأهواب ، وهو الرستاق[6] المتصل من جبل زبيـد إلى البحر ، ومرض خطلبا مرضاً شديـداً أشفى منـه على الموت فَرَاسل خطـان سراً وقـال : أنت أولى من عثمان الزنجيلي ، فدخل زبيد خفيـةً فَسِمع عثمان ذلـك فَسـار بجيشـه إلى زبيـد وحاصرها سنـة ست وسبعين وخمس مئـة ، فخـذل ومـات خطلبـا واستمر خطـان بزبيد إلى سنة سبع وسبعين ، ولما علم الملك صلاح الدين بما اتفق من الفسـاد أرسل أخاه الملك العزيز أبـا الفوارس سيف الإسلام طغطكين بن أيوب ، فـدخل مكـة فوجد بها الشريف فليته بن مطـاعن[7] الهـاشمي ، ودخلهـا في رمضـان سنـة تسع

(١) لعل الصواب هو القول الأخير فقد ذكر هذه المدرسة المؤرخ تقي الدين الفاسي في (العقـد الثمين ٣٤/٦) وقال عند ترجمته : صاحب المدرسة بمكة عند باب العمرة المقابل لها ، قال : وقفها سنـة ٥٧٩ هـ وله سبيل خارج باب الشبيكة في صوب طريق التنعيم على يمين المار إلى العمرة .

(٢) في (الأصل) خلطبا ، وهو صـارم الـدين خطلبـا بن موسى ولي القـاهرة ، وكانت قـد أضيفت ولاية الفيوم انظر (السلوك ٦٤ و ٧٢) ، قلت : لعلّ صحة تسميته خطل بغـا فحرفهـا العوام ، والله أعلم .

(٣) يرد في المخطوطة بخطان بالخاء المعجمة وآخره نون ، ونحن نورده بـالصورتين حيث مرَّ ذكره في بعض كتب التاريخ اليمني بخطاب بالخاء والباء .

(٤) عبارة (المطبوعة ٧٧) وكان خطاب يغير في بعض الأوقات .

(٥) الهويب ، والأهواب ، وهو المعروف بالبقعة غربي زبيد .

(٦) الرستاق : لفظة فارسية بمعنى : القرية .

(٧) في (الأصل) : مطاع وكذا في (بغية المستفيد ٤٢) .

وسبعين فطاف به وسَعَى به الشريف صاحب مكة وخلع عليـه خِلعة لم [يرَ][1] أحسن منها .

ذكر ابن جبير[2] المغربي في رحلته أنّه صادف سيف الإسلام ذلك العام ورأى طوافه وسعيه ، وجملة مامعه من العسكر ألف فارس ومن الرجل خمس مئة راجل من الجبلية ، وأن الخلعة التي أفاضها على الشريف تساوي ألف مثقال ، وتوجّه إلى اليمن ولم يحج ذلك العام ، فوصل زبيد آخر سنة تسع وسبعين ، فخرج خطان في لقائه ، فخلع عليه وعلى عسكره[3] وقال له : أنت أخي من بعد أخي ، ودخلا جميعاً زبيد ، فأقام مَعَه أيّاماً ثم استأذن خطان سيف الإسلام في المسير إلى الشام فأذن له ، فأخرج جميع ما كان في حوزه إلى الجنابذ[4] وهي ظاهرة[5] بزبيد ، فأمر بالحوطة عليه والقبض وخنق بعد ليال في حصن تعز . وأمّا ياقوت فسلم له حصن تعز ومعشاره فأرجأ أمره . وأمّا مظفّر الدين قايماز فتغلب على تلك البلاد وهي جبلة ومخاليفها فأرسل إليه من أخذه . وأمّا عثمان الزنجيلي فعمر سُفناً عظميةً وشَحن فيها جميع ما يملكه من الصامت والناطق[6] وتوجه بها إلى العراق[7] . وملك سيف الإسلام اليمن كله وعره وسهله ودخل أماكن مادخلها أحدٌ من قبله بالسيف كجبال قلحاح[8] ودِبْسان[9] وأصاب وريّة وحراز ، وجرت

(١) سقط من (الأصل) فأثبتناه من (العسجد المسبوك ١٥٨) .

(٢) رحلة ابن جبير ١٢٦ ـ ١٣٠ ط حسين نصار سنة ١٩٥٥ م .

(٣) في (الأصل) : كسره . والإصلاح من (المطبوعة ٧٨) ، و (العسجد ١٥٨) .

(٤) الجنابذ توسّع في ذكرها ابن المجاور في (المستبصر ٧٥) قال : هن ثلاث قباب فيهن قبور آل الصليحي ، خارج بلد زبيد ، وفي (العسجد ١٥٩) هن قبالة باب سهام .

(٥) كذا في (الأصل) وفي (المطبوعة ٥٨) : فأخرج جميع أثقاله وأمواله إلى ظاهر زبيد .

(٦) الصامت من المال : الذّهب والفضّة ، والناطق الإبل والغنم .

(٧) في (الأيوبيون ١٢٣) : الشام .

(٨) **قلحاح** : جبل قرب زبيد ، وأظنه من شرف وصاب ، والله أعلم .

(٩) كذا في (**الأصل**) ، وأظنه : ريشان جبل ملحان بالمحويت ، وربما كان ديسان بالدال والياء ، حصن في الشرق الشمالي من المهجم في حزاز جبل ملحان .

بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة عدة وقائع على صنعاء وأقام مدة خمس سنين وصنعاء ليست في مملكته ، وفي سنة خمس وثمانين استولى على حصن كوكبان . وأولاده ولدان المعز إسماعيل والنّاصر أيوب ، وكان حسن السيرة ، وإذا رأى من يعرض له في موكبه أمسك رأس حصانه ولم ينصرف من مكانه حتى يكشف ظلامته ودان له الأمر باليمن بكماله ، وأزال ملك بني حاتم من صنعاء ، ودخل الجوف وصعدة ، وسوَّر زبيد سُوراً جديداً وسوَّر صنعاء بعد أن أخرب دورها[١] ورمي النفط في دورها . ولما استتم له الأمر ودخل في خاطرة الموت سلطن مملوكه أبو زبا[٢] وأرسله إلى البلاد العليا ومات في شهر شوال سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة بقرية المنصورة[٣] بين الجند وجبلة ، فأخفي موته إلى أن طلع به رأس حصن[٤] وأرسلت النجب في طلب ولده المعز ، وكان قد غضب على أبيه وأراد اللحوق بأعمامه بمصر ، فأدركته النجب على ساعد حرض ، فعاد واستولى على الملك وتسلّم حصن تعز وغيره من البلاد وقتل جمعاً كثيراً من غلمان أبيه .

ولما بلغه خبر أبيه جزّ شعره ولبس الأسود حزناً على أبيه ، وصعد صنعاء فقبض على الهمام أبو زبا[٤] وقتله في المحرّم سنة أربع وتسعين وعاد إلى اليمن ، وسَيّر الإمام المنصور الدعوة سنة أربع وتسعين وانضم إليه جماعة من عسكر سيف الإسلام . ولّما علم المعزّ بذلك رجع من فوره إلى صنعاء ، فصادفه الإمام على الحقل[٥] ومعه الأمير جكوا[٦] في مئتي فارس ، ولم يكن من رأي الإمام

---

(١) (المطبوعة) : سورها .

(٢) كذا ورد على الحكاية ، ومن حقه النصب ، وفي القرة انوريا .

(٣) في معجم المقحفي ٤١٣ : من قرى الصلو بالمعافر في القرب الشمالي من حصن الدملوة .

(٤) كذا في (الأصل) .

(٥) لعله : حقل البون شمالي صنعاء .

(٦) كذا يرد اسمه تارة بالجيم وأخرى بالحاء المهملة .

مصافقته[١] ، فلما ترائى الجمعان[٢] نكّس أصحاب جكوا رماحهم ودخلوا في صف المعز ، وثبت جكوا ثباتاً حسناً إلى أن قُتل ، وكُسر الإمام ودخل المعزّ صنعاء وعاد منها إلى زبيد ، وبنى المدرسة المعروفة بالميلين الآن ، وكان فاضلاً شاعراً ، وقفت له على ديوان شعر جميعه جيد بالنسبة إلى الملوك ، وداخلته الخيلاء في عقله وادعى الخلافة وانتمى إلى بني أمية ، ووصلت كُتب أعمامه من مصر ينكرون عليه غاية الإنكار ، ثم إنه أخاف مماليك أبيه فهرب منهم الأتابك [سنقر][٣] في طائفة عظيمة من المماليك ، وبقي أكثر من مَعه من الأكراد .

ولما تفاحش أمره بدعوى الخلافة قتله الأكراد على باب زبيد سنة ثمان وتسعين وخمس مئة ، ونهب الأكراد زبيداً نهباً شنيعاً ، وكان ولايته ست سنين . ولما علم الأتابك سيف الدين [سنقر][٤] بموته ، وكان بحصون حجةً هارباً من المعز وَصَل إلى تهامة وتلقّاه الأكراد والعسكر وجعلوه أتابكاً للملك الناصر [أيوب][٥] بن سيف الإسلام . وكان بيد الأتابك عدن ومخلاف جعفر ومخلاف تعز وصنعاء وأعمالها ونائبه فيها . وفي حرب الإمام المنصور علم الدين وردشار ، ونزل الأتابك إلى تهامة فقتل الأكراد قتلاً عظيماً بقرية الزريبة وهزمهم إلى زبيد ، ودخلها الأتابك ونَهبها نهباً عظيماً ، وتمّ الدست للأتابك ، وأمر بغلق مدرسة المعز ، واخرج الفقهاء الشافعية منها وأخرج وقفها ، ويقال إنه أوقفه على إمام مقام أصحاب أبي حنيفة[٦] وبنى مدرسة كبيرة بزبيد عقد فيها أواوين[٧] ،

---

(١) كذا في (الأصل) و (كنز الأخبار) .

(٢) عبارة (الكنز) : فلما التقى الناس نكس الغز .

(٣) ساقط من (الأصل) والزيادة ، من (المطبوعة) و (الكنز) .

(٤) ساقط من (الأصل) .

(٥) ساقط من (الأصل) .

(٦) بالحرم الشريف زيادة من (العسجد ١٧٦) .

(٧) جمع إيوان معروف من اللفظة الفارسية .

وهي الآن تعرف بمدرسة ابن دحمان . وبنى بالدملوة منـاظراً ومبـاني وكتب اسْمَـه على أبوابها وعمر المقدّم من مسجد الجند ، وفي أيّامه وقع في زبيـد ونواحيهـا رمـاد أبيض من السماء يوماً وليلة وظلمة شديـدة ، وخـاف النـاس الهلاك ، وظهر بعـد ذلك رماد أسود وحصلت أراجيف وزلازل ، ولم تزل أحوال الأتابـك مستقيمـة إلى سنة ثمان وست مئة وهو والد بنت جوزا[1] .

وفي هذه السنة مات بحصن تعز . وقام الملك النـاصر أيوب بـالأمر وَوَزر لـه غازي بن جبريل ، وتجهّز للطلوع إلى صنعاء في جيوش عظيمة وأموال جمة ، فلمـا استقر بصنعاء سمّه أستاذداره[2] غازي بن جبريل في المحرم أول سنـة إحـدى عشرة وست مئة وادّعى الملك لنفسه ، وضرب السكة باسمه ، وخطب له ، فلما أن صـار بالسحول وثب عليه مماليك الملـك النّـاصر فقتلوه ، ورجع المنصور[3] الزيـدي إلى صنعاء بعد أن كان قد أخرجه الملك الناصر منها ، ثُم إن سليمـان بن موسى الحمزي وصل ذمار بعسكر جرار فَمرّ على طريق بني حبيش[4] فغزا لحجاً ، فأخذها وأقام بالرَّعارع أيّـامـاً ، وعـاد فـافتقر أهل اليمن إلى من يسلطنـه[5] ، فوجـدوا سليمـان الصُّوفي من بني أيوب[6] بتعز في زي الصوفيـة فملكوه وأطلعوه حصن تعـز ، وقـام بالملك آخر سنة إحدى عشر وست مئة ، وكانت أموره ضعيفة ، وأحوال سلطنتـه سقيمـة ، وقـد بلغ بني أيوب مـاجرى بـاليمن فجهز الملـك العـادل ابن ابنـه الملـك المسعود صلاح[7] الدين يوسف بن الملـك الكامل بن الملـك العـادل بن أيوب وهو

---

(١) في (الأصل) و (المطبوعة) : حوزى .

(٢) الأستاذدار : لفظ فارسي يطلق على الذي يتولّى شؤون مسكن السلطـان أو الأمير ومصروفـاتـه وتنفذ فيه أوامره .

(٣) في (الكنز) : وعادت عساكر الإمام المنصور إلى صنعاء .

(٤) بنو حبيش : ناحية من أعمال إب .

(٥) (الكنز) : يسلطنونه و (المطبوعة) بسلطان .

(٦) في المطبوعة : سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وأظنه من المحقق .

(٧) في (المطبوعة) : اقسيس .

يومئذ بسن البلوغ في جيوش عظيمة وأموال جليلة ورجالة كثيرة ، وأتابكه[٦] ومدبر ملكه جمال الدين فليت ، فدخل الملك المسعود زبيداً في المحرّم سنة اثنتي عشرة وست مئة ، وطلع حصن تعز فتسلّمه وقبض على سليمان الصوفي في صفر من السنة وتزوّج بنت جوزى[١] وشغف بها ، وخرج الإمام المنصور من صنعاء إلى كوكبان في ربيع ، ووصلها الأتابك فليت في جمادى من السنة ، ونزلت عساكره فحطت بطرف الضلع ، وحطّ الإمام بموضع يُسمى اللطية[٢] ، وقامت الفتنة بينهما مدّة طويلة ، وجهز الإمام ولده عز الدين إلى جبل كنن[٣] وهو يومئذ في إثنتين وعشرين سنة ، وقد اجتمعت سَنْحان على الخلاف معه فمال لحَرْبه طائفة من العسكر الذين مع فليت ، وكانت بينه وبينهم عِدّة وقائع له وعليه ، ومات الإمام رحمه الله بكوكبان في المحرم سنة أربع عشرة وست مئة فَدُفن به ثم نقل إلى بكر[٤] في تابوته ، ثم حُمِل إلى مشهده بظفار .

وتوفي الأتابك فليت بعده بصنعاء في ربيع الأول من السنة ، ووصل الملك المسعود من اليمن إلى محطة كَنن في جمادى الأولى من السنة ، وتم الصلح بينه وبين عز الدين بن الإمام على تسليم كوكبان ، ولحق عز الدين ببلاده وتسلّم المسعود حصن براش صنعاء من الهروش[٥] في جمادى الآخرة ، وعاد إلى اليمن في رجب

(١) الأتابك : لفظ تركي بمعنى أب الأمير ، وهو لقب يطلق على الذي يتولى الوصاية والرعاية على الأمير أو السلطان إذا كان قاصراً .

(٢) كذا في (الأصل) و (المطبوعة) جوزا . ويرد ذكرها أحياناً بجوزه بهاء التأنيث وهي ابنة الأتابك سيف الدين سنقر السابق الذكر .

(٣) موضع بجبل الضلع .

(٤) كَنِن : بفتح الكاف وكسر النون من حصون خولان العالية وسنحان (المقحفي ٣٥٢) .

(٥) في (المطبوعة) ثم نقل إلى مشهده بظافر . وبكر بضم الباء والكاف حصن يحاذي جبل كوكبان ويطل على مركز الطويلة (المقحفي ٥٥) .

(٦) كذا في (الأصل) و (الكنز) ، وسيأتي ذكره بالهرش .

وطَلَع [صنعاء][1] مرة أخرى في ربيع الأول سنة خمس عشرة ، وعاد إلى اليمن في ربيع الآخر ، وعاد إلى صنعاء ثالثة في رمضان من السنة وعاد عنها ، ورجع إليها مرة رابعة في رجب سنة سبع عشرة فحط على حصن بكر وهو بيد عماد الدين يحيى بن حمزة وبه من أولاد الإمام وأمهات أولاده طائفة ، فأقام عليها سبعة[2] أشهر وأنفق أموالاً جليلة ، وجمع عز الدين جموعاً عظيمةً ، وأراد قصد تهامة لينفس على أهل بكر فخالف عليه علم الدين سليمان بن موسى الحمزي ، ووصل محطة بكر فتلقاه المسعود بالإنصاف العظيم والعطايا الجليلة وجهز معه جيشاً لحرب عز الدين ، وكانت بينهما بالجوف حروب عظيمة ، وتسلم المسعود حصن بكر في ربيع الأول سنة ثماني عشرة ، وسار إلى مكة حرسها الله تعالى قاصداً لقتال حسن بن قتادة فدخلها قهراً بالسَّيف ، وذلك في ربيع سنة تسع عشرة وسبع مئة [وعاد إلى اليمن ، وخرج المسعود من تعز زائراً أهله بعصر في رمضان سنة ٦٢٠ هـ][3] واستخلف على اليمن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي وهو يومئذ أتابكه وصاحب عسكره وسائر الأمور بيده .

وأقام مُرغم الصوفي الفتنة في الحقل وبلاد زبيد ، وسارت إليه عساكر الملك المنصور نور الدين ، وفيها راشد بن مظفر بن الهرش فَهزمهم [مرغم][4] وقتل راشداً سنة اثنتين وعشرين . وكانت وقعة عَصَر[5] بين الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول وهو مقطع صنعاء وأعمالها يومئذ وبين الأمير عز الدين بن الإمام يوم الأربعاء السّادس والعشرين من رجب سنة ثلاث وعشرين وست مئة . وعاد الملك المسعود من الديار المصرية ، وقبض على بدر الدين حسن بن علي بن رسول

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز) .
(٢) (الكنز) : تسعة بتقديم التاء ، وكذا في (المطبوعة) .
(٣) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز) .
(٤) زيادة من (الكنز) .
(٥) عصر : ـ بالتحريك ـ قرية غربي صنعاء ، أسفل جبل عصر .

وإخوته سنة ست وعشرين وسيّرهم مقيدين إلى مصر ، وسار الملك المسعود إلى مكة حرسها الله تعالى قصده الديار المصرية ، واستخلف الملك المنصور [نور الدين عمر بن علي][1] على اليمن ، فأدركت المسعود منيّته بمكة حرسها الله تعالى في ربيع الأول سنة ست وعشرين وست مئة رحمه الله تعالى .

ومن هاهنا : ابتدأ أمر الدولة الرسولية

استولى مولانا الملك المنصور عمر بن علي بن رسول بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى[2] من ولد جبلة بن الأيهم[3] بن جبلة بن الحارث بن أبي جَبيلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن [4] جفنة بن عمر بن مزيقياء[5] عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس[6] البهلول بن ثعلبة الضيم[7] بن مازن السراج[8] بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن عبد شمس[9] سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود عليه السلام .

---

(١) ساقط من (الأصل) و (المطبوعة) والزيادة من الكنز .

(٢) يرد هذا الاسم في المصادر بعدة صور ، فتارة يوجى وتارة نوحى وأخرى يوحى وقد حلل هذا الاسم ونسبة بني رسول مؤرخ الدّولة الرسولية في العصر الحديث ، الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر ٣٩ ـ ٥٢) فانظره .

(٣) زاد النويري في اختصاره للكتاب لفظة : (كما زعموا) وذلك بعد اسم جبلة مما يدل على شكه في هذه النسبة ، والله أعلم .

(٤) في (الأصل) بزيادة عليه ، و (الإصلاح) من (طرفة الأصحاب ٥٦) ط دار الكلمة .

(٥) في (الأصل) تقياس والإصلاح من (الطرفة ٥٦) .

(٦) زيادة من (العسجد ١٩٠) : ابن العطريف بن ثعلبة .

(٧) لا يوجد هذا في (العسجد) وفي (الطرفة ١٠٠) : ثعلبة البطريق يسمى أيضاً العنقا .

(٨) كذا في (الأصل) وفي (العسجد) : السفر ، وفي (الطرفة) : زاد السفر .

(٩) كذا عند المؤلف بزيادة عبد شمس ، وإنما في نسبه كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (انظر جمهرة أنساب العرب ٢٣٠) .

نسب كان عليه من شمس الضُّحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا
باق على مَرّ الزمان وإنما حلو المناسب ما يكون جديدا

استولى الملك المنصور على الأعمال التهامية جميعاً ، وأقام بها حتى قرَّر قواعدها ، وسار من زبيد في شوال فحطّ على حصن تعز ، وتسلم التعكر سنة سبع وعشرين ،وفيها استولى على الأعمال الصنعانية فأقطعها ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن بدر الدين ، وتسلَّم حصني بيت عز وحب سنة ثمان وعشرين ، وفيها طلع صنعاء ، فأمر بالمحاط على براش ، واتفق بالأمير شمس الدين بن الإمام وعمة عماد الدين يحي بن حمزة ، وعقدوا صلحاً عاماً بينهم ، وتمّ على أحسن الوجوه[1] بحيث لم يجر بينهم حرب إلى أيّام أحمد بن الحسين سنة ست وأربعين إلا مرة واحدة في سبب نذكره إن شاء الله تعالى . ثم عادوا إلى صلحهم ، وطَلَع الملك المنصور إلى صنعاء مرة أخرى سنة تسع وعشرين ، فتسلم بكر وكوكبان وحصن براش[2] ، واستولى على بلد علوان الجحدري وحصونه في سنة ثلاثين ، وتسلم حصون حجة والخلافة ومخاليفهما في سنة أربع وثلاثين ، وسبب ذلك أن تاج الدين بن عماد الدين نزل إليه فأنصفه[3] وعظّمه وأقطعه المحالب[4] وطَلَع منه فسولت له نفس السوء أخذ كوكبان ، ولقد باع غالياً برخيص ، فعمل[5] فيه ودخله وأصحابه ولم يبق من أخذه شيء فلم ينصر وخرجت رتبة الخيل من الدار فهزمتهم وأخرجتهم من الحصن ومات أكثرهم برداً باقي جنوده[6] ، فغضب لذلك

(١) الكنز : على ما يريد .
(٢) براش : حصن في الجهة الغربية الجنوبية من صنعاء على ٦ كم ، وهو من أعمال الطويلة .
(٣) (الكنز) : فلاطفه .
(٤) المحالب : قرية من تهامة خربة تقع في وادي مور على مقربة من الزهرة .
(٥) (الكنز) فعامل .
(٦) كذا في (الأصل) وعبارة (الكنز) : ومات أكثر عسكره برد باقي الجند .

الملك منصور غضباً شديداً ، وسار نحو[1] حجةً والخلافة ، ومن جملة عسكره ستون ألف راجل ، فاستولى على حجة والخلافة وحصونها في يوم واحد اتفاق لم يجر لأحد ، وعاد وقد كان أمر عند مسيره إلى حجة والخلافة الأمير أسد الدين فحطّ بالجنّات[2] وشمس الدين بالطرف ، وجرى بينهما يوم قارن[3] ، وهو من مشاهير الأيّام العظيمة .

ثُم إن عماد الدين وأولاده بعد ذلك اعتذروا للملك المنصور واعترفوا بالخطأ ، فأعاد عليهم حجة والخلافة وحصونها ، وهكذا يكون الملوك يأخذون قهراً ويعيدون عفواً . وطلع الملك المنصور مرّة ثالثة صنعاء سنة سَبْع وثلاثين ، فتسلم حصن الكميم[4] . وأتاه وهو بصنعاء خبر قتل نجم الدين بن أبي زكريا[5] بحضرموت . وتسلّم جبل حفاش[6] وهو من معاقل اليمن المشهورة في الجاهلية والإسلام سنة إحدى وأربعين . واستولى على جبال العوادر[7] وحصونهم سنة خمس وأربعين ، وبلَغه عن الأمير أسد الدين بن أخيه أموراً لم تعجبه فاستدعاه ، فأتاه وهو بالجؤة[8] ، فَتَخوف الأمير أسد الدين فسار هارباً حتى إذا بلغ السحول وجد الأمر قد سبق بحفظ الأمير[9] ، فدلّه الورد بن ناجي طريق القفر ، وتجهّز الملك

---

(١) هنا سقط في (الكنز) .

(٢) الجنات : بلدة عامرة بالشمال من مدينة عمران بمسافة ٣ كم .

(٣) قارن : « قرية في البون الأعلا تتبع إدارياً جبل عيال يزيد بالشمال الغربي من عمران .

(٤) (الأصل) : الكبي .

(٥) (المطبوعه) : زكرى .

(٦) حفاش : ـ بالحـ المهملة ـ جبل بالقرب من صنعاء بمسافة ١٤١ كم جوار جبل ملحان (انظر المقحفى ١٢٤) .

(٧) العوادر : قبيله من حمير ، ثم من شرعب .

(٨) الجؤة : مدينة حربه في جبل الصلو تحت قلعة الدملوة .

(٩) (الكنز) : قد سبقه لحفظ النقيل .

المنصور لطلوع صنعاء وحربه ، فمال[1] في خلال ذلك الإمام أحمد بن الحسين القاسمي الحسني في صفر سنة ست وأربعين وست مئة ، فخلع[2] السلطان ، فكان طلوعه لحربه فلقيه ابن أخيه أسد الدين إلى ذمار ، فرضي عليه وسار بين يديه حتى حطّ بحوشان[3] القاع الذي تحت ثلا ، والإمام يومئذ بثلا في جموع عظيمة ، فجرت بينهما حروب منها اليوم المعروف بيوم العقاب ، قتل فيه من عسكر الإمام سبعون رجلاً بالنشاب ، وعاد إلى صنعاء في رمضان من السنة ، وخرج منها في المحرّم سنة سبع وأربعين وست مئة إلى حضور بني شهاب ، وقد اجتمع للإمام في قرية داعر[4] عساكر عظيمة عليهم عبد الملك[5] بن الحسن ، فقاتلتهم عساكر الإمام قتالاً شديداً ، وكان يوماً مشهوداً ، ورجع الملك المنصور من صنعاء في ربيع سنة سبع وأربعين .

وكان قد اتفق قبل طلوعه إلى صنعاء أن ولدي الأمير بدر الدين حسن أخو السُّلطان الملك المنصور ، أسد الدين محمد وفخر الدين أبو بكر عاملا مماليك الملك المنصور على قتل سيّدهم وبذلا لهم الأموال الجمّة وتكفلا لهم بالمواعيد الحسنة ، وإنما فعل أسد الدين ذلك وساعده عليه أخوه فخر الدين لأنه لهم غرض[6] السلطان الملك المنصور وعزله من صنعاء ، وهو إذ ذاك مقطع بها ، وأن غرض الملك المنصور يقطعها ولده السلطان الملك المظفّر ، فعزّ ذلك على أسد الدين وتورط كما ذكرناه آنفاً ، فأمر السلطان الملك المنصور ناجياً صاحب السحول أن يمنعه

(١) كذا في (الأصل) و (الكنز) : فقام ، وهو الصواب .

(٢) كذا في (الأصل) وفي (الكنز) : فجعل ، وهو الصواب .

(٣) حوشان : هو القاع الفسيح فيما بين شبام كوكبان ومدينتي ثلا وجبلة .

(٤) قرية من ناحية البستان (الحجري ٣٢٥) .

(٥) كذا في (الأصل) وهو خطأ صوابه ما في (الكنز) : عليهم ولد بدر الدين عبد الله بن الحسن .

(٦) كذا في (الأصل) .

نقيل صيد ، فلما صار أسد الدين بالسّحول أشرف ناجي على الأمير أسد الدين من طاقة بيته وقال : ارجع إلى عمك فوالله لامكنتك تطلع النقيل ولا سبيل لك إليه البتّة ، فخالف[1] أسد الدين من غائِلته ، فاسترفق رجلاً من بني ناجي يدله على طريق غير النقيل فطلع به من مغارب ذمار .

وناجي المذكور من وزراء الدولة المنصورية ونصحائها وممن كان يرجع فيها إلى قوله ، ولما استقر أسد الدين بذمار ، راسل الإمام أحمد بن الحسين الزيدي فأجابه إلى غرضه ، وأقام فتنة على عمّه فاقتضى ذلك توجّه المنصور إلى صنعاء لإخماد فتنة ماثار سنة كاملة ، وكان غرض مماليكه الوقوع به في صنعاء . فقال بعضهم : لا يمكن ذلك بصنعاء اصبروا عليه إلى أن ينزل اليمن ويرى أهله وأولاده فقد صار لهم عنه سنة ، والمواعيد الأسدية بلغت بماليكه ، والأماني التي ألقاها إليهم تقدمهم مرة وتؤخرهم أخرى . فلما رجع من صنعاء إلى موطن مملكته ونزل قصر الجند وثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه .

وكان قد استكثر من المماليك حتى أنه قيل أن بحريته ثمان مئة فارس يحسنون من الفروسية والرمي مالا يحسنه بحرية مصر ، والمماليك الصغار قريب منهم في العدد غير حلقته وعساكر أمرائه ، وكان ملكاً كريماً حازماً سريع النّهْضة عند الحادثة ، وأعظم الدلائل على ذلك غير ماقدمنا أن الملك الكامل صاحب مصر والشام جهز إلى اليمن ألفي فارس من خيار عسكره وشجعانهم ، وجعل عليهم الأمير المعروف بالأسد جفريل ، فجاءته كتب الشّريف راجح بن قتادة الحسني صاحب مكة ، وكان ناصحاً له منتمياً إلى خدمته تعرفه بذلك ، وتقرب جفريل إلى مكة فسار الملك المنصور يطوي المراحل نحوه حتى جاوز حلي فتلقته كتب الشريف بهروب جفريل حين[2] بلغه قرب السلطان ، وأنه رجع إلى مصر يطوي

(١) كذا لعل صوابه : فخاف .

(٢) في (الأصل) : حتى ، والإصلاح من (الكنز) .

المنازل ، فصدّر للشريف بأموال عظيمة وكساء نفيس وعاد نحو اليمن ، ويقال : إنه كتب كتباً أجوبة للأمراء الذين كانوا مع الأسد جفريل ، وإن جفريلاً عثر عليها وتوهم فساد العسكر فرجع قافلاً . ويقال : إنّ من جملة من عاد من الأمراء غير جفريل إلى اليمن من أرباب الطبلخانات[1] ابن برطاس وفيروز جد هؤلاء الأمراء الآن في إب والله سبحانه أعلم .

ابتداء الدولة الغرّاء والمملكة المعظّمة الزهراء المتّصلة بالخلافة العباسية المستعصمية ، دولة مولانا السّلطان وخليفة الزمان أبي المنصور الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف بن عمر .

قتل الملك المنصور وولده السلطان الملك المظفر في إقطاعه بالمهجم وهو غير طيب النفس من والده ، حتى قيل إنه كان يهم تلك السنة بالمسير إلى الخليفة ببغداد ، وذلك حيث قدم عليه إخوته الملك المفضّل والملك الفائز ابني بنت جوز[2] . فلَمّا بلغه خبر والده سار من المهجم يطلب الملك بجدّ وجَد وتوفيق وسعد اليُمْن طائره والنصر مسايره ، ولم يخرج [من المهجم][3] إلاّ بحلقته ، وكلّما مرّ من العرب بقوم استصحبهم معه فارسهم والراجل ، وكان من المماليك لَمّا قتلوا السلطان الملك المنصور أصبحوا في الجند كغنم بلا راعٍ ، وخافوا أولاد السلطان ، فلَم يقصدوا واحداً منهم ، فسلطنوا الأمير فخر الدين أبا بكر بن بدر الدين حسن بن علي ولقبّوه بالملك المعظّم ، وساروا به نحو تهامة ، وكانت الملكة الشمسية كريمة السلطان الملك المظفر بزبيد وزمّام دارها الطواشي تاج الدين بدر

---

(١) كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق . والطبلخانة أيضاً : المكان المخصص من حواصل السلطان لطبول الفرقة وأبواقها ويحكم ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم يقف عليها عند ضربها (التعريف ٢٢٨) .

(٢) (الكنز) : حوزة (سبق) .

(٣) زيادة على (الكنز) .

[الصغير][1] في السجن ، فحين بلغها قتل والدها أخرجت الخادم من السجن واستولت على المدينة ، وأنفقت على من بها من العسكر والعوارين[2] وهم بمنزلة الحرافيش بمصر مع العسكرية . فجاء فخر الدين والمماليك والمدينة قد حفظت عنهم فحطّ على باب المجرى ، ووصل السلطان الملك المظفّر فحطّ بالأقواز[3] وراء المماليك ، وتخلّف فخر الدين ، فإن ليس فيه للملك آلة ، ومع ذلك راسلهم السلطان الملك المظفر ولا طفهم ، وقيل كان من كلامه لهم : لا تجمعوا علينا بين قتل أبينا وخروج الملك منّا ، فأجابوه ودخلوا على فخر الدين وهو في الخيمة فقطعوا طنباً[4] من أطنابها فكتّفوه وساروا بأجمعهم إلى مولاهم ابن مولاهم فقبض على فخر الدين ودخل زبيد في موكب عظيم وعليه جلالة المُلك وأُبهة السلطنة ، فلمّا قَعَد على السماط أنشده الفقيه سراج الدين بن دعّاس[5] وكان حضيضاً[6] به منتسباً إليه قصيدتَهُ المشهورة وأولها :

إن غاب نور الملك عن أفق العلا	فانظر ضياء الشمس قد ملأ الملا
أو كان جفن الدهر أمْسى أرْمدا	فاليوم أصبح بالمظفر أكحلا
لا تجزع الدنيا لفقد مليكها	رزئت برضوى واستعاضت يذبلا[7]

[حتى قال :][8]

---

(١) انفرد به في (الكنز) .

(٢) هذا التعريف المهم ينفرد به كتابنا ، والحرافيش فئة متدنية من المجتمع كانوا يعيشون في الغالب على النهب والسرقة .

(٣) جمع قوز : وهو المستدير من الرمل والكثب .

(٤) الطنب : حبل طويل يشد به الخيمة ونحوها .

(٥) هو سراج الدين أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دعاس الفارسي كان أديباً شاعراً وفاته سنة ٦٦٧ هـ ؛ العقود اللؤلؤية ١/١٥٥ .

(٦) كذا في (الأصل) صعوا به : حظياً .

(٧) رضوى ويذبل : معروفة .

(٨) زيادة من (الكنز) .

لم ترض غيرك يـا أبـا عمرٍ لهـا ... فـاستجلهـا إن العرائس تجتلى
أو مـا تراهـا في زبيـد تـزدهي ... وتميس في حلـل المفـاخر والحلى
قُـل للـذي رام التملّـك جـاهـلاً ... وسَعَى فضَلّ عن الطريـق وضَلّـلا
مـا أنت والملـك الـذي لا سِرّه ... بـادٍ عليـك ولست فيـه مؤهّـلا
ارجع إلى كأس الطلاء وذر[1] العُـلا ... للمغمد الأسياف في هام العدى[2]
ولصاحب الجيش الذي سدَّ الفضاء ... وفلا بحـد السيف نـاصيـة الفلا
وأعاد ريحـك حين هبت أزيبـاً[3] ... نكبـاً بريـح منـه هبت شمألا
هي دولتي وأنـا الـذي أمّلتهـا ... والله يُعطي سـؤلـه من أمَّـلا

ذِكْر ما تسلّمه السلطان المظفّر سنة ثمان وأربعين وست مئة

لَمّا استولى على زبيد وكافة الأعمال التهامية ، سار نحو عدن طريق الساحل ، فاستولى عليها وعلى لحج ، وأبين في صفر من السنة وطلع الجبال فاستولى على بلد المعافر وحصونها في صفر أيضاً ، وحطَّ على تعز وبه الخدام[4] والأمير علم الدين سنجر الشعبي في ربيع الأول وتسلّمه في جمادى الأولى ، وتسلَّم حصن حبّ ، وطَلَع صنعاء في ذي الحجة آخر السنة ، وقد كان الأمير شمس الدين بن الإمام اتفق هو والإمام أحمد بن الحسين ، وقَصَدا أسد الدين إلى صنعاء فأخرجوه منها إلى حصن براش ، وقاتلته عساكر الأشراف بالمدرج[5] ، فكانت هنالك وقائع مشهورة ، فلَمّا قارب السلطان صنعاء ، خرج منها الإمام إلى سناع[6] .

(١) (الكنز) و (العقود اللؤلؤية) : دع .

(٢) (العقود اللؤلؤية) : الطلا .

(٣) الريح الجنوبية يخشاها الناس .

(٤) زيادة من عند المؤلف .

(٥) وهو حصن الجبر من مخلاف الشرف التابع للواء حجة .

(٦) سناع : قرية شرقي حدة على بعد ٨ كم من صنعاء (معروفة هناك) .

وترك السيد الحسن بن وهّاس الحمزي رتبة في ضبوة[1] فقصده الأمير أسد الدين بعساكر السلطان فأسَرَه وجماعة من أصحابه ، وعاد السلطان إلى اليمن فاستولى على حصن التعكر سنة تسع . فوصل[2] الأمير بدر الدين حسن بن علي من الديار المصرية في سَلْخ المحرَّم سنة تسع ، فلقيه إلى حَيس وقبض عليه وحمله إلى حصن تعز فأودعه دار الأدب وقد صار بها فخر الدين ، وكان الاتفاق بين الإمام أحمد بن الحسين وأسد الدين في سنة خمسين . ودخل أسد الدين في طاعته وباع عليه حصن براش صنعاء بمئتي[3] ألف درهم ، وسيَّره بعساكره وعساكر من قِبله عليهم الشريف هبة بن الفضل العلوي إلى ذمار ، واستولى الطواشي ياقوت المظفري على حصن الدملوة ، وهو بيد بنت جوزى وخدَّامها تاسع عشر القعدة سنة خمسين . فسار إليه السلطان فطلعه[4] من فوره ، وكانت بنت جوزة وولداها المفضَّل والفائز في معقل الدملوة ، وكان معهم أربع مئة فارس تغزو إلى الحوبان[5] ، وتعب الملك المظفّر من ذلك فهادَنها ورَهَن ولده الأشرف معها ولالته[6] الخادم ياقوت ، وكان حزماً[7] ، فعامل[8] الرُّتبة وباع الحصن منه ، فلَمّا علم بجوز الحصن أمر من قال لها : يا مولاتنا البقرة الفلانية ولدت عجلاً برأسين بالجؤة ، فلَمّا نزلت قبض على الحصن وأوقد النّار بأعلاه ، وكانت تلك إشارة بينه وبين أستاذه . فركب الملك المظفر للوقت والفور وسَيَّر الطواشي

(١) في (الكنز) : رتبه على صنعاء ، وفي (المطبوعة) : صفوة ، قلت : ضَبوة : بلد ووادٍ من ظاهر بلد سنحان (المقحفي ٢٦٧) .

(٢) (الكنز) : ووصل ، وهو الصواب .

(٣) (الكنز) : خمسين ألف دينار ، قلت : لعله كذا صرف المئتي ألف درهم في ذلك الوقت .

(٤) عبارة (الكنز) : فطلع في آخر ذي القعدة .

(٥) الحوبان : ـ بالحاء المهملة ـ قاع من ضواحي شرقي مدينة تعز .

(٦) من الألفاظ الفارسية المستعملة في العصر المملوكي ، وهو بمعنى : خادم أو غلام .

(٧) (المطبوعة) : حازماً .

(٨) في (المطبوعة) : فغافل أهل الحصن .

يـاقوت المظفري على حِصْن الـدملوة وهو بيـد بنت جوزة وخـدّامها تـاسع عشر القعدة سنة خمسين ، فسار إليه السُّلطان فطلعه من فوره وبعث تاج الـدين بـدر إلى ذمار ، فنفى[1] عنها أسـد الـدين وهِبَـة بن الفضل ، ثم عـاد أسـد الـدين إلى طاعة السلطان فأكرَمَه .

وسار أسد الدين بين يديه ماشياً فسبقـه ، فلَمّـا دخلوا على السماط خـالفَـه السُّلطان فأبى وخَدَم وقال : هـذا مكاني ومكان أبي وذاك مكانـك ومكان أبيـك ، فأعطاه أموالاً جليلةً وأمدّه بعساكر فعـاد إلى صنعـاء فخرج منهـا الإمـام . وهـذا أسد الدين بقوّتـه يُضرب المثل ، كان يقبض الركاب الْحَـديـد فيطبق بعضـه على بعض ، ورمي[2] بدبوس هلال مأذنة صنعاء فـأخـذ قصيهـا[3] ، واقتنى المماليـك الأنجاد ، وكتب في سجن ابن عمِّه كتباً كثيرةً للفقهـاء وأكثرهـا مصـاحف ووقفهـا وورقهـا من عنـده . وطلع السُّلطـان إلى صنعـاء فحـطَّ بـدرب عبـد الله وأخرب ضيـاعـاً وشيئـاً من بسـاتينهـا ، وعـاد إلى اليمن في رجب سنـة إحـدى وخمسين . واختلف الأمير شمس الدين بن الإمام وأصحابـه والإمـام ، فـانتصروا بـالسلطـان فـأمر أسـد الـدين بمنـاصرتهم ، فخرج إليهم إلى البـون[4] وتسلَّم السُّلطــان حصني براش[5] والزّاهر ، وسار شمس الدين وأسد الدين إلى الإمام إلى صنعاء[6] ، فخرج منها وترك بها السيد الحسن بن وهّاس ، فَدَخلا عليه قهراً بالسَّيف فأسراه ، وعـاد أسد الـدين إلى صنعـاء وشمس الـدين إلى الظـاهر ، ثم طلبـه الأمير شمس الـدين

---

(١) (المطبوعة) : ففر .

(٢) في (الأصل) : ويرمي ، وفي (العقود ١٧٩/١) : وهـو الـذي رمى الهلال الـذي على منـارة صنعاء بدبوس من حديد فأسقطته عن مستقره .

(٣) كذا في (الأصل) ولعله قصها : الجص (معروف) .

(٤) (المطبوعة) : البيوت خطا .

(٥) (المطبوعة) : براقش خطأ .

(٦) كذا في (الأصل) وهو خطأ بيّن ، صوابه ما في (الكنز) و (المطبوعة ٩١) : صعدة .

فخرج إليه ، فقصدا الإمام بالطرف من بلد بني شاور ، فالتقوا بِحِلَمْلِم[1] ، فكسر الإمام وقتل من عَسْكره طائفة ، فمنهم الفقيه حسام الدين حميد بن أحمد المحلّى[2] من علماء الزيدية وفضلائها وله من التصانيف الجامعة والرسائل المفردة إلى الملوك والعلماء ماليس لأحد ، وأسر شمس الدين أحمد بن يحيى بن حمزة ، وكان بعسكره مع الإمام مخالفاً على أصحابه الحمزيين وذلك في رمضان سنة اثنتين وخمسين .

وجهز السّلطان مبارز الدين برطاس إلى مكّة في شوال سنة اثنتين أيضاً ، فجرت الوقعة المشهورة بينه وبين الشريفين أبي نمي وإدريس بن قتادة ، وكان أول اليوم له وآخره عليه فكسر وقتل بعض عسكره وأخذ ما كان مَعَهم .

ولمّا ضعف الأمير شمس الدين بن الإمام عن مناوأة الإمام أحمد بن الحسين ، قصد الأبواب الكريمة السلطانية المظفرية بأصحابه الحمزيّين والسلطان يومئذٍ بزبيد ، فَلقيه وأنصفَه وأكرمه وأعطاه أموالاً جليلةً وإقطاع مدينة القحمة ، وعاد منه على أحوال حسنة قَويّ الظهر ماضي العزيمة ، وذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين ، فسكن في صنعاء .

وكان احتراق الحرم الشريف النبوي صلوات الله على ساكنه في رمضان سنة أربع وخمسين ، وكذلك خروج النّار بالحجاز بالقرب من مدينة رسول الله ﷺ ، فأقامت مدة يعلو لهبها ودخانها وترمي بالحجار الكبار والصّغار ليلاً ونهاراً وترى على مسافة أيّام .

---

(١) حلملم : قريتان من عزلة الأشمور ، وأعمال عمران وهي بكسر الحاء وفتح اللام وإسكان الميم .

(٢) هو علامة اليمن الكبير المعروف بحميد الشهيد صاحب المؤلفات الكثيرة ، من أشهرها : (الحدائق الوردية) ، انظر مؤلفاته وترجمته ومصادره في كتابنا (مصادر الفكر الإسلامي ١٠٧) .

ثم إنّ علماء الزيدية ورأسهم الشيخ أحمد بن محمد الرصّاص ، طعنوا على الإمام في شيء من سيرته وأنكروا على ولاته فأمر بإخافتهم[(١)] ، فلحقوا بالمغرب[(٢)] بلد صفي الدين ، وجرت بينهم مكاتبة ، فأمر إليهم السيد الحسن بن وهّاس ليسمع ماعابوا عليه ، وقد قال له خواصه : لاتُرْسِلْه إليهم فإنّهم يستميلوه فلم يُساعد ، فلمّا وَصَلهم ناظروه فاستمالوه وصار رأسهم ، فكاتبهم الأمير شمس الدين يطلب منهم الاتفاق[(٣)] على الإمام فأجابوه إلى ذلك ، فسُرّ به سروراً عظيماً ، وخرج من صنعاء وطلعوا من المغرب فالتقوا في البون ، فصارت كلمتهم واحدة على حرب الإمام بعد أن سألوه المناظرة فيما عابوه من سيرته فأبى ، فكتب الأمير شمس الدين إلى السلطان يُعلمه بميل الشيعة عن الإمام ويستمدّه بالمال ، فبعث إليه بمئة ألف درهم مع علم الدين حمزة بن الحسين[(٤)] ، فوافاهم قبل الوقعة بساعة ، وكان في سنة خمس وخمسين قحطٌ عظيم وغلاء في السّعر فمات أكثر الناس جوعاً ، ولم يكن في بلد الأشراف زرع إلاّ في شؤابة[(٥)] ، فجمع الإمام جموعه ، وصدَّر بعساكره من صعدة والجوف وغيرهما من البلدان المستولى عليها ، فسار من مُدَع[(٦)] نحو شوأبة ، وساروا من البون للدَّفع عن زرعهم. ، فالتقوا طلوع الشمس يوم الأربعاء سلخ صفر سنة ست وخمسين وست مئة ، وكانت عساكر الإمام تقارب ثلاث مئة فارس وفوق ألفي راجل وعساكر الأمراء الحمزيون ثمانون فارساً[(٧)]

---

(١) في (الكنز) : صاح بإهدارهم .

(٢) عبارة العقود ١١٥/١ « فأمر بإخافتهم فلحقوا بالمغارب وقيل خرجوا من حوث على وجه الغضب إلى بلاد صفي الدين » .

(٣) (الكنز) : (النصرة) .

(٤) (الكنز) : (الحسن) .

(٥) شؤابة : واد من أعمال ذي بين في بلاد بكيل « نسب إليه القرية المذكورة » .

(٦) مُدَع : جبل وحصن منيع يطل على مدينة ثلا من الغرب الشمالي .

(٧) عبارة (الكنز) « دون المئة الفارس » .

وأربع مئة راجل ، فأجْلت الوقعة [عن قتل][1] الإمام في نفر يسير .

ودعا السيد الحسن بن وهّاس إلى نفسه بالإمامة يوم الجمعة ثالث الوقعة وبايعته الشِّيعة الأشراف ، وتم إلى صَعْدَة واقتسم هو والأمير شمس الدين الحصون والبلاد التي كانت بيد الإمام نصفين ، فلم يلبث الأمير شمس الدين أن مات في ربيع الآخر من السنة بصعدة ، فقام بالأمر بعده الأمير نجم الدين موسى بن الإمام ، فلم يلبث أن مات فقام بالأمر بعدهما صِنوهما الأمير [المنتصر بالله][2] صارم الدين داود بن الإمام ، فاتفق هو والإمام الحسن[3] مُدّة ، وخالف عليهما محمد بن سليمان بن موسى وجمع إليه مخاليف أبيه ، فسار إليه الأمير صارم الدين بعسكره ، وعلم الدين علي بن وهّاس بعسكر أخيه ، وقد استولى محمد على الجوف وهو مقيم بسوق دعام[4] ، فقاتلهم فكسروه ودخلوا عليه الدرب قهراً ، فالتجأ إلى دارٍ فيه ، فدخل عليه الحسن[5] بن محمد الجحّافي فقتله وابنه أحمد والشريف حمزة بن علي من أهل ذيبيين وثور نائبه محمد بن جحاف ، وكان سليمان بن مُوسى أسر في جماعة من أصحابه ، ثم ضرب أعناقهم صبراً . وكان جملة القتلى في هذه الوقعة مئة رجل .

ولم يلبث الأمير صارم الدين والإمام الحسن أن افترقا وصار مابينهما متباعداً أشد التباعد ، وآل الأمر إلى أن قصده الإمام الحسن ليحاربه على ظفار ، وكان الأمير أسد الدين يومئذٍ بظفار ، حين استولى السلطان الملك المظفر على صنعاء ونفى أسد الدين عنها ، فخرج الأمير صارم الدين لحرب الإمام وخرج معه

---

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز) .
(٢) زيادة من (الكنز) قلت لم أجد حصره الكنية في إتحاف المهتدين ٦١
(٣) يعني به الأمير حسن بن وهاس بن أبي وهاس (إتحاف ٦٠) .
(٤) من (الجوف) .
(٥) في (الكنز) (الخصر بن محمد) وفي مطبوعة (العقود اللؤلؤية) ١٢١/١ حصن .

الأمير أسد الدين بمن بقي من مماليكه وأمّا أكثرهم فقد كان لحق بالسلطان فالتقوا بعصافر[١] ، فانهزم عسكر الإمام فثبت ثباتاً حسناً وقاتل قتالاً شديداً ، وكانت تلك عادته في كل معركة شهدها . وكذلك أسر ثلاث دفعات هذه آخرها ، في كلها يحضر الأمير أسد الدين ، فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب ، فأقام بسجن الأمير صارم الدين بظفار عشر سنين ، ثم أخرجه على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

فلمّا قتل الإمام أحمد بن الحسين طلع شمس الدين علي بن يحي فحطّ على الكميم بعسكر السلطان وتسلّم حصن أشيح في الحجة آخر سنة ست وخمسين والكميم وهداد[٢] سنة سبع وخمسين . وطَلَع نحو رداع فأخذ براش[٣] العرش قَهراً بالسيف واستأسر منه ولد أسد الدين في جماعة كثيرة ، وقصد السلطان صنعاء في المحرّم ، فدخلها سنة ثمان ، وقد خرج منها أسد الدين فصار إلى ذمرمر[٤] ، فأقام السلطان بصنعاء أيّاماً ورتب على حصن براش[٥] الشريف أحمد بن محمد العلوي ، وكان ولاّه الإمام أحمد بن الحسين فبقي في يده ، وعاد السلطان إلى اليمن وقد رتب جيشاً بصنعاء ، فلم يلبث أسد الدين أن جمع جمعاً وحطّ بالمدورة[٦] عند الحمراء ، وكانت له حروب مع عسكر صنعاء قتل في بعضها أفوش[٧] الألفي رَمَاه الأشقر أحد مماليك أسد الدين ، وقد صار في جملة العسكر السلطاني ، وكان

---

(١) بلد من حاشد .

(٢) هداد : حصن في بلاد حجة .

(٣) هو براش رداع حصن بالجنوب من رداع بمسافة ٨ كم (المقحفي / ٤٦) .

(٤) حصن بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٨ كم ، يُعَدُّ مركزاً لوادي السرّ (المقحفي / ١٦٨) .

(٥) هنا هو براش الباقر السابق ذكره على بعد ٦ كم من صنعاء ، وهو حصن منيع من أعمال الطويلة (والله أعلم) .

(٦) المدورة : من قرى جبل ملحان في بلاد الحويت .

(٧) في (الكنز) : آقوش .

الألفي أحد الأمراء المماليك المشهورين بالشجاعة والكرم ، وبلغ السلطان ما كان من أسد الدين فجهّز الأمير علم الدين سنجر الشعبي مغيراً إلى صنعاء ، فارتحل[1] أسد الدين من محطّته ولحق بلاد الأشراف ، ولم تقم له راية بعد ذلك .

وأعاد الأمير علم الدين المحاط على براش ، وبقي أسد الدين يتردد من ظفار إلى ظفر[2] ، ونزل الجوف ، وكانت له وقعة عظيمة مع العرب قتل فيها طوق بن حميدان من آل راشد بن منيف ، ثم لحقته مضرّة شديدة حتى باع ثيابه وأحرق منها ما كان مزركشاً ثم كتب إلى السلطان .

إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي وإلاّ فأدركني ولمّا أمزّق[3]

ثم سار إلى زبيد في شوال سنة ثمان وخمسين ، فقبض عليه وعلى شمس الدين وصدر بهما إلى تعز ، فلمّا دخل أسد الدين على أبيه وأخيه لاماه وتخاصما فقال : لا نكن مثل أهل جهنّم . يريد به قوله تعالى : ﴿ كلّما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ ويريد به قوله : تخاصم أهل النار .

وفي رجب سنة تسع وخمسين تسلّم السلطان حصن براش[4] من الشريف أحمد بن محمد وعوّضه بالمصنعة وعزّان من بلاد حمير عنه وبمال أعطاه إيّاه .

وفيها في شوّال سار السلطان إلى مكة طالباً الحجّ ، فاتفق له أحسن الحج وأطيبه وعاد إلى تعز في صفر سنة ستين ، وكان قد قبض علم الدين الشعبي على

---

(١) في (الكنز) : (وأعاد المحاط) .

(٢) ظفر : بلد من حجة .

(٣) من شعر الممزق العبدي وبه لقب .

(٤) هو براش صنعاء (سبق) .

السيد يحي بن محمد السّراجي[1] وكحله في الحجة سنة ستين[2] .

وفي سنة إحدى وستّين تسلّم السلطان حصن الجاهلي وحجةَ وشراه من الشريف أحمد بن قاسم القاسمي بمال ، وفيها حطّت عساكره على ذَمَرمر . وفي سنة اثنتين وستين تسلّم حصن مُدَع من بني وهيب وعوّضهم حصن بيت أنعم ، ودراهم اشترطوها ، وفيها دخلت عساكره صَعْدَة . وفي سنة ثلاث قبض على محمد الوشاح الشهابي وقبض حصن بيت برام وصوايب[3] ، وفيها في شعبان تسلّم حصن ذَمَرمر وبعده الفصّ الكبير ، وفي سنة أربع خرج الشعبي فحطّ على حصن ذيفان[4] وهو للأمير شجاع الدين يحي بن الحسين فتسلّمه في جمادى من السنة ، وفيها تسلّم السلطان الفصّ الصغير ، وفيها حطّ بكتمر القلاّب على الشريف أحمد بن محمد بالمصنعة وعزّان فتسلّمها واعتاض بها حصناً بالجدم[5] ومالاً ، وفيها تسلّم السُلطان حصن بيت ردم وحصن اللجام[6] شراه من الأشراف أولاد سليمان بن موسى .

---

(١) هو الإمام الداعي يحي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسن سراج الدين بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو المعروف بالسراجي دعا في بلاد مسور سنة ٦٥٩ هـ ، وقيل سنة ٦٥٧ هـ ، وأسر في حضور سنة ٦٦٠ هـ فكحله والي صنعاء سنجر المذكور هنا ، ثم اشتغل بالعلم إلى أن توفي سنة ٦٩٦ هـ (إتحاف المهتدين / ٦٢) .

(٢) (الكنز) وخمسين خطأ .

(٣) كذا في الأصل والمطبوعة والذي في الكنز (بيت ردم في حضور) كذا يقرى وبيت برام وبيت ردم من حضور ، وصوائب لاشك في تصحيفها قلب لعلها تصحيف خوال من حصور أيضاً (انظر غاية الأماني / ٤٨٧) .

(٤) ذيفان : قرية في ناحية ريدة من قضاء عمران .

(٥) الجدم : بضم الجيم والدال من حجة .

(٦) اللجام : حصن من حجة أيضاً .

وفي شعبان سنة خمس تجهَّز بكتمر القلاَّب بعسكر السلطان لعمارة الزّاهر في الجوف ، فقصده الأشراف الحمزيُّون فقتلوه في بعض عسكره وانحاز الباقي إلى براقش ، وفيها تسلَّم السُّلطان حصن مَبْيَن بحجة وتسلَّم الموقر[1] وحصونه والخلافة من الشَّريف أحمد بن قاسم القاسمي وأعطاه مالاً جزيلاً ، وفي المحرَّم سنة ست وستين تسلَّم السلطان حصن العرايس[2] وبلادها من علوان الجحدري ، وفيها قصد علم الدين الشعبي الأشراف الحمزيين بصعدة فصفوا له في نقيل العجلة فهزموهم وقتل الأمير علم الدين حمزة بن الحسن بن حمزة ، وكان فارس بني حمزة غير مدافع ، وفي سنة سبع تسلَّم السلطان حصن براش صعدة من عز الدين بن شمس الدين وكان في سجنه فاستحال[3] نفسه فيه ، وفيها في ربيع حطَّ علم الدين سنجر على ثلاء وأخذ التعبرة[4] ورتَّب فيها .

وفيها سار موسى بن الرسول ومغلطاي أحد المماليك البحرية في عسكر السلطان مع عز الدين بن شمس الدين للمحطّة على تلمّص[5] ، فلَمَّا اشتد الحصار على ثلاء وتلمص اجتمع الأشراف والعلماء عَلى صارم الدين داود بن الأمام على إخراج الإمام الحسن بن وهّاس للنصرة به على دفع هاتين المحطتين فأخرجه على كره منه ، فخرج به الشريف علي بن عبد الله معه من ظفار إلى حصنه المِيْقاع[6] ، فلَمَّا اجتمعت عساكرهم ، وقد كاتبه عز الدين بالرجوع إليه فقصدوا صعدة وقينوا[7] المحطة ، فانهزم مغلطاي بالمماليك وأكثر العساكر إلى فلله ،

(١) الموقر : من جهات حجة حصن هناك يتبع الخلافة .

(٢) كذا في الأصل والكنز وقد نقلته عنه كل المصادر التي أرخت لهذه الحادثة وأظنه اسماً آخر لحصن العروسين في عزلة الفجرة من مخلاف العود وأعمال النادرة .

(٣) في الكنز (فاستمال نفسه بالحصن) .

(٤) كأنها بالقرب من ثلا .

(٥) تلمص : حصن مشهور في بلاد سحار من أعمال صعدة (المقحفي ٢٧١) .

(٦) في الأصول للنقاع بالنون : من حصون سحار المذكور .

(٧) كذا في الأصل ، وفي الكنز فنهبوا .

فأجارتهم خولان وساروا بهم طريق تهامة . وأمّا موسى بن الرسول فتخفّر بقوم من العرب يريدون نجران ، وبلغ الأشراف فلحقوه وأدركوه معهم ببطنة[1] صَعدة ، فقتلوه ورجع الأشراف من صعدة فجمعوا جموعاً عظيمةً وقصدوا علم الدين الشعبي إلى ثلا ، فانهزمَ من المحطة وتركها بما فيها ، وكان القتل من العسكر قليلاً ، فاستولوا الأشراف على المحطة وانحاز علم الدين إلى شبام وسار منها إلى صنعاء ، وذلك في رمضان سنة سبع وستين ، ثم تجهّز إلى صعده فدخلها في صفر ثمان وستين ، وعاد منها ، ثم عاود المحاط على ثلا مرة ثانية في المحرَّم سنة سبعين ، وتسلَّم حصون المصانع في ربيع من السنة .

وكان قيام الإمام إبراهيم بن تاج الدين في شهر ذي الحجة سنة سبعين وست مئة ، وسيَّر الشريف جمال الدين علي بن عبد الله أول سنة إحدى وسبعين إلى حضور وبلد بني شهاب وبلد بني الرّاعي فتلّقوه بالطاعة ، وكان دخوله في سبعة أنفار وصلّى بالناس أول جمعة في سبعة آلاف ، وخالف الأشراف إلى سليمان بن موسى مع الإمام . وكانوا مقطعين من السلطان بنواحي ذمار يوم تسلم منها اللجّام وقامت معهم علماء الزيدية بتلك الناحية ، فَسَاروا في جموع عظيمة نحو ذمار فدخلوها قهراً ، فقتلوا جماعة وخفروا[2] الباقين وأخربوها ، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين .

وفيها في جُمادى الآخرة سار السلطان إلى إبراهيم والإمام صارم الدين وعز الدين بن شمس الدين وساير الأشراف يريدون حدّه وسناع فمروا على السَّبحة[3] فلم يكن في صنعاء إلاّ ابن نجاح في مئة فارس من عسكر اليمن والشعبي بعسكره في محطّته بالجنات خوفاً على رتب ثلا ، فَصرف[4] من صنعاء وهم

(١) في الكنز : (سمرة بصعدة فعاد فقتلوه) .

(٢) الكنز : وأخذوا .

(٣) من صنعاء مما يلي بستان السلطان .

(٤) الكنز (فانصرف) .

الأشراف بمعاودة القتال عليهم اليوم الثاني ، فلَمّا كان آخر الليل دخلها الأسدية الـذين كانـوا في محطـة الشعبي من نجران في بقيـة عسكره ، فمرَّ على المحـاط بثلاء فقوَّاها وسار إلى شبام ومنها إلى صنعـاء ، وكانت بين عسـاكره والأشراف جمعاً[1] سـار بهم الشريف علي بن عبـد الله فرفـع المحـاط التي على ثـلا وأخرب القصر التي كانت فيه وقوّى الرتب ، وتمّ بعكسريه قاصداً الذروة[2] وبهـا الورد بن نـاجي ولم تكتمل عمارتها فهجم عليه ليلاً ، وانحاز إلى حقيْل[3] بعسكره فأخربها[4] وعـاد إلى أصحابه بسناع . وطلع السلطان فمر بذمار .

وفي شعبـان من السنـة قـام[5] بعمارة دربهـا وقَصـد صنعـاء فحـطَّ في درب عبـد الله ، وانحـاز الأشراف إلى بيت حنبص[6] ، وطلـع علم الـدين الشعبي عليهم فكانت وقعة بيت النَّاهم[7] قتل فيها **بنو** صفي الدين وجماعة من عسكر الأشراف من حدة وسناع فأخربها السلطان خراباً عظيماً وقطع أشجـارهـا في ربيع الآخر ، وفيها أمر بعمارة ظفار المعروف بقرن[8] عنتر ، وعـاد إلى محطتـه الصَّـافيـة فـأقـام بهامَـدَّة ، ونزل اليمن في جمـادي الآخرة ، وكان قتل علي بن مظفَّر العبيـدي[9] في شعبان من السَّنة . وصالحَ السلطان الأشراف مدّة وراح مِنْهُم كل إلى بلـدة وبَقَي الشريف علي[10] بن عبد الله في حصون بني شهـاب وبني الراعي ومغـاربهـا وهي

---

(١) الكنز (قتالات) .

(٢) الذروة : حصن منيع يطل على ذي بين من بلد حاشد .

(٣) في الأصل حفنل : وهو كذا في غاية الأماني ٢٦٤

(٤) في الكنز : فأخرب ذروة .

(٥) الكنز : فأمر بعمارة .

(٦) بلدة غربي صنعاء ظاهر جبل عيبان فوق حدة .

(٧) في الأصل الباهم بالباء موضع بالقرب من القرية المذكورة (غاية ٤٥٧) .

(٨) قرن عنتر : هو المعروف بظفار حصن في حازة صنعاء (المقحفي ٢٦٩) .

(٩) الكنز (العبدي) .

(١٠) في الكنز (والدي) لأنه والد مؤلف الكتاب المذكور .

مضافـة إليـه ، وكان الأشراف تخرج إلى نجران عقيب صلح السلطـان . وقتل فيـه الأمير علي بن وهاس قتله يام .

وكان في سنة ثلاث وسبعين قحط شديد ومات من النّاس عالم وأكلوا الميتـة ، وفي ربيع الآخر أخذ كوكبان جماعـة من بني خوال واستولوا عليـه ، واتفق أن علم الدِّين الشعبي كان في مخلاف ذمار لقبض الحقوق وقد ترك الأسـديـة جميعهم رتبـه بصنعاء مع ابن قلاّب[1] ومنهم رجل كان وقع بينه وبين مملوكه المعروف بـالـداوي خصمة على شراب فقتله الداوي في مَسير[2] الشَّعْبي عند عراس وهرب إليهـا ، وبلغ الأسدّية فقـاموا وقعـدوا ، وكانوا قـد خرجوا من حـدّ الْمَعْقول فـأعجبتهم نفوسهم فخـالفوا على السلطـان واستولوا على صنعـاء ، وقبضوا [على] مـوجـود الشَّعبي ، وذلك في الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وست مئـة ، وكاتبوا الأشراف بالوصول إليهم ، فوصلهم الشَّريف علي بن عبد الله وكان في جبل حضور يـوم السبت السـابع والعشرين في سَبْعـة آلاف راجـل ، فسكن القصر ، وجـاء[3] الإمـام والأمير صـارم الـدين داود وعـز الـدين وسـائر الأشراف خـامس جمــادى الأولى ، فـأقـاموا بصنعـاء إلى نصف الشَّهْر ، وخرجوا متوجِّهين نحـو ذمـار لقصـد الشّعبي وعندهم أن السلطان لا يبادر تلك المبـادرة وكانت طريقهم خـدار ، فلَمَّـا وصلوا جهران أتاهم الخبر الحقيقي بطلوع السلطـان فـانضربوا[4] غـايـة الانضراب وهمّوا بالرجوع فاستقبحوه فانحازوا إلى أفق[5] ، فسـار السلطـان إليهم يوم الجمعـة

---

(١) في (العقود) ١٦٨/١ العلاب وفي (المطبوعة) الغلاب بالغين المعجمة .

(٢) (الأصل) سيرة والإصلاح من (العقود) .

(٣) في (الأصل) وجلى والإصلاح من (الكنز) .

(٤) كذا في الأصل صوابه فاضطربوا غاية الاضطراب .

(٥) قرية من ناحية معبر جهران وأعمال آنس .

ثامن عشر جمادى الأولى ، فكان يوم أفق المشهور [انهزم الأشراف][1] بعد قتال يسير ، وكان الإمام منحازاً في الحصن فقبضت عليه العساكر السلطانية ، فلَمّا صار عنده أعني عند السلطان أنّبه وهمّ جماعة من المماليك بقتله ، فزجرهم وشتمهم وأركبه بغلة ، وكان سار[2] به بينه وبين الصّاحب بهاء الدين حتى دخل حصن تعز .

وعاد السلطان من ذمار وأمدّ علم الدين بمال فَسَار إلى صنعاء ، وكانت طريق الأشراف المغارب فلحقتهم مشقةٌ ، وطلعوا من عند دايان[3] بلد بني شهاب ، فساروا إلى حصن رَدْمان المعروف بالجوالس[4] وهو في بلد الشّريف علي بن عبد الله ، فأقاموا به مدّة ، ووصلهم الإمام المطهّر[5] إلى هنالك فدعا إلى نفسه بالإمامة وأقاموا الأشراف مدّة في بلد بني شهاب على غير قاعدة ، ثم توجَّه كلاًّ إلى بلده وبقي الشّريف علي بن عبد الله في الحصون الحضورية وهي إليه ، وخرج علم الدين الشّعْبي فحطّ عليها وهي القاهرة وعزّان وذلك في سنة ست وسبعين ، فاستمد الشريف علي بن عبد الله بالأشراف ، فلم يمدّه أحد إلاّ الإمام المطهّر فجمع جمعاً عظيماً وقَصَد الشّعْبي إلى محطته وهي بالوعلا ، وطلعا عليه الجبل حتى إذا وصلت عساكرهم القاهرة عجزوا عن قصد علم الدين إلى المحطة ، فلَمّا تيقن ذلك الشريف[6] علي بن عبد الله أصلح علم الدين بوساطة بني حاتم على تسليم الحصون الحضورية وتسليم ردمان أيضاً ، وعَلّى خروج من فيها من الأشراف ومال يسير وعاد إلى الظاهر ، والمطهّر إلى المغارب .

---

(١) زيادة من الكنز .

(٢) كذا وفي المطبوعة سامره .

(٣) عزلة من ناحية بني مطر .

(٤) كذا في الأصل وفي الكنز الحواليين .

(٥) في الكنز الإمام المطهر المتوكل على الله المطهر .

(٦) في الكنز والدي لأنه والد المؤلف .

وكانت وفـاة الأمير أسـد الـدين محمد بن حسن بحصن تعز ، ثـالث عشر ذي الحجـة سنة تسـع وسبعين . وأغـارت شـواني سـالم بن إدريس الحبـوظي على ثغر عدن ، فكان كما يقال : كالباحث عن حتفه بظلفه، والجـادع مـارن أنفـه بكفّـه ، فـاغتـاظ السُّلطـان من ذلـك وغضب أشـدّ الغضب ونزل إلى عـدن فجهزّ الجيوش وملأ البَرّ والبحر خيلاً ورجلاً وأموالاً وما يحتاجون إليه ، وسارت العساكر ثلاث قطع قطعةٌ في البحر وهم معظم الرجّالة ومعهم الأزواد ، وقطعة أخرى فيهـا أربع مئة فارس نقاوه مع شمس الدين أزدمر المظفريّ أستاذ داره وطريقهم على الساحل معارضين لسفنهم ، والقطعـة الثـالثـة فيهـا الشيخـان عبـد الله بن عمرو الحيـد[1] وشهوان بن منصور العبيدي وهم مئتا فارس من فرسـان العرب ، وكانت طـريقهم حضرموت فاتّفقت العساكر السلطانية الثلاثة قريباً من ظفار وسـاروا قـاصـدين سالماً ، فلَمَّا قاربوا المدينة وعندهم أنَّه يطاولهم فـأخرجـه حينئـذ حينـه فصفَّ لهم على بعد من المدينة فحملت عليه العسـاكر السلطـانيـة فطحنوه وأصحـابـه طحن الرّحى وأجْلَت المعركة عن قتلـه في جمـاعـة كثيرة من عسكره وذلـك يوم السَّبت السابع والعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين .

ودخلت الأعلام المظفرية المـدينـة الثـامن والعشرين ، ودخل شمس الـدين أزدمر والعسـاكر سلخ الشهر ، واختطب للسلطان في أول جمعة واستمرّ ملكه لهـا ، ورتب بها أزدمر وسنقر البرنجلي والحسام التوزيري ، ومن مشائخ العرب مقـدّمي الرّجل وعاد إلى اليمن ظافراً منصوراً وتسلّم حصن حضرموت ومدينةَ شبام ، وهذا السُّلطـان حقيق بـأن يُسمَّى التّبَّع[2] الأكبر لأنّـه ملـك حضرمـوت وحصـون حجّـة وصعـدة وحصن تعزّ وبراش صَعْدَة ومـا سبقـه أحـدٌ من ملـوك اليمن على هـذه المـواضـع ، ولقـد غفـل أهـل وقتـه عن عمـل سيرة لـه[3] ، ولـو وضعت لكان بهـا

(١) في المطبوعة الجند وكذا في الكنز .

(٢) ولأنه لا يطلق لقب تبع إلاّ على من تملك اليمن وحضرموت .

(٣) قلت في العقود اللؤلؤيـة نقل من كتـاب يسمى السيرة المظفريـة لمؤلف مجهـول وهـو من الكتب المفقودة فلعله يعني بنفس القصد الذي يعنيه المؤلف .

الغريب والبديع من الفتوحات والوقائع التي هي طراز سيَر الملوك ، ومن سعادته نجابة بيته خصوصاً مولانا السُّلطان الملك المؤيد .

واستعاد مولانا السلطان الملك المظفر كوكبان من الحواليين وحصن ردمان ومال يسير[1] وذلك في ربيع سنة سبع وسبعين ، وفيها تسلَّم حصن حضرموت ومدينة شبام ، وكان الأمير صارم الدين داود بن الأمير لَمَّا أمن[2] من جناب السُّلطان حين أوجده[3] أنه ما بقي يحاربه وثب على ابن أخيه الأمير عز الدين وعلي بن عبد الله فقبض بلدهما منهما من غير موجب إلاَّ الحسد والبغي ، فأقامَا على ذلك مدّة ، ثم قصد السُّلطان وكان وصول الشَّريف علي بن عبد الله إليه على يد الملك الأشرف فَوَصله عند رجوعه من عدن[4] وتجهيز جيوشه إلى ظفار ، فأقام معه مدَّةً لم يوجده[5] النُّصْرة ولا آيسَه منها ، وهو متطلِّع إلى ما يتطلَّع إليه من أخبار ظفار وأهله فأقام على بابه مدَّة ، وطَلَع على غير قضاء حاجة ، ثم نَزَل هو وعزّ الدين لحضور الفرحة بزبيد سنة تسع وسبعين أو سنة ثمان ، وأقاما بعدها مدَّة ولم تقض لهما حاجة ، وكأنه أراد اختبارهما بذلك . وكان بينه وبين الأمير صارم الدين كلام وجرت فيه أشياء ، فطلع الصَّاحب بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني محاكماً للأمير صارم الدين فحطَّ بالجنات من البون والأمير صارم الدين بالمصنعة الجبل المطلّ عليها ، فكانا يلتقيان على الثَّالث والرابع أيَّاماً ، وعلم الدّين الشعبي بصنعاء قد شرط الأمير صارم الدين أن لا يحضر مع الصَّاحب فلم يتم بينهما أمْر ورأى الصَّاحب من تَعْجرفهم وإدلالهم بكثرة عساكرهم وسُوء معاملتهم له

---

(١) كذا في الأصل والذي في المطبوعة (استعاد المظفر حصن كوكبان من الحوالين بحصن ردمان ومال يسير) . وفي العقود ١٨٩/١ (بحصن ردمان واثنين وعشرين ألفاً) .

(٢) كذا في الأصل والذي في الكنز (عاد) وهو الصواب .

(٣) كذا ولم نجدها في غير كتابنا هذا ، وأوجده في اللغة بمعنى أغصبه .

(٤) الكنز (وعقيب تصدى جيوشه) .

(٥) كذا والذي في الكنز (ولم يعده) .

ما أغاضه وأزعجه ، ونـزل ونـزل معـه الشَّريف علي بن عبـد الله وترك ولـده الشريف إدريس رهينة في صنعاء[(١)] مع الأمير علم الدين الشعبي ، وأقام الشَّريف علي بن عبد الله بالباب السلطاني حتى انقضت تلك السَّنة وعز الدين معهم في بعضها ، وانفصل حديثهم على تسليم حصنيها الميقاع وثغر[(٢)] صعدة فقبضها ولاة السلطان في المحرّم سنة إحدى وثمانين ، وطلع الشريف علي بن عبد الله أولاً لحرب تاج الدين فحاربه في بلاده مدَّة ، ثم خرج علم الدين بعساكره فلقيه الشَّريف علي بن عبد الله إلى القصور[(٣)] وساروا جميعاً إلى الظاهر فحطَّ الشّعبي عند الكولة وشرع في عمارتها ومعه عز الدين وجرت غوائر إلى جبل ظفاير[(٤)] وقتل فيها الأمير أحمد بن عز الدين بنشابة[(٥)] ، وحطَّ الشريف علي بن عبد الله [على] حصني كحل وأشيح بالظاهر الأعلى ، وقد كان الأمير صارم الدين عمرها مضاررة للشريف علي بن عبد الله ورماها بالمَنْجنيق فأخذهما في أقرب مدّة وعاد إلى علم الدين إلى محطته بالكولة وقد رتَّب البرحصة[(٦)] والجبسين[(٧)] وذروة بقي في عساكر مجيدة ، ثم رتَّب الشَّريف علي بن عبد الله بالكولة في مئة فارس وألف راجل وأضاف سائر الرتب إليه ، ونزل هو وعز الدين نحو شأبه[(٨)] وعَمَر دربها وجَعَل حرب ظفار وحصاره ممَّا يلي الجوف إلى عز الدين ، وعاد إلى صنعاء ، فلم يلبث أن سقط عليه القصر فمات ومات معه تحت الهدم الأمير علم الدين علي بن حاتم وصهره محمد بن بدر الجحافي وجماعة من مماليكه وكتَّابه ، وسلم القاضي

(١) عبارة صاحب الكنز (ونزل ومعه والدي وتركني رهينة في صنعاء) .

(٢) كذا في الأصل وفي الكنز (تعز) .

(٣) في الكنز القصور من بلد بني شاور .

(٤) كذا في الأصل والذي في الكنز (ظفار) .

(٥) في الكنز أصيب بنشابة .

(٦) كذا في الأصل والذي في الكنز الدحضة بالدال المهملة والحاء المهملة أيضاً ثم ضاد معجمة .

(٧) في الأصل الجيشين وفي الكنز (الحنين) .

(٨) لم أقف على هذه البلدة والذي في الكنز شؤابة وهو الصواب .

عمر بن سعيد والأمير[1] محمد بن حاتم وذلك في الثامن عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ، وطَمِع الأمير صارم الدين داؤد في رفع المحاط وإزاحة الشريف[2] علي بن عبد الله من الظاهر [وخرج إلى حُوْث][3] وكان يطلع كُلّ يوم إلى قاع عصافر ، ويسير الشريف علي بن عبد الله من الكولة نحوه فيتحاجز الناس ويعود كل إلى موضعه .

فلَمَّا لم ير له مطمعاً عاد إلى ظفار ، ولَمَّا مات علم الدين طمع بنو القلاب ومن بقي مع الأمير صارم الدين من الأسدِّية في الرجوع إلى الخدم السلطانية ، وقالوا : لم يكن يحول بيننا وبين عفوه إلاَّ الشعبي والساعة مات وظهرت مِنْهم أكاليم ، فوثب عليهم الأمير صارم الدين فلزمهم وقَيَّدهم واستولى على ما وجَدَ في بيوتهم ، ولم يعجب ذلك أكثر الناس لطول إقامتهم معه وسط البلد في ظفار ، وكانت عساكر الأمير صارم من يوم طلع الشعبي إلى أن لزم بني القلاَّب ثمانين فارساً وألف راجل ، واستمرت المحاط على ظفار[4] وانتقل الشريف علي بن عبد الله من الكولة فعمر المنقل وأقام فيه مدّة ، ثم طَلَع المنارة فعمرها وأقام بها مدّة ، وهجم عليه الأمير صارم الدين إليها ليلةً في أولِ عمارتها ، فلم يظفر بشيء فدخل في نفس عز الدين حسد عظيم للشَّريف علي بن عبد الله حيث رآه صاحب الحرب وإليه ترتفع الخزائن وليس عليه فيها مشارف[5] ولا كاتب ، فكتب إلى السلطان في ذلك ، فأجابه : إنَّا قد عرضنا عليك فأبيته وقلت : أنت

---

(١) في الكنز (السلطان) .

(٢) في الكنز (والدي) .

(٣) هذه الجملة زائدة على الكنز .

(٤) في الأصل ظهار (خطأ) .

(٥) المشارف وظيفة يكون صاحبها عمله طلب التفاصيل الكاملة عن أية جهة من الجهات الضريبية التي تقع في دائرة عمله ويدخل في عهدته جميع المتحصلات المالية بعد ختمها (مصطلحات القلقشندي ٣١٢) .

صاحب سهلٍ ما أنت صاحب جبل . ثم نزل عز الدين إلى السُّلطان وعاد إلى صعدة ، ولم يلبث أن مات ، وطَلَع الملك الواثق نور الدين إبراهيم بن السُّلطان الملك المظفر مقطعاً لصنعاء ، فدخلها في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين ، وتسلَّم حصن براش وقبض على دويدار الأمير سيف الدين بلبان العلمي ، وقد ظهرت منه أفعال توجب ذلك ، وتوفي الإمام إبراهيم بن تاج الدين بتعز أسيراً في ربيع سنة ثلاث وثمانين والإمام الحسن بن وقاس في الحجة .

ولَمَّا تضايقت الأحوال بالأمير صارم الدين عرض على حسن بن وهاس ودعاه للقيام معه فأبى عليه ، وعَرَضه أيضاً على المطهَّر فأبى عليه لما يعلمون من قُبح سيرته مع الأئمة ومخالفته لهم ، فَعَمد إلى ابن أخيه وهو إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن الإمام ، وقد قرأ شيئاً من العلم وليس بكامل للإمامة ولا لغيرها فأقامه إماماً ، وأخرجه إلى ثلا ولبَّس به على[1] العامة ، فاجتمع معه عسكر كثير ، وقاد الأمير قواداً[2] جيداً من جبل الجوف من بني عبيدة وسواهم ، وخرج إلى ثلا فسار بإبراهيم إلى الظاهر ، فانحاز منهم الشريف علي بن عبد الله إلى جبل الميقاع ، فقاتلوا على الكولة والحبسين ، فلم يظفروا بها ولا منها بشيء ، فقصدوا المنقل والمنارة ، وكانت ولاتها قد سَهَّلوا في رجال الرتبة فأخذوها قهراً . كل ذلك والشريف جمال الدين علي بن عبد الله منتظر لمادَّة من صنعاء ، لأنه لم يكن مَعَه إلاَّ عسكره الأول وهم دون عسكر الأشراف لكثرتهم ، فلَمَّا وصلته المادّة توجَّه نحوهم فأدركهم خارجين من المنارة وأرَاد الأمير صارم الدين صرف الحرب عن ظفار وجهاته ، فسار بإبراهيم وبتلك العساكر التي اجتمعت له إلى صعدة مدَّة شهرين ، هذا تحت حصنه تلمَّص وهذا تحت حصن السلطان تعز ، وكان

---

(١) (الكنز) : واستمال به العوام .

(٢) كذا في (الأصل) .

الخيلان[1] من الجانبين في أول الأمر إلى سبع مئة فارس ، وجهزّ السّلطان الأموال قبل وقت استحقاقها ، فعجز الإمام صارم الدين عن مقاومة العساكر السلطانية فخرج هارباً على جبل بني عوير[2] ثم سواد عِذَر[3] ثم الخموس[4] ، ثم على شظب[5] حتى دخل ثلا والشريف علي بن عبد الله معارض له إلى أن حطّ الجنّات وحطّ البلكى بعسكر صنعاء في المنقب ، وحصروه في ثلا فتداركه الشيخ ابن الحيد بصلح حسّنَه للسلطان فقَبله ، واتفق ذلك سنة أربع وثمانين ، وعاد إلى ظفار .

وأقام الشّريف علي بن عبد الله يتردّد في الظاهر من حصن ذروة إلى حصن العبادي في حوث إلى سنة خمس وثمانين ، ونزل الباب السلطاني[6] فتلقاه الملك المسعود والصاحب بهاء الدين إلى الحوبان ، وحضر على الفور ، وأمر ولده الشّريف عماد الدين إدريس بن علي برواية أبيات قد كان عملها في الطّريق ، فقام بها ولده المذكور ، وأقام مدة ثم شال له الطبلخاناه خمسة أحمال وخمسة أعلام وزاده مع البونين[7] الخشب والخارد ومطرة وحصن ذيفان فقال من قصيدة يَمدحه ويذكر الأعلام :

وأعلمت بالأعلام يوسف أنني	صفي وأني عند حادثة ذخر
وحركت بالكوسات[8] ما كان ساكنا	ولكن به من سمع تحريكها وقر

---

(١) كذا في (الأصل) والذي في (الكنز) : وكانت الخيل من الجانبين تناهز ثمان مئة .

(٢) من سحار .

(٣) في (العقود ٢٠٢/١) : غربان وعذر من همدان .

(٤) الخموس : من بلاد الأهنوم (غاية الأماني ٣٥٠) .

(٥) شظب بالظاء المعجمة جبل واسع يطل على السودة من عمران .

(٦) يقول صاحب (الكنز) : وأنا معه يومئذ غلام ابن اثنتي عشرة سنة .

(٧) في (الأصل) البرش ، والإصلاح من (الكنز) .

(٨) جمع كوسة : وهو صنوج من نحاس تُشبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص .

ثم إن الأمير نجم الدين وعلماء الزيدية حملوا الإمام المطهر على الخروج من دروان[1] بحجة ، فخرج وقصد الرتبة بصعدة في جموع عظيمة ، وجاءته خولان فقاتل على الدّرب فأخذه قهراً وقتل من فيه وهم ثمانون رجلاً وسَلِمَ[2] الوالي غلاّب ، وقتل من عسكر المطهّر خمسة وثلاثون رمياً بالنشاب، ، وسار ومعه الأمير نجم الدين إلى الجوف فأخذوا حصن الفجرة وسواقة[3] وطلعوا الظّاهر ، فخربوا الكولة والدّحضة ، وجاءت الشريف علي بن عبد الله إمداد صنعاء فتميّل من الظاهر . ونزلوا الجوف مرّة ثانية ، ولم يقم المطهّر لإشارة الأمير صارم الدين ورأيه ، لأنه قد كانَ عدّل حصن القفل في الصلح الأول في مقابلة خروج ولده وندم عليه ، وعلم أنه لا يرجع له إلا في حرب ، ومع إمام مخالف ونقض صلحه ، ووصل المطهّر إلى وَرْوَرْ واتفقوا فحطّوا بشرع[4] ، وحطّ الشريف علي بن عبد الله تحت حصن ذيفان مقابلاً لهم ، ثم طلع الملك الأشرف فحطّ بالمَيْدان بصنعاء ثم دخلها وسار منها إلى محطة ذَيْفَان في سنة ست وثمانين ، ثم طلع الظاهر وأمر بعمارة الكولة ورَتّب الشّريف علي بن عبد الله بها ، وعاد فأقام في صنعاء مدّة ، ونزل صنوه الملك الواثق معزولاً من صنعاء ، ثم جرى حديث الصلح ، فأصلح الأمير صارم الدين بعد استيلائه على حِصْن القفل ، وأصلح الإمام وقد كان انتقل إلى تنعم بشرق صنعاء ، ونزل الملك الأشرف ومعه الشّريف علي بن عبد الله ، وأرسل الإمام والأمير صارم الدين لتمام الإصْلاح وذلك في رجب سنة سبع وثمانين [فأقطع السلطان ولده الملك المؤيد][5] صنعاء وأعمالها وطلعها آخر سنة سبع وثمانين ، فأقام بها برداع مدّة ، وطلع الشّريف علي بن عبد الله بَعدَه

---

(١) في الأصل دوار .

(٢) (العقود ١/٢١٠) أسروا .

(٣) كذا في (الأصل) و (الكنز) وفي (العقود) : شؤابة .

(٤) بلد وواد في مخلاف زيدان بني زهير من أرحب .

(٥) ساقط من (الأصل) والزيادة من (الكنز) .

بأيَّام ، فمرَّ عليه برداع ودخل معه ذمار ، واستأذنه في التقّدم ليتجهز لِلقائـه إلى صنعـاء ، فسـار معـه ولقيـه ، وكان دخول [المؤيـد][1] صنعـاء رابع عشر من ذي القعدة ، ودغم[2] المرتبون بحصن براش[3] في رجب سنة ثمان وثمـانين ، فسـار إليهم المؤيّد فأخذه عليهم قهراً .

وفي صفر سنة تسع وثمانين توفي الأمير صارم الـدين داود بن الإمـام ، وفيهـا نـزل السُّلطــان الملــك المـؤيــد والشريف علي بن عبـد الله والأمير نجم الــدين موسى بن أحمـد ، فكان ذلـك سببـاً لقوة إمـارة الأمير همـام الـدين[4] سليمـان بن القاسمي بعد [موت][5] عمّه صارم الدين وملكه لحصون ظفـار ومسيره إلى تلمص بصعدة فقَبَضـه ، ولو بقي هؤلاء في البلاد مـا أمكنـه ذلـك ، وانتقض الصلح بين السُّلطان الخليفة والإمام فخرج السلطان الملك المؤيّـد من صنعـاء ومعـه الشريف علي بن عبد الله والأمير محمد بن حاتم ، فأخرب المشرق وقاتل عسكر الإمام بجواز الجبـال مراراً ، ثُم قَصَـد إلى جبل اللـوز ، وقـد صـار المطهَّر فيـه ورتب ابن عمّـه الشَّريف أسعد بتنعم[6] ، وفيه حريمه وأولاده ، فقاتَلَهُ الملك أيَّامـاً على الجبل ، ثم طَلَعه عليه قهراً ، وذلك خامس المحرَّم أول سنـة تسعين ، فقتل جمـاعـة من عسكر الإمام ويمَّ هارباً طرقاً متوعرَّة وشُعوباً لم تسلـك قبل ذلـك . وخرج على بلـد بني وهَّاس ، ثم على الظَّاهر ، حتى صار بقوبان[7] وهو يومئذ لبني القاسم ، فأقام فيه مـدةً وعـاود إلى حِصْنيـه ذروان ، وعـاد الملـك المؤيـد من جبل اللوز إلى تنعم ،

---

(١) زيادة من (الكنز) .

(٢) كذا في (الأصل) و (الكنز) وفي (العقود ٢١٢/١) : رغم .

(٣) (الكنز) : يريش .

(٤) كذا في (الأصل) والذي في (الكنز) : المتوكل على الله سليمان بن القاسم .

(٥) زيادة من (الكنز) .

(٦) ينعم : والذي في (العقود) : نعم ، قلت تنعم قرية من خولان العالية .

(٧) كذا في (الأصل) وقد وقفنا طويلاً عند هذه الكلمة فلم نقف عليها .

فحطَّ عليها يومين ، وتسلمها ورفق حريم الإمام فلحقوا به ، وأخرَبها خراباً عظيماً وعاد إلى صنعاء ظافراً مسروراً ، وأقطع السلطان الخليفة ولده الملك الواثق ظفار الحبوظي فركب البحر من عدن في رمضان سنة اثنتين وتسعين وست مئة .

ثم إنَّ الشريف علي بن عبد الله استوحش من السلطان الملك المؤيد ، وكان أكثر الأسباب في ذلك سعاية أهل بابه[1] وأنَّه من جملة أصحاب الملك الأشرف[2] وينتمي إليه ، فترك الوصول إليه ، ونَمَى ذلك إلى الخليفة فكتب إلى الشَّريف علي بن عبد الله بسببه ، فقال في جوابه : إن ابنك ملك قادرٌ شاب وأخشى منه بادرةً فأكثر ما تقول : أخطأ داود ، فعاد جوابه يقول : معاذ الله أن يفعل ذلك وأن يخالف أباه . فلم تطب نفسه بذلك ، واستمر على الامتناع ، ثم أخرج قاسم بن محمد الأبرش الرهينة من صنعاء ، فتأكدت الوحشة وآل الأمر إلى قبض شيء من بلده ، فكان سبب خلافه ، واستَدْعَاه[3] الإمام المطهَّر فوصل إليه من ذروان إلى حصن براش والمغرب ، وسارا جميعاً إلى حوث ، ثُم قصدا الكولة فحطَّا عليها وقاتلا على دربها وفيها أسد الدين محمد بن يحي بن حسين في مئة فارس وألف رجال ، وذلك سنة اثنتين وتسعين ، ثم أقاما بذروة مدة والأمير هُمام[4] الدين مؤانس لهما بماله ورأيه وهو تام على صلحه حتى قبض الأمير نجم الدين موسى بن أحمد بلده بصعدة ، فجعلَه عذراً للخلاف ، واستدعاهما إلى ظفار ، فوصلاه وذلك في رجب من السنة ، وكان خلاف الصَّارم بن يوسف بن منصور ودعمته[5] في

---

(١) أي : المقربون عنده .

(٢) هو عمر بن يوسف تولى سنة ٦٩٤ هـ وتوفي سنة ٦٩٦هـ ، وكان ينافسه على الملك أخوه المؤيد داود بن يوسف ، واستقر الأمر للأخير حتى توفي الأول .

(٣) في (الأصل) : استدعى والإصلاح من (الكنز) .

(٤) (الكنز) : المتوكل على الله سليمان بن القاسم .

(٥) كذا وفي (الكنز) : وأخذه لحصون حجة . إلخ ...

حصون حجة والخلافة في المحرَّم سنة إحدى وتسعين .

فلمّا صارت كلمة الأشراف واحدة ، خرج الملك المؤيد فحطّ بالماجلين[1] ، فأقام بالكولة أيّاماً ، ونَزَل فحطّ السبيع[2] ، ثم قصد الأشراف ورجلها حتى صاروا بالأكمة الحمراء ، فاتفق خلاف بني شهاب وأهل حضور إليهم وردوا على الناس ردّة صادقة فهزموهم من الماجل وقتلوا خمسة أنفار ، فعاد الملك المؤيد إلى محطته بالسبيع ، ثم عاد منها إلى صنعاء ، وخرج الأشراف فحطّوا على الكولة وضايقوا أهلها فاستمدّوا من السلطان وقد رتبّ مع الأمير ابن وهّاس بشرع مئتي فارس ، وألفي رجال فأمرهم بالطلوع ليرحل الأشراف فاَعتذر ، فصدَّر أسد الدين محمد بن يحيى بن حسن وبدر الدين حَسَن بن بهرام ، فَطَلعا بذلك الجيش الذي كان مع ابن وهّاس وزيادة عليه إلى الظاهر ، وبلغ الأشراف فساروا من محطتهم ، فالتقوا بموضع يُقال له المعسكر يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين بعد الظهر ، فاقتتلوا إلى [أن] رؤى النشاب توري النار في الحجارة بعد المغرب ، وكان يوماً عظيماً مشهوراً ، وكاد الناس أن يتلازموا بالأيدي ، وضاق المكان[3] فكان كما قال المتنبي :

وثنايا بحيث لا يجد الرّيح[4] مداراً ولا الحصان مجالا

وكان للشريف علي بن عبد الله ما يشهد به الغز[4] وأصحابه حتى قال قائل الفريقين : قد رأينا هذا الشَّريف يقاتل مراراً فما رأيناه فعل ما فعل هذا اليوم على الجملة فهو الذي حمل القتال وصليه بنفسه ، وكان بالقرب إليه أولاده خاصة وخاصّته ، ولقد شقَ هذا منه مالم يكن يظن أنّ فارساً واحداً يفعله ، وافترق

---

(١) من بني صريم الظاهر الأعلا من بني عومي ثم من بني قيس (قرة ٤٦/٢) .

(٢) قرية من ناحية خمر (المقحفي ٢٠٠) .

(٣) عبارة (الكنز) وهي الأصح : (وكاد الناس أن يتلازموا لضيق المكان) .

(٤) الديوان : ولتمض حيث لا يجد الريح .

(٥) الرّسوليون .

النَّاس بعد المغرب ، فيمَّ العسكر السلطاني إلى جبل الحصين[1] ، ورجع الأشراف إلى ظفار ، وتجهز الشَّريف علي بن عبد الله والإمام للمسير إلى بلد بني شهاب وحضور ، فَخرجا من ظفار سابع الحجة فأدركهما العيد بثلا ، فعيَّدا هنالك وسارَا ، فأقام الشريف علي بن عبد الله بحضور يحارب على القاهر ، ويَمَّ الإمام فأقام بسناع من بلد بني شهاب ، وتجهز الملك المؤيّد لحربها فخرج فلمَّا صار بالفقه[2] من مخلاف صُدَا سعى القاضي ابن الذَّماري بأن يتفق الشَّريف علي بن عبد الله بالفقيه شرف الدين ابن الجنيد ، فاتفقا وانفصل لقاؤهما من عقد ذمة يكون الصُّلح في خلالها بظَفَار ، وعاد السّلطان إلى صنعاء ، وسار الشَّريف علي بن عبد الله إلى ظفار والإمام مقيم في بلد بني شهاب ، وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين ، فوصل إليه الفقيه شَرَف الدِّين إلى ظفار وخالف ابن وهَّاس والأمير نجم الدين موسى ابن أحمد عَلى السلطان ، ودخلا ظفار والفقيه شرف الدين بها ، وخرج الفقيه شرف الدين إلى صنعاء لما وفت ذمته[3] ، فسار الشريف علي بن عبد الله إلى حافد[4] فأقام به جماديين وأرسل ولده داود وابن أخيه قاسم بن الأبرش فعمرا حصن تقيح[5] في المشرق وجبوا شيئاً[6] من قطعته ، وخرج الملك المؤيد من صنعاء فحطَّ سهمان ، ووصل الأمير تاج الدين مادة إلى الشَّريف علي بن عبد الله ، فكان الإمام يحاربها تارة في رهقة[7] وتَارة في جبل حضور ، وصَبّح بيت شعيب فأخذه قهراً بالسَّيف وقتل أهله ، ثم عاد إلى بلد ابن

---

(١) (الكنز) : الحضنين .

(٢) الفقه قرية من رداع .

(٣) في (الكنز) : فلم يتفق حال في الصلح .

(٤) حافد : هو المعروف ببيت محفد حزاز جبل عيبان في الشرق الشمالي من بيت حنبص .

(٥) لم أجدها .

(٦) في (الأصل) وحساساً والإصلاح من (الكنز) .

(٧) حصن في جبل ملحان (الحجري ٢٧٣) .

وهاس فأخذ مصنعة بني القديم وأخرب البلاد ، فخرج الأمير همام الدين سليمان بن قاسم وركز مع ابن وهاس في بلاده ، وجهز خيلاً إلى الشريف علي بن عبد الله ، فسَرَتْ[1] فيها إليه ، فعاود صنعاء مراراً ، وعاد السُّلطان إلى صنعاء في شَعْبان ، فسار الشريف علي بن عبد الله إلى المشرق ، وطلع داود بن محمد بن دحروج بذمة ، ونزل الملك المؤيد إلى اليمن ، وطلع الملك الأشرف إلى صنعاء للصلح ، فدخل إليه الشريف علي بن عبد الله ، وانعقد الصلح الأعم بين الناس كافةً وذلك أول المحرَّم سنة أربع وتسعين .

ونزل السلطان الملك الأشرف اليمن وولاه والده الخليفة أمر المملكة بإقليم اليمن جميعه ، وأسكنه حصن تعز ، وأقام بثعبات[2] وتوجّه السلطان الملك المؤيد جهة المشرق : الشّحر وحضرموت ، وفي نفسه شيء لَمّا خصَّ الملك الأشرف باليمن ، وسارت معه عمته الملكة الشمسية[3] ، وكانت وفاة السلطان الملك المظفر آخر نهار الثلاثاء ثالث عشر رمضان سنة أربع وتسعين وست مئة ، وهو ابن أربع وسبعين سنة وثمانية أشهر وعشرة أيّام[4] وعشر ساعات[5] ، ومدة ملكه ست وأربعون سنة وعشرة أشهر وأحَدَ عشر يوماً ، وإيَّاه عنا أمير المؤمنين عليه السلام في ملحمة تخص أهل اليمن : « ثم يملكهم المظفر فيسوسهم ثلاثين وسبعة عشر » .

وكان ملكاً جواداً كريماً بذَّالاً للأموال في الحروب خاصةً ، وأعطي من السياسة والتدبير للملك توجّه حسن ، وما لم يُعط سواه من الملوك ، ولقد سَمِع

(١) هذا مما سها عنه المؤلف أيضاً لأن العبارة في (الأصل) لمؤلف (الكنز) وهو ممن شارك في الأحداث مباشرة ، وجهز خيلاً إلى والدي (يعني الشريف علي بن عبد الله المذكور) سرت فيها وعاودنا إلخ ... فالضمير في سرت يعود إلى مؤلف الكنز .

(٢) ثعبات : من تعز .

(٣) هي المعروفة بالدار الشمسي ابنة عمر بن علي الرسولي .

(٤) في (الكنز) : وأحد عشر يوماً .

(٥) قلت : لم يبق إلا الدّقائق والثواني ، وهذا من تمحل بعض المؤرخين ومجاملاتهم .

الإمام المطهر حين أتى خبر وفاته يقول : مات تبع الأكبر ، مات معاوية الزمان ، مات من كانت أقلامه تكسر سيوفنا وسلاحنا . وأقام السلطان الملك الأشرف بعده بأمر الملك ، واستولى على الحصون والبلاد بالخاليف كلّها ، ولّما بلغ الملك السُّلطان المؤيد موت والده ، أقبل من الشّحر طالباً للملك ، فسار خلد الله ملكه من الأعمال الشحرية قاصداً أخاه يرجو صِدْقه فيا عاهده به ووفّاه . ولّما قرب من اليمن ووصل إليه كتاب من أخيه الملك المنصور يعرّفه أنّه قد بلغه وصُولُه ، ويحذّره من التقدم إلى جهة اليمن ، وعَرَض عليه حصن السّمدان ، وكان إذ ذاك بيده ، ولم يقع بينه وبين الأشراف اتفاق ، وبذل الطاعة لأخيه السلطان الملك المؤيد فشكر له هذا الصنيع ، وبقي السُّلطان متردداً في هذا الحال ، وعمّا قليل وصله كتاب ثانٍ من القاضي موفّق الدّين علي بن محمد[1] الوزير الآتي ذكره يقول له : قد شاع في اليمن أنك واصل إلى جهتنا وبلغني من المحقق للحال أن الملك الأشرف صدَّر نفرين من الفداوية فالحزم الحزم واحترز على نفسك ، فبقي السُّلطان في أشد من ذلك التردد ، ولّما وصل إلى أبين وكان بها عسكر من جهة السلطان الملك الأشرف هرب المقدّم الذي بها إلى جهة اليمن ووقف جماعه مالوا إلى خدمة السلطان الملك المؤيد وجهته ، وبقي مستوحشاً من أخيه فطلب منه النجدة إلى الشحر فلم يصله وبلغه علم الفداوية ، فازداد لذلك وحشةً ، ورأى أن الصَّواب أن يجهز حريمه وأثقاله إلى حصن السّمدان ، فصدرهم ، وجهزَّ العسكر صحبتهم ، فوصلوا بالسلامة وقوي عزمه في أخذ عدن لينظر أين يبلغ مع أخيه ، فتوجَّه إليها وتأملها وتأمل دروبها الحصينة وماأمكنه أن يَسرع في المحاربة حتى

---

(١) في مطبوعة (العقود ٢٣٩/١) علي بن يحيى اليحيوي وهو كا ورد في كتابنا ورد في (العقود اللؤلؤية) طبعة أولى ٢٨٤/١ وبهجة الزمن ط أولى ١٠٠ ، وهو لا محالة خطأ في طبعة (العقود) الثانية المشار إليها آنفاً ، قلت : وهذا الوزير هو المعروف بالصاحب توسع في ذكره الخزرجي في عقوده ، وذكر وفاته سنة ٧١٢ هـ (انظر العقود اللؤلؤية ٢٣٠/١) .

يتحقّق من أين تؤخذ البلد ومعه من الجحافل[1] والعُربان كل طماع ، وبقي متردد الخاطر ورأى في بعض نواحيها درباً ركيكاً متسعاً[2] إذا طلع وأحرب أخذت البلد ، وإذا أخذت البلد عنوةً دخلت الجحافل والطماعة فأهلكت المسلمين ، وما استحل مثل ذلك ، ثم تأمّل ثانياً جبل عدن فرآه جبلاً واسعاً لا رتبة فيه ولا حفظة ، فطلب صيّاداً من الصيادين الذين يصيدون حول الجبل وسأله عن الجبل وعن طرقه ، وهل هو سهل الطلوع ؟ وهل فيه طريق يفضي إلى باب عدن ؟ فأجاب الصياد : أن به طريقاً يصل الإنسان منها إلى باب البلد ، فقال : تقدر أن تأخذ معك عسكراً وتصل بهم إلى الموضع الذي ذكرت ؟ قال : نعم . فكتم السلطان الحديث وأخذه معه إلى اللخبة[3] .

ولما كان المغرب أمر معه من المفردين الأجواد ثلاث مئة مفرد وقال : اطلع بهم ، وأوصاهم أنهم إن مكنوا الجبل وصل منهم رجل يعرّف الخاطر الشريف السلطاني بذلك ، وأوصى المفردين أن لا يُظهرون أنفسهم حتى يرون السّلطان بالقرب من باب عدن ، فجمع الوالي حينئذ عسكره للحفظ ، فلمّا قرب السلطان من الباب خرج المفردون وصاحوا من رأس الجبل ونزلوا فملكوا الباب ، فهرب الوالي والتجار إلى البلد وصاحوا الأمان الأمان ، فأذمّ السُّلطان عليهم وخرج الوالي والنّاظر وأعيان البلد التجار وصدور البلد رغبةً ورهبةً ، واستولى السلطان الملك المؤيد على عدن ، ولم ينلها من المتحفظة ولا من المتحرّمة شيء ، وساسها سياسة مثله ، وفتح الباب ، فكان سيفه المنصور مفتاحاً لقفله ، ورجع إلى اللخبة وهو في تردّد عظيم ، وما كان ظنّه أنه يفتح عدن في هذه المدة القريبة فلم

---

(١) الجحافل قبيلة من مذحج ، منهم في عصر المؤلف أربع فخائذ ، انظر (طرفة الأصحاب) للملك الأشرف عمر بن يوسف الرسولي ١٣٦ ط ثانية .

(٢) كذا في (الأصل) وفي (العقود ١/٢٣٩) : متشعثاً .

(٣) قرية خربة كانت بظاهر عدن وضواحيها .

يشعر إلا بكتاب من القاضي موفق الدين وهو يقول : وصلني ولد الأزبلي[1] ، وذكر أن جماعة من البحرية[2] عددهم تسعون فارساً ، وأن أحمد بن عمران العنابي[3] والفهد بن عامر الحجاجي مقدَّمي رجال مذحج عاهدوه على الميلة والخلاف ، وعدَّه أمراً كبيراً وبشارة عظيمة وإقبال . فقال السلطان الملك المؤيد : إذا صحَّ مثل هذه الأقاويل فهذا عنوان الفتح وقوي جأشه وتمثَّل بقول القائل :

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فلا رأي للمضطَّر إلا ركوبها[4]

وتقدم إلى لحج واثقاً بما قالته الجماعة وتكرّرت إليهم الكتب والرّسل ولم يظهر منهم إلا الوعد والتَّعْليل ، ولمَّا سمع الملك الأشرف بذلك ، وأن الناس مالوا إليه ميلان الحديد إلى المغناطيس جهز ولده الملك النَّاصر في ثلاث مئة فارس فلحقوا بجيوش صنعاء وهم في جملة العسكر ، الأمير جمال الدين علي بن عبد الله الحمزي وولدي أزدمر نجم الدين ، وبدر الدين والسلطان الملك المؤيد وولداه الملك المظفر والملك الظافر ليس معه سوى عسكره الذين وصل بهم من الشِّحر وجماعة من الجحافل مقدمهم عمر بن سَهْل ، فلمَّا كثر الجمع وتألبت الفرسان ، وقربت الخيام من الخيام ، وصافحت السّهام السهام ، ولم يبق إلا أن يظهر المقدَّم المقدام ، برز مولانا السلطان الملك المؤيد بنفسه في جحفل لجب ، يرى أن أولئك الجمع فرائس له ولشبليه[5] ، والتقى الجيشان وحصلت بينهما حروب عظيمة فَكُسر الملك المؤيد والتجأ إلى درب الدعيس[6] ونهبت خزانته وتقدَّم

(١) في (العقود) الأربلي بالراء المهملة ، ولعله الصواب .

(٢) يتردد ذكرهم هنا ، وهم في مصر خلال ذلك العصر طائفة من الأجناد السلطانية عملهم المبيت بالقلعة وحول دهليز السلطان في السفر كالحرس انظر (مصطلحات القلشقندي ٦١) .

(٣) (العقود) : العياني .

(٤) من أبيات مشهورة للكيت .

(٥) في (الأصل) : فراس ولسبيله .

(٦) قرية في وادي لحج .

لطلب الذمة له من الملك الناصر قتادة بن إبراهيم ، فأعطاه الملك الناصر منديلاً وأحاطت الجيوش بدرب الدّعيس ودخل عليه أمير جاندار[1] وقيده وولداه وساروا بهم إلى الملك الأشرف إلى الجؤة ، فلمّا علم بتقييدهم بكى بكاءً شديداً وأمر بإكرامهم وأمر بهم إلى حصن تعز فأسكنوا[2] دار الإمامة[3] تحت الروشن[4] وأمر بترتيب الأطعمة والأشربة وجعل عليهم خادماً يسمّى كافور البتولي ، وكان إذ ذاك مقدماً على المماليك ، وكان فيما يقال يفتش عليه الزبادي والخبز يكسره[5] ، وحكى الملك المؤيد أنه وجد رقعة بخط الفقيه رضى الدين أبي بكر بن محمد اليحيوي[6] وكان شَيْخَاً له ويرى[7] به والرقعة مكتوب فيها « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ والضُّحى ☆ وَالَّليلْ إذا سجى ☆ ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَماقَلَى ﴾ [الضحى ١/٩٣ ـ ٣] وهنأ الملك الأشرف شعراً بمسك أخيه ، ولقد أحسن تاج الدين موسى الموصلي فيما كتب به إلى الملك الإشرف في هذا المعنى فقال :

ولولا أن ضدك منك قلنا مقالاً منه تنفلق الصخور
ولكنّا نرجى السخط منكم يعود رضى وتنجبر الأمور

---

(١) أمير جاندار : لفظة مكونة من (جان) : بمعنى سلاح ، و (دار) : بمعنى ممسك وهي وظيفة يكون صاحبها بواباً يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان (مصطلحات القلشقندي ٨٢) .

(٢) في (الأصل) : فأسكنوه ، والإصلاح من عندنا .

(٣) قلت : لعلها الدار نفسها التي اعتقل فيها الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين .

(٤) الروشن من الفارسي هي : الكوة .

(٥) خشية أن يدس فيه شيئاً من السم .

(٦) في الأصل النحوي بالنون وهو ممن تقرب إليه السلطان المؤيد ، قال الخزرجي في (العقود ٣٢٠/١) : اعتقد فيه السلطان اعتقاداً جاوز الحد ، وكان مظهراً لإقامة المعروف والنهي عن المنكر ، توفي سنة ٧٠٩ هـ .

(٧) أي : يعتقده .

ولَمَّا دخلت سنة ست وتسعين توفي السلطان الملك الأشرف لسبعة أيَّام من المحرَّم وكانت أيَّام دولته حلمت بها الأيَّام ومدَّة انتهت في القصر إلى حدٍ يطول منه ظل الإبهام ، وأولاد الملك الأشرف مفرّقون إذ ذاك ، والملك الناصر جلال الدين بالقحمة[1] ، والعادل صلاح الدين بصنعاء لأمر أراده الله تعالى ، فأجمع آراء من بالحصن من الخاصة والعامة والسُّتور[2] المصوَّنة على إبراز شمس الوجود وإطلاع بدر الجود وأن يزأر الليث في غابه ، وأن يستقر الحق في نصابه ، وأن تسوس الدولة نعمانها[3] ، ويتسلم الحكم الإلّهية لقمانها[4] ، ولما كان سحر تلك الليلة زال ذلك القطع بالوصل التام ، وتسلَّم سلطاننا دام زمانه بيده الإمامة ، فكان الإمام ولكل وقت سلطان ولكل ملك زمان ، والأمر لابد له من غاية والشيء يرجى كشفَه عند النهاية ، وتقدمت الطواشية[5] والخدم إلى السُّلطان الملك المؤيد فأخبروه بانتقال السلطان الملك الأشرف إلى رحمة الله تعالى ، فنالَه ما نَالَه من الأسف ، وأنجزته ما وعدته الأيَّام وتهلَّل به فرحاً محيًّا الدين وطلعة الإسلام ، وداخل المسلمين من الفرح والسرور ما يقبل ويذهب بالنفس ، ومن فرح النفس ما يقتل ، ولَمَّا خرج من داره إلى مكان استقراره طلب من الوالي للحصن سَيْفاً ليكون بيده على عادته ، فأحضر سيوفاً ثلاثة له ولولديه ، فلَمَّا دخل منزل الملك ومَحلّ السّلطنة أنشده لسان الحال :

---

(١) القحمة : قرية تهامية خربة بالقرب من جبل القحمة على وادي ذؤال في الشمال الشرقي من زبيد بين بيت الفقيه والمنصورية (المقحفى ٣٢٤) .

(٢) جمع ستارة : لقب للمرأة الجللة استعمل في ذلك الوقت خاص في الغالب بزوجات الملوك والأمراء ، ومن ألقابهن في ذلك الوقت (الجهة) و (الدار) و (الستارة الشريفة) و (الستارة الكريمة) ونحوه .

(٣) نسبة إلى أحد ملوك الغساسنة النعمان بن الأيهم ، ذكره في العقود اللؤلؤية .

(٤) نسبة إلى لقمان الحكيم (معروف) .

(٥) جمع طواشي : غلام للخدمة يكون في الغالب مخصيًّا واللفظة (تركية) .

ولو أن مشتاقاً تكلَّف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر[1]

ولَمَّا تيقن حال أخيه ، وانتقاله إلى عفو الله وغفرانه بكى بكاءً عنيفاً وتأسَّف تأسفاً شديداً على فقده له ، وصبح ذلك اليوم أعلن نواب[2] الحصن بالرَّحْمة على السُّلطان الملك الأشرف والصباح الجاري للسُّلطان الملك المؤيد ، وكادت دور المغربة وعدينة[3] تصيح بالفرح وغطاريف النسوة من كل مكان وناحية ، وكان يوم الزينة[4] دونه ، وكانت حاشية السلطان الملك المؤيد متفرِّدة في نواحي عدينة والمغربة ، فأعلن المنادي برأس الحصن بجمعهم تلك الليلة فاجتمعوا من خادم وزمام وغلام ومملوك وحملوا بالمكاتل[5] والحبال ، فلَمَّا وثِقَ بمن معه من غلمانه وحاشيته أمر والي الحصن بفتح أبواب الحصن ، فكان أول من صعد إلى مبايعته وإجابة دعوته الصاحب حسام الدين حسَّان بن محمد العمراني وزير أخيه الملك الأشرف فاجتمع به وحَلف له الأيمان المغلظة واستَحْلف له الجند والأمراء وأعيان الدولة ورغب النَّاس إلى ملكه رغبةً ما عليها من مزيد ، وكتب تاج الدين الموصلي في ذلك اليوم كتباً كثيرةً إلى بلاد التهايم بأجمعها ، وإلى بلاد الجبال بأجمعها ، وإلى جهة صنعاء والأشراف ، فدخل النَّاس في دين الله أفواجاً وامتثل الأمر السلطاني ، فأجاء[6] وقضى له الطالع إذ ذاك ببلوغ المسرَّات ، وجرت على أحكامه الأحكام والعادات ، وما أحقهُ بقول منشئ هذه السيرة :

يقضي له الفلك المحيط بكل ما يختار حتى صار من خدَّامه
وتراه يسعى بالذي يبغيه من كبواته سعداً ومن بهرامه

---

(١) من أبيات قالها البحتري في المتوكل .

(٢) (الأصل) : نوابه .

(٣) من نعز .

(٤) أي : يوم العيد .

(٥) كأنه : أدلوا من رؤوس الحصون ، والله أعلم .

(٦) كذا في (الأصل) .

وأمر بتجهيز أخيه وتنفيذ وصيته وفي من يغسّله صبيحة اليوم المقدَّم ذكره ، وخرج به من الحصن وأمامه ولداه الملك المظفَّر والظافر وأعيان دولته ودفن بمدرسته التي أنشأها بمغربة تعز ، وأقام العزاء عليه أيّاماً كما يفعله الملوك ، وعما قليل أتته رسل الأشراف للتهنئة بالملك ولعقد الصّلح ، وقد كانوا عقيب موت الملك الأشرف استولوا على جماعة من الحصون وعلى صَعْدَة ، فأصلحوا لَمَّا علموا أنَّ هذا السّلطان لا يخالف أمره إنسان . فكان المطهّر حاطاً على كحلان الشرف ، فطلب الأشراف أن يدخل معهم في الصلح ، وأن يرفع المحطة ففعل ذلك ولم يتأخر من الحصون مما هو بقرب تعز إلاّ حصن الدملوة فإنه كان بيد الطواشي فاخر الأشرفي ، لأن الملك الأشرف ولاّه وفوّض إليه أمره وجعل بناية به ، ونقل إلى الحصن ماله الذي كان بالتعكّر ، فامتنع الخادم من التّسليم خوفاً على ذهاب المال الذي كان بالتعكّر ونقل إليه ، وراسله مولانا السلطان الملك المؤيد مراراً فَلَم يجب ، فجهّز إليه العسكر من الخيل والرجل ومقدَّمهم شمس الدين الطنبا أمير جاندار ، فنازل الحصن المذكور وأحاط به العسكر السلطاني إحاطة الهالة بالبدر والكمام بالزهر ، وهذا الحصن من أجَلّ حصون الممالك إذ به يأمن السالك في المسالك قد لاث من غَمامه عِمامه ، ويُرى الهلال من تحته قلامه ، شَيَّد به سيف الإسلام مبانياً وجعلها لنزهته وحفظ ذخائره مغانياً[1] ، وكره الخادم أن لا يسلم حصن الدملوة حتى يصله أمر أولاد سيده الملك الناصر والملك العادل فكتب السّلطان إليهما يطلب منهما التّسليم ، فكتب الملك الناصر بذلك إلى الخادم وأمره بالتسليم وكذلك أخوه الملك العادل ، فقال الخادم : لا أقبل الكتب حتى يصلني ثقتهما وعيّن الثقتين ، فثقة الملك الناصر خادمه منسك[2] وكان عنده مكيناً ،

---

(١) يقول الجندي في وصفها : الدملوة : بيت ذخائر الملوك ومالهم منذ زمن متقدم (انظر مقالنا المنشور في مجلة العرب شوال سنة ١٤٠٦ هـ) .

(٢) في (المطبوعة) : مسك .

وثقة الملك العادل أنيس وكان كذلك فبادر الملكان المذكوران بإرسال خادميهما إلى الدّملوة ، وأعطيا الخادم المذكور بها الكتب ، وشافهاه بالرِّسالة . فقال الخادم : المال الذي طلع من التعكر ينزل صحبة أولاد سيدي ، وكان فيه من أولاد الملك الأشرف أربع خواتين صان الله ستورهم ، فأنعم مولانا السُّلطان لهم بنقل ما كان من التَّعْكر ونزلوا به صحبتهم واقتسمه الورثة الأشرفية ، ولم يكن فيه من النَّقد شيء غير ثياب مثَّنة مختلفة الألوان وأقمشة نفيسة تصلح أن تكون ذخائر الملوك ، فنزل الخادم من الحصن المذكور وزَوّج[1] أولاده الظافر والمظفر اثنتين من الخواتين المذكورات ، واستقرت الممالك كلها تحت قبضته ، والصَّاحب[2] حسام الدين مستمر الوزارة ببابه ، وفي خاطر السلطان منه ومن إخوته أمور متقدمة وقضايا محكمة .

وهذا السُّلطان أخذ من كل فنٍ من العلم بنصيب وقرطس[3] بسهمه فيها ، فكان الرائش المصيب حفظ مقدّمة أبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابَشاذ النحوي[4] غيباً ، وكفاية المتحفظ[5] في اللغة غيباً ، وبحث الجمل للزّجاجي[6] قراءة وبحثاً ، وبحث التَّنْبيه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي[7] في الفقه بحثاً شافياً ، وطالع الكتب المبسوطة في كل فن ، وسمع الحديث النَّبوي من الشيوخ الموثوق

---

(١) الضمير هنا يعود إلى الملك المؤيد .

(٢) يعني الوزير حسام الدين حسان بن محمد العمراني السابق الذكر .

(٣) قرطس : أي أصاب القرطاس بسَهمه .

(٤) هو شيخ النحاة في عصره عاش بمصر وتوفي سنة ٤٦٩ هـ .

(٥) كتاب من تأليف القاضي شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الخوبي المتوفى سنة ٦٩٣ هـ ، وكفاية المتحفظ أيضاً كتاب آخر في اللغة من تأليف إبراهيم بن إسماعيل بن الأجدابي المتوفى سنة ٤٧٠ هـ ، وهو المعني هنا .

(٦) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، وكتابه معروف .

(٧) هو إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ .

بهم ، ممَّن على سنده ، وأجازه الشيخ الفقيه المحدِّث محب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الطبري[1] شيخ السنة بالحرم الشَّريف في الترمذي والبخاري ، وناوله صحيح مسلم ، وأجازه في باقي الأمهات على حكم روايته من الكتب التي سمعها واستَجازها وما صنَّفه في كل فنْ وما وجد له من نظم ونثر ، واختصر كتاب (الجمهرة)[2] في البيزرة وبيّن فيها مالم يبنه صاحب الجمهرة من عمل التدنيق ووصل الجناح ، وشرح طريدة[3] أبي فراس شرحاً شافياً ، والطرديه المعروفة التي أولها :

ما العمر ما طالت به الدهور   العمر ما تم به السرور

ونقل جانباً من أشعار الجاهلية والمخضرمين والمحدثين والمولدين ، وله معرفة بارعة بالأدب ، وجمع من مصنفات العلوم على اختلاف أنواعها من علم قراءتها ، وقرآنها وحديثها ، وفقهها وأصولها ، وحقيقتها وأدبها ، وعلم معانيها وبديعها ، ومعرفة أيَّام عَربها ، ومن تاريخها ونسبها ، وأشعارها على اختلاف طبقاتها . ومن العلوم الحكمية كاللإلهي[4] ، والرياضي على اختلاف أنواعه ، وكعلم الهيئة والاختبارات ، والأزياج القديمة والحديثة ، والمواقيت والمواليد ، والمساحات ، كالمجصطفى[5] والأنماطيقي[6] ، وما يتعلق به من الجبر والمقابلة والأوفاق ، ومراتب الأعداد والرمل ، حتى جمعت خزانته على ما يقال من جهة التقريب

---

(١) هو شيخ الحديث في عصره توفي سنة ٦٩٤

(٢) في (الأصل) : الجمهور .

(٣) كذا في (الأصل) ، صوابه : طردية .

(٤) في (الأصل) : اللاهي ، والإصلاح من عندنا .

(٥) اسم كتاب في علم الهيئة من تأليف بطليموس ، ذكر فيه القواعد التي يتوسل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية .

(٦) كذا في (الأصل) صوابه : الأرثماطيقي وهو علم يبحث فيه عن خواص العدد .

ما ينيف على مئة ألف مجلد . هذا وبيابه العالي فيه من النسَّاخ ما ينيف على عشرة بذالون في الكتابة ، ويُرْفع ما ينسخ إلى خزانته العالية بعد المقابلة لها بالضَّبط الحسن . وما ملك من ملوك الإسلام نال هذه الرتبة والغاية من الطلب ، ولا امتدَّ سببه كإمتداد هذا السبب .

ذكر الوزارة

وكان السلطان الملك المؤيد مذ نشأ محبّاً للخير ومثابراً على زيارة الصالحين ، وكان بينه وبين الفقيه رضي الدين أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي[1] محبةً أكيدةً ومودةً مديدة ، وكان راعياً لما يقوله ويعتمد آراءه فيما يشير إليه ، وكان الفقيه المذكور من فقهاء عصره وعلماء زمانه ، ولمَّا حَصَل ما اتّفق ذِكْره من قضيّة الدّعيس لم يستطع الإقامة بتعز تأسفاً لما حصل ، ولما[2] بلغه عن السلطان الملك الأشرف أن أناساً نقلوا إليه أن قصده المخالفة أو ما هذا معناه ، فكتب الفقيه المذكور إلى السلطان الملك الأشرف قصيدة هي[3] :

تبغون قتلي وما لي فيكم غرض غير النجاة على مجموع أحوالي
إذ يزعمون جميع الجن طوع يدي هل تقهر الجنّ إلاّ بالملا العالي
مهلاً فهذي عصى موسى وحربته وتاج مبطظر[5] معها تاج عطكالي
وذوا الهياكل والأجراس أجمعها وذوا البنود مع المزراق يا عالى
وذو خراب أولى الأفلاك كلهم ما ينثني حدها عن هتك أحبال

---

(١) يرد ذكره في (الأصل) بالنحوي - بالنون الموحدة -.

(٢) في (الأصل) : ولمن .

(٣) القصيدة في (العقود اللؤلؤية ١/٢٥٣) .

(٤) (العقود) : وتزعمون .

(٥) كذا في (الأصل) وفي (العقود) : منظر .

وذو الأكاليل لو أومي بها استبقت ... أرضوك تندك منها لا لإمهال[1]
ولست أغوى[2] على شيء بلا أدب ... وقد تمسكت من طه بأذيال
وخاتم الرسل لم يدعُ على نفرٍ ... آذوه جهلاً ولم يعبأ بجهال
وفارق الدار والأهلين مرتحلاً ... إلى المدينة حسب الأمر لا قال
[فقام بالأمر فيها غير مكترثٍ ... لفوت نفس ولا أهل ولا مال][3]
وقام من بعده الصِّديق محتسباً ... حتى قضى نحبه في سُمّ مغتال
وصفوة الآل والأصحاب أجمعهم ... ساروا كما سار كل غير محتال
أبو حسين[4] مضى وابناه كلهم ... سُمّاً وقتلاً بأسياف لأضلال
[وظل عثمان بعد القتل مطرحاً ... على الزبالة وهو الطاهر الغالي
من ذاك منهم ترى لم يدر كيف أتى ... بعرش بلقيس داعي الله في الحال][5]
كذا ابن أدهم لم يدعُ وقد عتبوا ... وصبّ بالرأس منه بول بوال
وشبهوا لحية منه وقد كرمت ... على المهين علجاً غير ذي بال
فلم أحول وما حالوا وما عجلوا ... ما تمّ أمر بَدَا يقضي بأعجال
هل يحرق السجن من مولاه أدبه ... إلاّ أخو الجهل بالآتي وبالحال
ما سجن صاحبنا عارٌ فقد سُجن ... (أ) الصديق يوسف هذا الحال كالحال
أبحت داري وآلي قلت ينصرفوا ... ما الدار داري وآلي ما هُمُ آلي][6]
فكلما ترتضوا مني وتنتقموا ... ما القول قولي ولا الأفعال أفعالي

---

(١) ساقط من مطبوعة العقود .

(٢) (العقود) : ولست أدعو .

(٣) ساقط من (العقود) .

(٤) الإمام علي كرم الله وجهه .

(٥) ساقط من (العقود) .

(٦) ساقط من العقود .

فاحكم بما شئت إن صبراً و إن عجلاً   فالأمر أقرب من نقل على بال[1]
فليس عامان[2] مما يقتضي عجلاً   وليس آخرها تقضي بأكال
عشرين شهراً توالي لا تجاوزها   إن كنت تسمع فانظر صدق أقوالي
و يدخل الدار من لا ترتضيه لها   فصائح منكم يدعو بأثكال
لم تنكروا النصَّ والتنزيل ويحكم   ووعد ربي ما هذا بأجمال
اسمع لما قلته وأرقبه مصطبراً   ولا تعرِّج على قيلٍ ولا قال
وخذه بالجدِّ لا هزلاً ولا كذباً   فليس ذا القول من أقوال هزَّال

وإذا وقف العارف على هذه الأبيات ، علم تمكّن الشيخ العارف من علم المعارف والإشارات المتقدِّمة من ذكر عصى موسى ومن تاج مبطظر ، ومن ذكره الهياكل والأجراس والبنود والمزارق ، وحراب أولى الأفلاك ، والأكاليل الموجودة في الحافية[3] ، وهي خدام اسم الله الأعظم ، ولم يتعرض بها إلاَّ وقد علم فعلها وانفعالها ، وفي ذلك كفاية لمن تأمل ، وتوجّه بعد ذلك إلى جهة أصاب وأقام بها ، ولمَّا علم باستيلاء مولانا السّلطان على المملكة رجع إلى تعز ، واجتمع بمولانا السُّلطان الملك المؤيد وفَرِح به فرحاً شديداً ، واستوزر أخاه القاضي الصَّاحب موفق الدين علي بن محمد في جمادى الأولى سنة ست وتسعين ، ووضع [له] ما يوضع للوزراء من رفع الدواة وعقد الطيلسان ، واستعفى السلطان من لِبْس الذلكش[4] ولِبْس الخلع الحرير من العتاب[5] أدعى[6] للخيل ، ولم يلبس

(١) في (العقود) : من فعل على بال .
(٢) (العقود) : شهران .
(٣) كذا ، لعل صوابه : القافية .
(٤) كذا في (الأصل) وفي (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري : قطعة مستلة ٥٢ ، (الدلكس) : وهي أخفاف من القماش الحرير الأطلس .
(٥) في الأصل دون إعجام ، وهو العتابي ذكره في المصدر السابق ، وفي كتاب (الملابس المملوكية) لماير ١٠٧ : نوع من الخلع .
(٦) كذا ، لعل صوابه : إذ هي .

المحرَّمات لأنها صوف ، وفوَض إليه قضاء الأقضية ، وكان ذابيـان في أموره ، ليس عنده من الطيش والعجلة شيء ، ونفَّذ أمرَه وأمر أخيه رضي الدين ، وأظهر الأمر بـالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وأقـام منـار الشَّرع المطهَّر مـا لم يُسْمع بمثلـه ، والسلطان الملك المؤيد مساعدهم على ذلك ، وتقدَّم الوزير عند السّلطـان تقـدُّماً مـا سُمِع بمثلـه ، وقـارنـه التَّـوفيـق في حلِّـه وعقـده ، ومنـذ وزَر لم يجتمـع بـأخيـه رضي الدين لأن أخاه كره وزارته .

ذكر[1] الأمراء الذين ظاهرهم خلاف باطنهم

وكان في خاطر السلطان رحمة الله من ولـدي ازدمر نجم الـدين ونور الـدين وابن الهكاري إساءات ليس مقابلتها إلاَّ الأدب ، فأمر بالحوطة عليهم ، وأن يُرسل بهم إلى حصن الـدملؤة وأن يستقرُّوا بمكان يعرف فيهـا بـدار الأدب ، وعمَّـا قليـل قبض الأمير جـانـدار الطنبـا عليهم ، وجعـل ذكر[2] القبض على الـوزراء العمْرانيين . ولمَّا استوزر السلطان الوزير القاضي موفق الدين أمر الوزير حسـان وإخوتـه أنْ يسكنوا سهفنـة على الإعزاز والإجلال ولم يغيّر عليهم حـالاً ، ثم بلـغ السُّلطان من ابن أخيه الملك النَّاصر على جهـة النصح : أن عبـداً للقـاضي حسـان طَلَع إلى جهة عومان[3] ووجد جارية مُعتقة من الأشرفية[4] ، وكانت تحت أخيهم القاضي بهاء الدين وزير الملك المظفر فتحـدَّث معهـا العبـد بحـديث أسرَّهـا[5] أن معـه قـارورة من سيـده ، وأن غرضـه أن يتلطَّف بحـديث يصـل إلى ولـد الملـك الأشرف ويسقيه ما في القارورة من السُّم ، وأسرَّ العبد إلى الجارية أنَّ قصد مواليـه

(١) كلمة لم تَتَّضح لنا .

(٢) كذا في (الأصل) وفي (المطبوع) : ثم قبض على الوزراء العمرانيين .

(٣) تقع في الشمال الغربي من جبلة .

(٤) أي من مماليك الأشرف .

(٥) (العقود) أسرّه : إليها .

هلاك بني الرَّسول ، وبلَّغ الحديث إلى الملك النَّاصر ممَّن اطَّلع على حديثها ، فكتب لعمه معرِّفاً له بما وقع وحذَّره . فعند ذلك غضب السُّلطان وقال : تركناهم فلم يتركونا وأمر بطلبهم . فلمَّا حضروا قيل لهم : أنتم قضاة القضاة وبأيديكم أموال الأيتام ودفاترها وبصائر الأوقاف . فأنكروا وقالوا : لا نَعلم شيئاً منها ، وراجعهم مراراً فلم يأت منهم صورة فهجم منازلهم فوجد جملة من الصَّناديق فارغة ، فقال[1] : ما كان بها ؟ قالوا : أثاث وهداد . فقيل لهم : أين ذهبتم بها ؟ فلم يقروا بها ، فأمر بهم إلى عدن فبنى لهم سجناً منفرداً على باب دار الولاية استكفاء لما سمعه من شرهم ، وأنشد لسان الحال :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا[2]

(ذكر من مَدَحه ابتداء دولته بتهنئة الملك)

ولقد ظفرت بقصيدة امتدحه الأديب سابق الدين العنسي[3] أحد شعراء دولته ودولة أبيه ابتدأها بديع الاستهلال في قالب ، وهي هذه[4] :

القوس[5] موترة في كفّ باريها ... فليعلم الناس قاصيها ودانيها
وليلبس الكل منهم درع مسكنة ... كي يصبحوا في أمان من مراميها
وكل نعمة قوم من يدي ملك ... فالبغي سالبها والذلّ كاسيها
يهنا المؤيد بل تهنأ خلافته ... إني أهنيه منها ما أهنّيها
خليفة الله من بعد الخليفة يا ... ملك الملوك جميعاً لا يخاشيها

---

(١) في (الأصل) فقالوا : وفي (المطبوعة) فسئلوا عما كان فيها .
(٢) من أبيات لأبي نواس .
(٣) هو يوسف بن محمد العنسي ، لم أجد ترجمته .
(٤) نقلها عنه الخزرجي في (عقوده ١/٢٥١) .
(٥) في (الأصل) : أو قوس .

إنّ الخلافة ماقرّت ولا هدأت حتى تقيسها في سوح[1] حاميها
أضحت محجلة الأيام مذ وقعت في كف داؤدها غراً لياليها
[ليحبون[2] على الدنيا بأجمعها الملك المؤيد قاريها ومـاديها][3]

ومنها :

إن الرعيـة في أمن وفي دعـة وفي بُلَهْنيـة[4] إذا أنت راعيها
[وذاك أن بقوم الظلم قد منيت مثل العدات بصاليها وكاويها
إن كان قد وقعت في كف مهلكها فاليوم قد وقعت في كف مُحييها [5]
وكم يد لهزبر الدين قد حملت لغير طالبها منها وراجيها
أملاك غسّان ما انفكت دعائمها لما أتت من معاليه عواليها[6]
أما ترى الملك في عرس لوالده سقاه وبل أياديه وهاميها

وللشيخ عفيف الدين عبد الله بن جعفر[7] في هذا المعنى :

أملك داود أم ملك ابن داود ما إن أقيس بكنعان ونمرود
أفي الرواق هزبر تحت غابته أم الهزبرى هزبرى البأس والجود
بين السماء وبين الأرض مزدحم من الظُّبا والقنا والشزب القود
ومن نوائب رايات إذا نشرت حسبتها طاردات بعد مطرود

---

(١) (العقود) : حتى رمت نفسها في كف حاميها .
(٢) كذا في (الأصل) .
(٣) هذا البيت ساقط من (العقود) وكأنه حذفه لما فيه من خلل ، والله أعلم .
(٤) بلهنية : رخاء وسعة عيش ، قال المعلم بطرس : والنون زائدة (محيط المحيط ٥٥) .
(٥) ساقط من (الأصل) .
(٦) (العقود) : معاليها .
(٧) هو الأديب عبد الله بن علي بن جعفر شاعر فصيح توفّي سنة ٧١٤ هـ (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ٣٢٢) .

تدافع الريح أن تجتاز ساحتها طوراً وتمكن طوراً في الأماليد
كأن أمواج بحر الهند من زرد تفيض ما بين موضون ومسرود

ومنها :

[مؤيدٌ ذلت الأرقاب منه على ما أنزل الله من نصر وتأييد
لبّى الخلافة إذ نادته ضارعةً كأنها السقب[1] إذ يتكو على القود[2]
كأنها فلك نوح يوم دافعها طوفانها فاستوت [قدماً] على الجودي][3]
لله من طود ملك في السماء سَما وظل أمن على الآفاق ممدود
ورثت دولة غسّان كما ورثت آباؤك الغلب من أجدادك الصيد
[ما غاب يوسف إذ أنت الكفيل بها ولا ترى وهو مفقود بموجود][4]
نامت جفون البرايا في حماك وفي أجفان سيفك عنها أي تَسْهيد
والأرض مشرقة والسحب مغدقة والنبت ما بين مخضود ومنضود
ولي مواعيد من نعماك سابقة ومنك يعرف إنجاز المواعيد
كم أنعم منك أيّام الخليفة لي قد كان أول مسقي بها عودي

ولعل من مدحه في هذا المعنى كالتاج إبن الموصلّي ومن سنه[5] .

ذكر وصول أولاد الملك الأشرف

ولَمّا علم الملك الناصر محمد باستيلاء السّلطان على المملكة بادر إلى باب عمّه ممتثلاً ما وقع من رسمه ، فلَمّا وصل إليه أقبل عليه وأجلّه وأحلّه من العزّ محله ،

(١) ولد الناقة .
(٢) البعير الذلول .
(٣) ساقط من (العقود) .
(٤) ساقط من (العقود) وكأنه تركه لسقمه ، ونحن أوردناه كما جاء في (الأصل) .
(٥) كذا في (الأصل) ولم يتضح لنا هذا السطر .

وكان إذ ذاك مقطعاً بالقحمة ، ووصل إليه أيضاً أخوه الملك العادل صلاح الدين وكان بصنعاء مقطعاً بها ، فعامل الثّاني معاملة الأول وحصل عليهما منه حنو وإشفاق ، وعلى الذّرية الأشرفية إرفاد وإرفاق وزوج أولاده بناته والله يؤتي ملكه [من يشاء][1] . وعرض عليهما قدّس الله روحه الاستمرار على الإقطاع ، فاستعفى الملك الناصر عن الآمريّة وقال : [لا][2] أحبّ الخدمة بعد أبي[3] غير أنّي أقف تحت ظلال الدولة وشفقاتها وحمل إحسانها وحسناتها ، وقال أخوه الملك العادل بمثل مقالته ، ولازم الملك النّاصر الفقيه السيّد رضي الدين[4] المقدم ذكره على ذلك ، وكان بين الفقيه وبينه محبّة وصحبة أكيدة فتوسّط بينه وبين السّلطان على ماأراد وأخذ له من السّلطان عَهْداً وثيقاً أنّه على شفقته هو وخدمه وغلمانه ، فأعطاه السّلطان العهد ، وأخذ الفقيه من الملك الناصر عهداً أنّه لا منازعة له ولا يرضى للسلطان إلاّ بما يرتضيه لنفسه .

ذكر توجّه الرّكاب الشريف إلى زبيد

توجه إليها في جمادى الأخرى من السنة المذكورة بعد أن عقد الألْوية لولديه المظفر والظافر ، فأقطع المظفر صنعاء ، والظافر القحرية والحازتَين[5] ، وفرح به أهل زبيد فرحاً لم يُر مثله ، وتوجّه الملك المظفر إلى صنعاء في رجب واستعاد حصن ودّ[6] من بني الحارث في سفيان بعد أن رماه بالمنجنيق ، ورجع

---

(١) زيادة من عندنا .

(٢) ساقط من (الأصل) والزيادة من (العقود) .

(٣) في (الأصل) : والي .

(٤) يعني رضي الدين أبا بكر بن محمد اليحيوي .

(٥) كذا في (الأصل) ومطبوعة (العقود) ٢٥٦/١ ثانية . وصوابه : القحرية والحازتين .

(٦) حصن يطل على قرية القابل أسفل وادي ضهر .

السلطان قافلاً من زبيد إلى تعز في شعبان ، وفي آخر السنة المذكورة أخذ الحصون الحجيّة[1] والخلافية من الأمير صارم الدين بن يوسف ، وكانت في يده من سنة إحدى وتسعين وست مئة إلى تلك الغاية ، واشترط الأمير صارم بشروط منها إقطاع موزع ونصف حيس والذمة الأكيدة عمّا جناه .

ذكر خلاف الملك المسعود

ولَمّا ولى الملك المؤيد كان أخوه الملك المسعود مقطعاً للأعمال السّرددية من جهة أخيه الملك الأشرف ، فعزَّ عليه لَمّا أن أفضت دولة الملك الأشرف إلى الملك المؤيد واستمع كلام وشاة انعكس مقصودهم ، فأظهر الفتنة . وأول أسبابها أن الأمير الصّارم بن يوسف كان متوحشاً في الحصون الحجيّة . ولَمّا استقرَّ الملك للسلطان كتب يسأل الأمان وأنّه يُسلّم الحصون على شروط الذّمم الأكيدة والإقطاع المقدَّم ذكره ، فطلب أن يكون التسليم إلى السّلطان الملك المنصور[2] والقاضي موفق الدين ، وأن يصلا به محمولاً على الذِّمة الشريفة ، فأمر الملك المؤيد أخاه ووزيره لذلك . فوشى من لا خير فيه ولا مروءة ولا يختار الوفاق : أن هذه القصة المتعلقة بحجة أحبولة نصب ومكيدة أظهرت وليس الغرض إلاّ لزمك وأخذ المهجم منك ، فاستوحش لذلك . فكتب إلى أخيه الملك المنصور قدّس الله روحَه معرِّفاً له أنّه لا يصل إلى جهة المهجم وليس بينه وبينه إلاّ السيف ، وليس له مِزْوَرّ على بلده ، وكتب إلى السلطان يستعطفه ويترفق له ويُعرِّفه أنه خائِف ويقول له : لا فرق بيني وبين الملك المنصور فمرني بقبض الحصون الحجيّة . فبرزت الإجابة السلطانية إليه : « لم يطلب إبراهيم إلاّ صنونا الملك المنصور والوزير ، ولو طلبك لفعلنا ، فاتركها يمرّان الطريق ولا يكن

---

(١) نسبة إلى حجة (معروفة) .

(٢) هو زند الدين أيوب أخو المؤيد .

لك إليهما سبيل اعتراض ، فلم يأت منه صورة ، فكتب إليه السلطان ثانياً ذمة شريفة بأنّه باق على مابينه وبينه ، وأن ليس القصد في تجهيز العسكر إلاّ أخذ الحصون الحجية ، وإذا كرهت أن أخاك لا يصل المهجم أمرناه بطريق الحازة فلا يصل إليك ، فلم يتركه الذين حوله وغلبوا على رأيه . فأمر مولانا السلطان الملك المنصور بعد ذاك أن يسلك طريق الحازة ولا يصل إلى طريق المهجم ، فلّمّا صار مولانا السلطان الملك المنصور رحمه الله بالقحْرية ، خرج الملك المسعود بقصد المحالب[1] وثمّ إلى حرض وأقام الفتنة .

وأمر مولانا السلطان الملك المنصور والوزير فطلعا إلى جهة حجة وقبضا الحصون الحجية ، وأمّا الملك المسعود فاستمر على إقامة الفتنة وجمع العربان في كل ناحية وفجّ ، فوصلت إليه المتخطّفة والمتجرّمة ، وألّب عرباناً ليس عليهم إلاّ الشجاعة مزايا ، وكان عقيد رأيه ومدبر جيشه والمصغي لما يقول علي بن محمد بن إبراهيم ، وكان مقدّماً لحرض في الدولة الأشرفية ، هذا بعد أن وصّل ولده أسد الإسلام[2] إلى المقام الشريف السلطاني فأكرمه وأجلّه ، وأبقى أباه على إقطاع المهجم ووعده بكل وعدٍ جميل يبلغ المنى ويزيل العناء ، فلم يعرج هو ولا أبوه على ذلك الوعد ، وداخله حبّ السّلطنة لأمر يريده الله تعالى . ولّمّا علم مولانا بغرضه الذي هو غير صالح جَهّزَ الجيش الأجش والعسكر اللهّام صحبة ولده الملك الظّافر عيسى ، وأمر مولانا السلطان الملك المنصور والصّاحب موفق الدين أن يكونا مع ولده وفوّض تَدْبير الحرب إليهم ، ففاجئوه بعسكر يموج عيراناً[3] ويلتهب نيراناً ونداء من ردّده عقياناً ويحسد من فوارسه عقباناً ، وأرسل صحبته ثلاثة من الأفيال لابسة عددها باعثة إلى أعداء ملكه مددها ، فكل فيل تراه وقد

---

(١) المحالب : قرية تهامية خربة تقع على وادي مور على مقربة من الزهرة .

(٢) هو محمد بن الحسن ابن أخي السلطان المؤيد .

(٣) كذا في (الأصل) .

اطلع من نابه صبحين يخالها الرائي من البعد فَلْعين[1] ، ولَمّا تراءى الجمعان وتهيأ للمحاربة الفريقان ، رأى الملك المسعود أنّه مغلوب لا محالة ، قطع عمّا كان بصدده من طلب الملك آماله ، ورأى أن الجمع الذين معه ما يجمعه الحاطب في ليلة يجمعهم صوت وتُفرِّقهم عَصا دخل في الطاعة السلطانية هو وولده .

وإذا أراد الله نشر فضيلـــة   طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

وقبض العسكر السلطاني على المسعود وولده أسد الإسلام في المحرّم سنة سبع وتسعين وست مئة ، وكانت الوقعة فيما بين حرض والْمَحالِب ، وسار الملك المسعود وولده إلى الحرم الشّريف السلطاني فحنا عليهما وأحلّهما دار الأدب فأقاما فيه دون السنة وأمر بإطلاقهما وأسكنهما حيس وقرَّر لهما الجامكية الجيدة الحاملة لهما ولغلمانهما .

مكارم توسع[2] الجاني بنائلها   وتورث الضدّ عزاً بعد إذلال

ذكر ما كان وما اتفق في السنة المذكورة

وفي ربيع الأول منها قتل علم الدين سليمان بن محمد بن سليمان بن موسى ، قتلته عبيده بالوادي الحار[3] ، وفي ربيع الآخر طلع الأمير سيف الدين طغريل[4] الخازن دار[5] للمحطة على حصن شخب[6] فرتب عليه ، ولزم جماعة

(١) أي : سيفين طعين .

(٢) مطبوعة (العقود ٢٥٩/١) : تسع ، خطأ .

(٣) الحار : بالحاء المهملة عزلة من ناحية عنس بذمار ، والحار وادٍ بالشرق من باجل فيحقق موضع المذكور هنا .

(٤) مطبوعة (العقود) : طغريد .

(٥) الخازن دار : هو الذي يتولى أعمال خزانة السلطان أو الأمير ، وفي عهدته ما بها من أموال وغلال .

(٦) حصن عال منيف في جبل عمار من ناحية النادرة ، وعلى مقربة من مصنعة كهال .

من مشائخ مذحج ، وفي السَّنة المذكورة في جمادى الآخرة توجّه الملك المظفر من صنعاء إلى حرم أبيه متبرئاً من الأعمال الصنعانية ، وفي جمادى الآخرة من السنة وقع مطر شديد عظيم لم يُر مثله عمَّ القطر اليماني بكامله ، وذلك على مضي نصف اللَّيل ، وبه من الرَّعد والرِّيح الشديدة الباردة ما لا يكاد أن يعبر ومعظمه بتهامة ، وأنها أخرجت سفناً من الأهواب وساحل الشَّرجة بما فيها إلى البرّ وكسَّرت بعضها ببعض ، وهدمت حصوناً شامخة واقتلعت أشجاراً كباراً بأصولها[1] . وفي يوم الاثنين الثاني عشر من رمضان المعظّم من السنة المذكورة توفي الشريف المطهّر بن يحي بن حمزة[2] بحصنه دَروان[3] ، وفي هذه السنة طلع الملك المظفر ضرغام الدين إلى صنعاء وحطَّ على غراس وهو حصن حصين فأخذه بالسيف قهراً ، ثم انتقل بعسكره إلى حصن أرياب بالقرب من نقيل صيد فحاربه حرباً أذن بقوته وعلو همته ، فاستولى على الحصن المذكور وطلع إلى جهة صنعاء مقطعاً بها .

وفي شعبان المبارك سار جمال الدين علي بن همام[4] أحد أمراء الدولة إلى مأرب ، فعمر الحرمة[5] وأعاد أمورها كما كانت على أحسن قاعدة ملوكية . وفي شعبان المبارك تجهّز العسكر السلطاني إلى جهة حجة ومقدمه أستاذ داره[6] الأمير بدر الدين محمد بن عمر بن [ميكائيل والفقيه شرف الدين أحمد بن علي الجنيد

---

(١) يقول (الخزرجي ٢٥٩) : وقد نقل هذا الخبر من كتابنا (أظنها المطرة التي تسمى مطرة السبت) .

(٢) كذا عند المؤلف ، صوابه : الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحي بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن علي بن أحمد بن يحي بن الحسين ، أحد الأفاضل ، عرف بالمظلل بالغمامة ، رحمه الله تعالى .

(٣) بلدة بحجة .

(٤) كذا في (الأصل) وفي (المطبوعة) و (العقود ٢٥٩/١) : علي بن بهرام .

(٥) في (الأصل) و (العقود) بالمهملات وفي (الكنز) : الحزمة - بالزاي المعجمة - .

(٦) مطبوعة (العقود ٢٦٠/١) : أستاذ دائره ، خطأ .

للمحطة علي بن الصليحي بيبين[١] وعلي عمر بن [[٢] يوسف ، فظفر[٣] وأخذ منهما الحصنين ونزلا على الذمة . وفي السنة المذكورة توجه الرّكاب الشريف السّلطاني إلى البلاد العلياء وذلك عند امتناع الأشراف من الصلح ، ودخل صنعاء لخمسة أيّام من ذي القعدة ، فطلع الظّاهر من طَريق حَمْدة[٤] رابع عشر ذي الحجة ، وكان طلوعه في اليوم المسفر عن ليلة الخسوف القمري .

مع السعادة ما للنجم من أثر   فلا يضرك مريخ ولا زحل[٥]

وأخبر الأمير عماد الدين إدريس بن علي فيما كتبه من تاريخه : أن والده استفهم السلطان رحمه الله بعد أن وقع الصلح بينهما بأن قال له : كيف توجّه الركاب الشريف ليلة الكسوف ؟ فقال مجيباً له : الأمور بيد الله ، وأخبر السلطان عن الشريف شكر أنّه واجهه بمثل هذه المقالة ، وأن السلطان أجابه بأن قال : نحن على سفر ، وما تقول في أهل البحر فإنّ الكسوف قد يوافيهم وهم مستمرون في سيرهم ، فأجابه الشريف شكر[٦] : إن المسيِّر هنالك الله . قال له السلطان : وفي البرّ أيضاً . وأخبر عن السلطان أن والده الخليفة كان ينهى أولاده عن التعلّق بالتقويم ، ونهاهم عن الاعتماد بما فيه ، وأخبرهم أنه منعه أكثر راحات الدنيا وكان إذا طلبه يقول : أحضروا التعويج[٧] . قلت : وهذه سيرة من تعلّق من الكتاب والسنّة بأحكامها وعضّ عليها بالنواجذ[٨] . ولمّا استقر السلطان في

(١) (الكنز) : مبين ، وهو الصواب .
(٢) مابين المعقوفتين سقط بيّن في (الأصل) أثبتناه من (العقود ٢٦٠/١) .
(٣) في (العقود) : بالظفر .
(٤) حمدة : مدينة قديمة من ناحية عيال سريح في الغرب من عمران .
(٥) أورده الخزرجي في (عقوده) ، ويتضح أن المذكور اعتمد في أكثر حوادثه على كتابنا هذا .
(٦) هو شكر بن علي القاسمي له ذكر .
(٧) أي عكس التقويم زراية به .
(٨) لما ورد في السّنة المطهّرة من النّهي عن التعلق بالنجوم والكهان قال ﷺ : « من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » أخرجه ابن حنبل والحاكم عن أبي هريرة .

مخيمه سار يوم الاثنين نحو الميقاع بعساكره فقاتل عليه وعاد إلى محطّته ، وفي خلال ذلك وصل الأمير ابن وهاس والشيخ قاسم بن منصور صاحب ثلا خالفاً على أصحابها الأشراف ، ووصلا [إلى][1] السلطان قبل طلوعه الظّاهر ، وصدّر مع أولاد الشيخ قاسم بن منصور صاحب ثلا علم الدين قاسم بن حمزة والأمير إبراهيم بن يوسف في عسكر إلى بلاد حمير [والطرف][2] لحرب تاج الدين ، وأقام السلطان بالعسكر ثمانية عشر يوماً ، وفي عرضها دخلت عساكره صعدة مع جمال الدين ابن بهرام ، والأمير أسد الدين محمد بن أحمد بن عز الدين فراكز[3] لهم نجم الدين موسى بن أحمد والأمير أحمد بن علي والشريف بن الهادي . ولَمّا افترقت عساكرهم نزل الأمير موسى إلى حصنه عزّان ، فخرب العساكر داره وبستانه .

ذكر مااتفق في سنة ثمان وتسعين وست مئة

وفي يوم الخميس أول يوم من المحرّم نهض السلطان من محطته من المعسكر طالباً للظاهر لخراب الأعناب فوقف بها ثمانية أيّام ، ثم نهض إلى الجراف[4] فوقف بها ثمانية أيّام ، وحطّ بالظاهر الأسفل وكان قد أخرب دار الأمير همام الدين وبستاناً له ، وسار نحو جبل ظفار ، فتأهب الأشراف للحرب وأخرب ماحوله من الأعناب[5] ، ونهض السلطان يوم الاثنين من صفر ثالث الشهر من

(١) ساقط من (الأصل) والزيادة من (العقود) .

(٢) ساقط من (الأصل) والزيادة من (العقود) .

(٣) في (الأصل) : فذكر ، والإصلاح من (العقود) .

(٤) في (الأصل) : حمدان ، والإصلاح من (العقود) ، وهي قرية في بلاد حاشد على مقربة من خمر ، وهي ليست جراف صنعاء المعروفة ، قلت : عبارة (الكنز) : أقام بالجراف ثم منه إلى حمدان .

(٥) مطبوعة (العقود) : الأعشاب ، خطأ .

محطته بالسبيع فبات بالكولة ، ثم سار منها وحطّ على الميقاع[1] وهو إذ ذاك بيد الأمير جمال الدين علي بن عبد الله فملأ البقاع جيوشاً عديدة وعساكر مديدة :

إذا حلّ في أرض بناها مدائناً وإن سار في أرض ثوت وهي بلقع

وما أحقّه بقول كاتب هذه السيرة :

« إذا نازل حصناً من حصون أعاديه بلغ منه المنا
أو نزل عسكره الجرار بأرض أنبتت من ساعتها فنا »

ونصب المنجنيق يوم السّبت حصاراً على الحصن المذكور ، وبالحصن الأمير عماد الدين إدريس بن علي قائماً بالحرب ، وزحفت العساكر المنصورة على الحصن أيّاماً متوالية ، وكان الطعام بالحصن قليلاً ، وكانت الجمال والدواب تختلف من طريق أحدثها الأمير علي بن عبد الله وأهل المحطة ينظرون إليهم ولا يمكنهم منعهم لعسر الطريق ، وحصلت مراجعات بين الأشراف وبين علي بن عبد الله ، مثل علي بن محمد الأبرش والشّريف شكر وأحمد بن عمران المذحجي بسبب الصلح ، واستقر الحال على أن الأمير جمال الدين علي بن عبد الله يتّفق بالصّاحب موفق الدين وبمولانا الملك المنصور وبالملك المظفر ، فاتفق بهم في السّابع والعشرين من صفر في السنة المذكورة ، وأبرم معهم أحاديث وأبرموا معه قضايا ، وسار معهم إلى المقام الشّريف السلطاني ، فلمّا علم به السُّلطان وأنّه بالقرب من مخيمه ركب رحمه الله للقائه وإكرامه وإنصافه وإعظامه ، وانعقد الصلح بينهم ، وانضاف إلى جملته وانتظم في سلك مملكته ، فأخذ لأصحابه الأشراف ذمة سبعة أشهر ، ودخلت الأعلام المنصورة الميقاع وخفقت ذوايبها بشمخر الحصنين إظهاراً للطاعة وما أجدره بقول ابن هانئ :

من كان بالسمر العوالي خاطباً جلبت له بيض الحصون عرائسا

(١) في (العقود) : فحط على القصر عند أشيح .

وللشيخ ابن جعفر قصيدة يمدح فيها السلطان رحمه الله في أخذ العظيمة[1] والميقاع وهي :

إرث الخلافة في يديك مشاع ... وشبا[2] سيفك شاهد قطّاع
[منع النصيب من العدا نصب الفناء ... وحمى القراع من السيوف قراع][3]
شمس رأت غلب الملوك شعاعها ... فقلوبها منها تطير شعاع
تبع التبابع في عناصر حمير ... وإلى المناقب هم له أتباع
عمرو[4] وعمرو ذو الجناح[5] ... ومنذر[6] والأيهان[7] وفائش[8] وكلاع[9]
ماء السماء سقى منابت أصله ... ريّاً فأورق عِرْقه النزّاع
فلقد أعاض بيوسف يقظان لا ... وكل ولا تكل ولا مجزاع
أسرى إلى الشرف القصي بشارة[10] ... خطواتها نحو المغار سِراع
والشمس من لمع الحديد كليلة ... والجو من سمر اليراع يراع
وفيالق سالت هوادي خيلها ... سيل الأتيّ[11] تداولته بلاع
تسري ومن زرق الأسنة فوقها ... نارٌ ومن أسل الوشيج[12] سماع

---

(١) العظيمة : حصن في بلاد حاشد على مقربة من خمر .
(٢) (العقود) : غرار ، والشبا من السيف : القدر الذي يقطع به .
(٣) ساقط من (العقود) .
(٤) هو عمرو بن جفنة أحد ملوك الغساسنة .
(٥) أظنه : عمر بن عامر الملقب بمزيقيا .
(٦) هو المنذر بن امرئ القيس أحد ملوكهم عرف بابن ماء السماء : أمه .
(٧) هما الأيهم بن جبلة والأيهم الأول من أجدادهم .
(٨) من حمير أحد ملوكهم .
(٩) الكلاع من حمير . انظرهم جميعاً في (شرح قصيدة نشوان) .
(١٠) (العقود ٢٦٤/١) : بشرب وهو الصواب .
(١١) السَّيل الغريب .
(١) تشابك الرماح .

غسلت مياه سيوفها ثوب الدجى ... فتشابه الأصباح والأهزاع[1]
ينحو بها مَبْدا النجوم طوالعاً ... ملك مطيع للإآله مطاع
ليس (العظيمة) بالعظيمة عند من ... لسيوفه ميقاعها (ميقاع)
لم يشق وافدهم لديه وهل يرى ... يشقى امرؤو جليسه القعقاع[2]
فَغَنِمْت أدعية بأفواه لهم ... فيهن من ثدي البتول[3] رضاع
وحفظت [حقّاً] للنّبي محمد ... فيهم ولست بما حفظت تضاع
أمؤيد الإسلام داود الذي ... في العالمين بفضله إجماع
[ماقام في الإسلام سيف ساطع ... إلاّ ورمحك في الثنا سطّاع][4]
ما يلتقي شرق البلاد وغربها ... إلاّ إذا ماامتد منك الباع
أهويت بالسيف العداة كما هوى ... ود لسيف محمد وسواع[5]
الله أعطاك السعادة كلّها ... من ذا يَضُر وربّك النفّاع

وهي عيون القصيد ، وهي بديعة في بابها ، وأقبل مولانا السلطان رحمه الله على الأمير جمال الدين[6] يوجه الأنعام والبرّ المتوفّي الأقسام ، وزال ما كان في الخواطر ، وتواتر الأنعام السلطاني عليه وأمر له برفع الطبلخاناه ، وحمل معها من الأموال والكسوات والخلع شيئاً كثيراً ، وخرج من الميقاع لابساً خلعة الرضاء مزفوفاً بالطبلخاناه تحت خوافق الأعلام المزبريّة[7] ، وأعاد عليه بلاده التي

---

(١) جمع هزيع : آخر الليل .

(٢) هو القعقاع بن شور الذهلي من بني بكر كان في عصر معاوية يضرب به المثل في حسن المجاورة ، قيل : كان يجعل لمن يجالسه نصيباً من ماله ، قال الشاعر :

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

(٣) فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

(٤) ساقطة من (العقود) .

(٥) ود وسواع من أصنام الجاهلية .

(٦) هو الأمير علي بن عبد الله والد المؤرخ إدريس صاحب (كنز الأخبار) .

(٧) نسبة إلى هزبر الدين لقب الملك المؤيد داود بن يوسف .

كانت بيده . ولَمّا كان بكرة أول ربيع الأول سار مخيمه قاصداً صنعاء في جحفل لجب ، وما أحقّه بقول أبي الطيب :

في فيلق من حديد لو قدمت بـه صرف الـزمـان لمـا دارت دوائره

ولما استقر السلطان بصنعاء وصلته الأمراء الأشراف ومشائخ العربان ، ووصل في جملتهم الأمير أحمد بن علي بن موسى لتمام صُلْح الأشراف ، فتم على تسليم اللجام ونعمان وصعدة ، وقسمت بلاد مدع كما كانت زمان الخليفة[1] ، وكان دخوله صنعاء دخولاً لم يُعهد بمثله ، ولا شاهدت مُقْلة بشر بهجة شكله ، وسارت بشائر ما استولي عليه في اليمن ، وفاق بما أوتيه من الممالك أسعد الكامل وابن ذي يزن . وتوجَّه الرّكاب السُّلطاني طالباً ما فيه من العزّ إلى تعز في عسكره اللهّام ، وقد جمع الضرغام في فوارسه والهمام ، وصحبه الأمير جمال الدين علي بن عبد الله والأمير أحمد بن علي والأمير ابن وهّاس وأمراء العرب ، وقد دانت له البلاد والعباد ، ودخل تعزاً دخولاً أذن ببلوغ المراد وولد له الولد الملك السعيد من الجهَة المصونة ابنة الأمير أسد الدين ابن جده[2] وكانت له فرحة عظيمة ، ولم يلبث بعد ذلك إلاّ مدة لطيفة وطلع طلوع الأهلّة . وما أحقّه بقول ابن التهامي :

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسْحار

وتوجَّه السُّلطان إلى زبيد في جمادى الآخرة ، وصحبته الأشراف والأمراء ، ودخل بجيشه الْجَرَّار وحلّها حلول البدر في أسعد منازله ، والشّجاع[3] في أعزّ معاقله . والذي نال الأمير علي بن عبد الله في خروجه من الميقاع إلى رجوعه إلى

---

(١) (المطبوعة) : كما كانت زمان الملك المظفر .

(٢) يعني علي بن عمر بن رسول ، لأن أسد الدّين هو محمد بن الحسن بن علي . إلخ ...

(٣) الرجل الجريء المقدام ، وهو أيضاً من ألقاب الحية .

بلاده من الإحسان السلطاني ما ينيف على سبعين ألف دينار ، كل دينار أربعة دراهم ، كل درهم عشرة قراريط .

(هذي المكارم لا قعبان من لبن)[١]

وطلع السُّلطان من زبيد آخر شعبان ، فلمّا كان عيد الفطر ودَّعه الأمير جمال الدين على السماط[٢] وتوجّه إلى البلاد العليا . وفي شهر شوال من السنة المذكورة تقدمت العساكر السلطانية إلى صوب عدن ، فأقام بها إلى آخر الحجة ، وكان سماط القدوم بحُقّات[٣] تحت المنظر السُّلطاني على شاطئ البحر والمكان المذكور متسع لا يرى من به إذا وقف في أحد طرفيه ، وقام به الشُّعراء بأنواع المادح ، وتعذّر وصول شاعر دولته العفيف بن جعفر ، فأرسل بقصيدة صحبة الشيخ جمال الدين محمد بن خَطّاب ، فأنشدت على السّماط ، وهي لعمري غريبة في المَعْنَى وهي :

أعلمت من قاد الجبال خيولاً	وأفاض من لمع السيوف سيولا
وأماج بحراً من دلاص[٤] سابغ	جرَّت أسود الغاب منه ذيولا
وتزاحمت سمر القنا فتعانقت	قرباً كما يلقى الخليل خليلا
ومن القسي أهلة ما ينقضي	منها الخضاب على النصول نصولا
فالغيث لا يلقى الطريق إلى الثرى	والريح فيها لا تطيق دخولا
سُحب سرت فيها السّيوف بوارقاً	وتجاذبت فيها الرّعود صهولا[٥]
طلعت أسنتها نجوماً في السماء	فتبادرت عنها النجوم أفولا

(١) شطر بيت ذكره الزمخشري في (الأساس ٣٧٢) .

(٢) غامضة في (الأصل) فأوردناها من (الكنز) .

(٣) حقات : ضاحية من عدن على ساحل البحر .

(٤) دلاص : دروع ملساء لينة .

(٥) (العقود) : صهيلاً .

تركت ديار الملحدين طلولاً ... مما يبيح بها دماً مطلولا
والأرض ترجف تحتها من أفكل[1] ... والجو تحسب شلوه مأكولا
حطمت جحافلها الجحافل حَطمةً ... فدعوا[2] الحمام مع القتيل قتيلا
طلبوا الفرار فمدّ أشطان القنا ... فأعاد معقلهم بها معقولا
عرفوا الذي جهلوا فكل غضنفر ... في الناس عاد نعامة أجفيلا
أين الفرار ولا فرار وبعدهم ... من ليس يترك للفرار سبيلا
ملك إذا هاجت هوائج بأسه ... جعل العزيز من الملوك ذليلاً
يقفو المظفر والشَّهيد مآثراً ... وعلاً وفخراً في الملوك أثيلا
وَافى إلى عدن كمقدم جدّه ... سيف بن ذي يزن الكريم أصولا
بحرٌ إلى بحرٍ يسير بمثله ... والملح[3] أحقر أن يكون مثيلا
فتطايرت أمواج لجته إلى ... عند أم بيدر[4] دجلة والنيلا
فاستقبلت عدن جبينك والتقت ... في ملتقاه سعادة وقبولا
والشمس تحسد تأجك المعقود (أ) ... والأكليل يحسد ذلك الأكليلا
لو يستطيع الثغر كان مقبلاً ... بالثغر منه ركابكم تقبيلا
إن جاوزت هذه الشمائل بحره ... جعلت مذاق الماء منه شمولا
أنت الذي الدنيا ميسَّرةً به ... والناس ينتظرون جيلاً جيلاً
فاليوم قد وهب الإله لخلقه ... ظلاً على الأقطار منه ظليلاً
وأتى لهم ببدر السماء بذمةٍ ... مكتوبةٍ لا يظلمون فتيلاً
أهزبر غسَّان بن قحطان الذي ... يدعوه في النسب القبيل قبيلاً

---

(١) أفكل : رعدة .
(٢) (العقود) : تدع .
(٣) كذا ، وفي (العقود) : البحر .
(٤) (العقود) : عيذاب ينذر دجلة والنيلا .

في كلّ يـوم لابرحت مقـابـلاً فتحـاً من الملـك الجليـل جليـلاً
في حيث مـا رفعت بنودك نزلت آيـات نصرك فـوقهـا تنزيـلاً
[سـور من الفتـح المبين مبينـةً قُرِئت عليـك فَرُتِّلت ترتيلاً][1]
لولا العـلائـق والعـوائـق لم أغب عن ظـلّ بـابـك بكرةً وأصيـلاً
ومن التكرّم والتفضّـل لم يـزل عـذري إلى شفقـاتكم[2] مقبـولاً
لازال تـوفيـق الإلـه مقـارنـاً لك حيث كنت إقـامـةً ورحيلاً

ورأى عظمة سلطانه وما آتاه الله من واضح برهـانـه النَّواخيـذ[3] والمترددون إلى الثغر المحروس ، ومن سائر بلاد الهند ، وشاهد السلطان موسم الخيل من الدار الطَّويلة ، وسارت التجّـار الكارميَّـة[4] نـاشرين لواء عـدلـه في أمصـارهم ، وقـدّم التجّـار المقيمون في الثغر المحروس التَّقـادم النفيسـة على عوائـد الملـوك فردّهـا وأمر بإفاضة[5] الخلع عليهم والتشاريف والمراكيب النفيسة من البغـال المختـارة بـالعُـدد الكاملة من السّروج المذهَّبة والزُّنانير[6] المنوّعة ، بَعْد أن أشرف نواخيـذ الهنـد على جـاري عـوائـدهم من ديـوانـه السَّعيـد ، وابتسم الثَّغر عن معـاليـه ، وأمر بـإكرام النَّواخيـذ والتجّـار والمترددة ، وأبطـل ضمان[7] بيت الخـلّ ، وأقـام بعـدلـه مـوسم الفضل[8] ، وأقام بعدن إلى ثاني يوم من ذي الحجة وعيّد عيـد النحر بقوز ، وقـام

---

(١) ساقط من (العقود) .
(٢) (العقود) : صدقاتكم .
(٣) جمع ناخوذاه : وهو ربّان السفينة (من الفارسية) .
(٤) هم تجار الكارم ، وهو البهار والتوابل يصدرونه إلى بلاد الغرب .
(٥) في (الأصل) نواصة ، والإصلاح من (العقود) .
(٦) جمع زنـار : نوع من الأجلال ، جمع : جل ، لبـاس الـدابـة ، وهو يكون مفتـوحـاً فـوق صدر الحصان ومسدلاً على الكفل بحيث لا يرى الذيل .
(٧) أي : ضريبة بيت الخل .
(٨) في (العقود) : وأقام بفضله موسم العدل .

الشعراء على خوان[1] العيد بالقصائد النفيسة على جاري عـادتـه وعـادة أسلافـه ، وعاد قافلاً إلى تعز في آخر ذي الحجة .

ذكر ما اتفق في سنة ست وتسعين وست مئة

وفي السنة المذكورة توفي الأمير جمال الدين علي بن عبد الله المقـدّم الـذكر ، وكان من كبار الأشراف وأعيانهم ورؤسائهم وصـدورهم وقـد أنـاف على السبعين ، وتمثل ابنه عماد الدين إدريس عند موته بقول زياد الأعجم[2] :

مـات المغيرة بعـد طـول تعرض للقتـل بين أسنـــة وصِفـــاح

ولّما مات أجمع أهله على تقدم[3] ولـده عمـاد الـدين وكاتب السّلطـان وعرّف خاطره الشّريف أنه ثمرة شجرة غرسها إنعامه ، ودوحة مجد سقاها إلزامه ومال إلى جهة السّلطان ، واتفق هو وشرف الدين شكر بن علي القاسمي فجرت بينه وبينه أحاديث ، وتقدّم الشريف شكر إلى جهة البـاب الشريف وقرّر مع السلطـان في أمره قواعـد ، وكاتبـه بـأن يصل إلى الأبـواب العـاليـة . فطلب الشريف إدريس ذمةً ، فكتب له وتقـدّم إلى صوب البـاب السّلطـاني فوافـاه في شهر ذي القعـدة ، وجلال المواقف الشريفة السّلطانية مقيم بثعبات ، فأحضر إلى دار السلام للسّلام ، فتلقّاه السّلطـان بـالإجلال والإكرام والتّرحيب التّـام . ووافى عيـد النحر فتقـدّم المرسـوم السّلطـاني إلى أتـابـك العسـاكر المنصـورة ألاّ يستفتـح الميـدان إلاّ الأمير المذكور مقدّماً على أعيـان الأمراء ووجوه الـدولـة ، فكان كما رسم . ولـما كان بعـد العيد جرت أحاديث في تسليم الحصون التي تحت يده ، وهمـا العظيـمة والمِيْقـاع ،

---

(١) (العقود) : سماط .

(٢) هو زياد بن سليمان العبدي شاعر من الدولة الأموية توفي نحو سنة ١٠٠ هـ .

(٣) العقود : تقديم .

فرأى أن تسليمها عنوان السّلامة ، ومقام بحلة دار المقامة . وفي السنة المذكورة حطّ الملك المظفر على أشيح[1] . وفي شعبان أخذ حصن عراس[2] بالقهر ، وقبله حصن إرياب[3] ، وأقيم بسبب ذلك بصنعاء فرحة عظيمة ، وكسوا جامعها أنواع الملابس ، وأمر أمير البلد أن تزيّن الدكاكين والحوانيت .

ذكر ما اتفق في سنة سبع مئة

وفي السنة المذكورة تسلّم نوّاب السُّلطان الحصون التي كانت تحت يد الشّريف إدريس ، وأمر أن يجري على عادة أبيه مع رفع الطبلخاناة له ، فَرَفع له عشرة أحمال وأصحبها ثمانية وعشرين ألف درهم وتُحفاً سنية وملابس ومماليك وخيولاً وبغالاً ، وركب معه الأمراء والأجناد إلى الخدمة الشريفة تحت خوافق الأعلام السُّلطانية ، فلمّا وصل إلى الأبواب الشريفة ، فعل ما يفعله المقطعون من تقبيل عقب العلم المنصور وانثنى إلى داره وحوله الأمراء والأجناد ، ودخلوا على سماط جليل الشّأن جمع مختلفات الطعام والألوان فيه ما تمتد إليه اليد واليدان[4] أمر بعمله السلطان ، وقبض المنشور المكتوب له بإقطاع القحمة . والأمير المذكور من علماء الناس وفضلائهم وبلغائهم له في الشعر باع مديد في الطويل منه والمديد[5] ، مع شجاعة بارعة وهمّة لأنواع الشهامة جامعة ، ونظم قصيدة بديعة البيان سارت لفصاحتها الرُّكبان ناطقة بمناقب السُّلطان وهي :

عوجا عَلَى الربع من سلمى بذي قار ... واستوقفا العيس لي في ساحة الدار
وسائلاها عسى تنبئكما خبراً ... يشفي فؤادي ويقضي بعض أوطاري

(١) أشيح : حصن شهير في بني سويد من بلاد آنس ويعرف الآن بحصن ظفار .
(٢) عزلة من أعمال يريم جنوب المدينة .
(٣) عزلة واسعة في بلاد يريم تشمل عدة قرى .
(٤) أي : يتناول باليدين لثقله .
(٥) الطويل والمديد من بحور الشعر .

والمخلص منها :

يــا راكبــاً بلغن عني بني حسن	وخصّ حمزة قومي عصمة الجار
إن المــؤيــــد أسماني وقرّبني	واختـارني وهـو حقّاً خير مختـار
أعطى وأمضى[1] وأسدى كل عارفة	يقصّر الشكر عنهـا كلّ إقصـار
واختصني بـولاء فـزت منـه بـه	فـأصبح الـزنـد مني أيـاً واري
فلست أخشى لريب الدّهر من حدث	ولا أبـالي بـأهـوالٍ وأخطـارِ
وكيف خـوفي لـدهر بعـدمـا علقت	كفّي بملك شـديـد البطش جبار
الأروع الأغلب الغـلاب والأسـد الـ	ـليث الهصور الهزبر الضيغم الضار
بمن إذا خفقت راياته خضعت لها	الملـوك وخـافت حكمـه الجـاري
وقـابلتـه بمـا يهـواه بـاذلـةً	مـا يرتضي من أقـاليم وأمصـار

وفي هذه السنة تحرك الركاب الشريف إلى زبيد ودخلها في صفر ، وأقام بها إلى أيّام في ربيع الأول ، ثم خرج قاصداً للأعمال السرّدديـة[2] فـدخلهـا في ألف فـارس من خيلـه غير مـا تبع ذلـك من الحـواشي والغلمـان ، وكان دخـولـه المهجم دخولاً لا يعهد نظيره ، وهنأه شعراء دولته بالقدوم . فمن ذلك قصيدة امتدحه بها الشّيخ عفيف الدين بن جعفر وهي هذه :

لو كان يقـدر أن يكون الـزائرا	لـك سردد لمشى إليـك مبـادراً
منـع الجمـاد جمـوده أن يعتري	عتبـات بـابـك وارداً أو صـادراً
[لـو تفتـق الأرواح في جسم الربى	لرأيت غائبها ببـابـك حـاضراً][3]

(١) العقود : أمطي .

(٢) نسبة إلى سردد واد ينبع من الهضبة الفاصلة بين جبال الحيمة الداخلية وبلاد الطويلة ثم يلتقي مع مصبات جبل حفاش وملحان وينتهي في البحر بعد أن يسقي أجزاء من أرض الزيدية والضحى والمنيرة في تهامة .

(٣) ساقط من العقود .

وتميزت[1] أرضاً على الأرض التي فيها مقامك أوجها ومحاجراً
شرّفت مهجم سردد فتشرفت ورفعتها فوق النجوم مفاخراً
بحرا إذا ما الريح سارت فوقه جعلت لمسلكها البنود قناطراً
شرعت صدور الخيل في حافاته حتى حسبت الفلك فيه مواخراً
أذكرته مغدى أبيك بمكة وأنابة منه فأصبح ذاكراً
وكفاه فخراً أن يَمسّ قساطلاً لركابكم ومناسما[2] وحوافراً
حظ يكون به تراب بلاده مسكاً ويرْمعه[3] يعود جواهراً
عجبا الحلمك في الخلائق عادةً ولحكم كفك في الخزائن جابراً
ولحد سيفك أين غاية حده إذ ليس يبرح في الرقاب مسافراً
نار بقبضه راحة فيّاضة كالبرق يصطحب الغمام الماطرا
ولقد تعدّى في الطلا أفعاله ضربا فكن لها الفتوح مصادراً
ثبتت أصول الملك بين بيتوكم فسقيتموها سؤدداً أو مآثراً
فحكت أواخركم بذاك أوائلاً وحكت أوائلكم بذاك أواخراً
أنجبت من جرثومة ملكية حسن المظفر ثم عيسى الظافرا
أعجزت ألسنة الخلائق كلها مدحا فكيف أكون وحدي قادراً
فبقيت ياركن الخليفة دائماً أبداً وكان لك المهين ناصراً

وانثنى قافلاً رحمة الله من الأعمال المهجمية إلى زبيد في آخر جمادى الأولى .

وفي هذه السنة تقدّمت العساكر المنصورة إلى بلاد المعازبة لفساد ظهر منهم ، فسالت العساكر المنصورة الأباطح ، وسَرَى إلى أعداء دولته خيول في اليقظة وخيال في المطارح ، وتتبعوا المفسدين حيث كانوا من البحر إلى الجبل ، وقتل منهم جمع كثير وأخذت لهم أموال وأنعام ومواشي ودخل بها إلى زبيد ، وأخذت

(١) مطبوعة العقود تمرغت .
(٢) جمع منسم خف البعير أو باطن حافره .
(٣) حجارة بيض رخوة .

منهم الرهائن الموثوق بهم ، وتقدم الركاب السلطاني إلى جهة النخل والبحر في أوائل رجب ، وأقام بها أيَّاماً ، وفي السنة المذكورة توجَّه الملك الظافر عيسى مقطعاً بصنعاء وأعمالها وتلقَّته القيائِل والقبائل والعشائر إلى نقيل صيد فلزم أهل منقذه[1] خاصةً وأخذ خيلهم لموجب فعلوه ، وسار إلى رداع ثم ذمار ودخل صنعاء في العشر الآواخر من رمضان . وسار السلطان نحو تعز فدخلها في رابع عشر .

وفي السنة المذكورة أخذ الأمير صارم الدين داؤد بن علي حصن الجمية بجبال شظب ، والأمير علي بن أحمد حصن العجر بشظب برضاء من فيها . وفي آخر هذه السنة جرى بين السلطان وبين الأشراف مكاتبات ومراجعات بسبب حوادث أتفقت من الأمير محمد بن أحمد بن موسى أحمد وتاج الدين[2] يحيى ، وتحرك الركاب العالي إلى الجند ، ووصلت إليه المناخات السَّعيدة من التهايم وتقدم الأمير سيف الدين طغريل الخازندار إلى ذمار ، وكتب السُّلطان إلى الأمير عماد الدين إدريس المقدم ذكره كتاباً مضمونه أنَّه جدَّ عزمنا إلى البلاد العليا فإن أمكنتك العودة وإلا فاغذ السير تلقى عسكرنا بالظاهر . وفي عقب ذلك نزل القاضي الذماري بما يرضي السُّلطان من رهائن الأشراف والتَّمام على ذلك .

ذكر ما اتفق في سنة إحدى وسبع مئة

وفي السنة المذكورة سار السُّلطان من الجند إلى الدملوة فأقام بها عشرين يومًا وسالت مواهبه ومكارمه على غلمانه بوافر كرمه ومنشرح إحسانه من الخلع والإحسان على قدر مراتب الغلمان .

---

(١) منقذة : عزلة من عنس وأعمال ذمار .

(٢) كذا في الأصل وفي العقود (محمد بن أحمد بن يحيى) .

وفي السنة المذكورة خالف الأشراف السُّليمانيون ، وقتلوا المقدم خطلباً ، وكان مقدَّماً بالرَّاحة[1] وأخذوا من خيله أربعين فرساً ، وتقدَّم المرسوم السُّلطاني إلى الأمير إدريس بالتوجه إلى الراحة ، وأضاف إليه عسكراً من الحَلَقة المنصورة ، وأمر الأمير شهاب الدين الخرتبرتي شاد[2] تهامة وأمر متوَلّي[3] حرض فسار العسكر بكماله ودخلوا الراحة وأعدموا من بها الراحة وأحرقت بلاد المفسدين وتتبعوا إلى قريب اللؤلؤة ، فطلبوا الصلح وأعادوا الخيل التي أخذوها من عسكر السلطان ، وتسلَّم نائِب السُّلطان وهو الشريف علي بن سليمان بن علي الراحة وبلادها ، وانثنى العسكر قافلاً إلى الحرم السلطاني .

وفي السنة المذكورة أوقع الأمير سيف الدين طغريل وهو إذ ذاك مقطع لحج بالجحافل والعجالم وقتل منهم ما ينيف على سبعين رجلاً .

وفي السنة المذكورة توفي الأمير نجم الدين أبو نمي محمد بن أبي سعيد بن علي بن قتادة الحسني صاحب مكة حرسها الله تعالى ، وكان أميراً كبيراً زعياً ذا بحث وحظ في الأمر يرغب إلى الأدب وسماعه وله الإجازات السنيَّة للشّعراء الوافدين عليه من إطلاق الخيل الأصايد في قبالة القصائد ، ولمَّا وافاه أمير المحمل السَّعيد والعلم المنصور السلطاني وهو القائِد بن زاكي في السنة التي أفضت نوبة الملك إلى السّلطان تلقاه بالإجلال والإكرام ، وخفقت ذوائِب العلم المنصور بجبل التعريف[6] وأعلن مؤذن قبة زمزم بمناقب السلطان على رؤوس الأشهاد ، فسمع

---

(١) الراحة : بلدة خاربة شمال وادي بيش .

(٢) الشاد والمشد : قائم بالتفتيش والنيابة .

(٣) والأمير المتولي ، في العقود .

(٤) ترجمته بتوسع في العقد الثمين للفاسي ٤٥٦/١

(٥) الخيول المائلة الأعناق .

(٦) بعرفات الله .

تلك الأوصاف من ضمّه الحَطِيم وزمزم ، وحلف للسلطان الأيمان المغلّظة وكتب[1] على قميصه بمقتضى ما جرت به العادة ، ووصل إلى الشريف ما أقتضته المواهب السلطانية مما كان قرّره والده الخليفة من العين والغلة والكساوي والطّيب من المسك والعود والعنبر والصندل ، والثياب الملونة والخلع النفيسَة ، فمبلغ العين ثمانون ألف درهم ومبلغ الغلّة أربع مئة مدّ بمال جسيم ولم تزل هذه مستمرة الحكم[2] ، واستمرت إمرته على مكة ونواحيها ما ينيف على خمسين سنة وأولد عشرين ولداً ، واختلف الأشراف والقوّاد بعد موته على أولاده فطائفةٌ مالت إلى رميثَةَ وحمضَة على إخواتها فلزما وأقاما في الحبس مدةً ، ثُم احْتَالا ، فخرجا وركنا إلى بعض الأشراف والقوّاد ، فمنعوا منهما ، ولمّا وصل الحاج المصري تلقاهم أبو الغيث فمالوا إليه .

ولمّا انفصل الموسم لزم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير حميضة ورميثة وسار بهما إلى مِصْر مقيدين وأمرَّ بمكة أبا الغيث ومحمد بن إدريس وحلفهما صاحب مِصْر ، فأقام أبو الغيث أيّاما ، وأخرجه من مكة محمد بن إدريس واستبد بالأمر ، وجرى بينهما حروبٌ كثيرةٌ وقُتل فيها جماعة من الأشراف ، وكاتب أبو الغيث السلطان وبذل الخدمة والنصيحة والرهيْنةَ ، فقبل ذلك منه ، وفي السنة المذكورة ، توّجه الركاب السّلطاني إلى جهة البلاد العليا في شهر رمضان فأقام بالجند أيّاما وبصنعاء أيّاما وبالموسعة[3] أيّاما ، ثم خرج من صنعاء إلى الظاهر ، وطلع من نقيل عجيب ، والموجب لطلوعه ما جرى بين الأمير تاج الدين محمد بن أحمد يحي وبين الشيخ قاسم بن منصور الضّريوة صاحب ثلا ، وتشاجرا على

(١) العقود : لبب باللام خطأ .

(٢) في العقد الثمين ٤٦٤/١ (والذي يصل لصاحب مكة من صاحب اليمن نحو ربع ذلك أو أقل ومبلغ الطعام المذكور بكيل مكة ألف غرارة ومئتي غرارة مكية وذلك في عصرنا) .

(٣) الموسعة : مكان في أعلا الحبيل غربي ثعبات من تعز .

البلاد العليا التي بينهما ، فأخرب تاج الدين علي ابن الشيخ قاسم بعض بلاده . وكان الشيخ المذكور من محالفي السلطان رحمه الله فالتقت الأشراف حينئذ إلى ظفار وهم الأمير همام الدين سليمان بن القاسم والأمير تاج الدين من الأشراف والقيام معه لمحاربة صاحب ثلا ، فذكروا لَه أنّه حليف السلطان رحمه الله ولا يمكن حربه إلا بمحاربة السلطان ، لأن السلطان لا يضيّع حليفه ولا ينكر أليفه ، فأجمع رأيهم على محاربة السلطان ورأوا خراب القبة[1] وحصن تعز ظفار من المصلحة ، وأنهم يصدرون القاضي أحمد بن محمد الذماري إلى الباب الشريف لينظر لهم الأمور ويتحقق رأي السلطان في هذا المعنى من حرب صاحب ثلا . فلمّا صدّروا القاضي المذكور عاد كلٌ منهم إلى بلاده .

فأمّا الأمير موسى بن أحمد فإنّه لمّا وصل صعدة قبض بعض بلاد الأمير سليمان بن القاسم وكتب إلى الشريف شرف الدين شكر بن علي يستدعيه إلى صعدة ، فوصل إليه وحلّفه للسّلطان وقبض منه رهينته ، وسيّر منه ابنه علم الدين موسى إلى الباب الشريف ، فلمّا وصل صنعاء ترك الرهينة في حصن ذهبان عند الأمير محمد بن أحمد الحاتمي الهمداني وتقدّم صحبته إلى الباب الشريف ، فوصلا والسلطان على الحركة إلى البلاد العليا ، فقابله السلطان بالإنعام التام والجود المتوفر الأقسام ، وسار تحت ركابه العالي إلى الموسعة ، ومن هنالك تقدّم إلى صوب أبيه . وأمّا الأمير تاج الدين فإنه تقدّم إلى الجهات المغربية وأوقد نار الحرب في بلاد الموقر[2] والعارضة[3] وما بينهما من بلاد السلطان ومال إليه بنو شاور وجماعة من قبائل العرب . وأمّا القاضي الذّماري فإنّه رجع من الباب الشريف (بخفيّ حنين) ودخل السّلطان صنعاء في موكبه الأعظم على

(١) بلد من خيار في حاشد ولعلها فنه بالنون من ريدة .

(٢) الموقر : حصن في حجة .

(٣) العارضة : قرية من جبل كوكبان تشرف على مدينة شبام .

عادة سلطنته بكتائِب كَتَب الإله لها فتحاً ونصراً ، ووقف بها أيَّاماً ، ثم سار إلى البون وطلع الظَّاهر من نقيل عجيب ولقيه الأمير نجم الدين موسى بن أحمد إلى هنالك والأمير عبد الله بن وهاس ، وطلع السُّلطان إلى القنّة من طريق جبل صبيح[١] وتسلّم سعده القنة ، فنزل فيها بجميع عساكره ، وأشرف ظفرة على ظفار وذلك يوم العيد من الجهة التي تلي القاهرة من غربيّها ، ولم يبق إلا أخذها ، وعاد السّلطان إلى القنة وأقام بها ثمانية أيّام وشرع في عمارتها وسَمّاها المنصورة ، ولحق العسكر فيها مضرة شديدة من عدم الماء والطعام والعلف ، وبلغت القربة عشرة دراهم والزبدي الدّقيق عشرة دارهم .

ولَمَّا رأى السلطان مضَّرة العسكر أمر بضرب مخيمه بوَرْوَر ورتَّب في القنة الأمير نجم الدين موسى بن أحمد ، ورتَّب في تعز[٢] وهو الحصن القديم الذي أخر به سليمان بن قاسم والحسام بن مسعود بن طاهر ، وأمر بعمارة الموضعين ونصب في تعز منجنيقين كان أحدهما أكبر من الآخر ، وكان المنجنيق يرمي إلى ظفار وإلى المدينة فأضرَّ بهم المنجنيق غاية الضرر ، وناهيك بمنجنيق هدر نازله وهتم ثغر تلك الأبنية فأضرَّ بهم المنجنيق فأزله[٣] ونصب لخفض ما رفعوه من مبانيهم وأظلَّ عليهم غماماً تمطرهم حجارةً تذهب بمغَانيهم . وعَيَّد السلطان عيد الأضحى في محطة وَرْوَر ، وتخلَّف الشعراء عن الوصول لبعد المسافة وارتكاب تلك المجاهل ، ولم يحضر منهم هنالك إلاَّ الأديب سابق الدين يوسف العنَسِي ، فقام على السماط بقصيدة وهي هذه :

الملك ليس تنام منه عيون   حتى تسيل من الدّماء عيونُ

(١) في العقود ٢٧٦/١ صبح .
(٢) سبق وهو تعز ظفار .
(٣) كذا في الأصل .

لولا أدالتك المصون من العدى ... مابات وجه الملك[1] وهو مصونُ
ضمنت لك الملك السيوف وكلما ... ضمن السيوف فإنّه مضمونُ
وافيته بكتائب أعلامها ... النَّصر والتأييد والتمكين
من كل أرعن مكفهر أصبحت ... منه سهول الأرض وهي حزون
لوشئت تورد بعضه جيحون ما ... أرواه جيحون ولا سيحون
كم ليل نقع قد دجى من ركضه ... فَجَلاه سرد دروعه الموضون
ضاقت لكثرته البسيطة كلُّها ... فمقامها في الشرق أين يكون
فدع الحصون بلاقعاً من أهلها ... فلقد أضلّتهم عليك حصون
ملُّو السكون بها وظنّي أنه ... قد ملَّهم أيضاً كذاك سكون
فأطحنهم طحن الرحى بكتائب ... هي للطغاة جميعهم طاحون
والأرض أرضك[2] كلها من تُبَع ... فأعقل حديثي فالحديث شجون
غمدان قصركم القديم وقصركم ... درواح[3] كان وقصركم بينون[4]
أظهرت بالجيش العرمرم كلَّما ... أخفت ظهور منهم وبطون
خرِّب ظفار ولا تدع كحلان تا ... ج الدين فهو لملكهم قانون
فاقبض ظفار ولا تدعه معجّلا ... ياابن الملوك ففوقه لك دون
أنت المؤيد بالإله فلا تخف ... ممّن يكيدك جاهداً ويخون
هذي الخلافة سعدها بك طالع ... في حيث كنت ووجهها ميمون
لولاك للإسلام يا ملك الورى ... لتنكر الفروض والمسنون
وبقيت للأعياد ياملك الورى[5] ... كهفاً يلوذ بظلِّه المسكين

---

(١) العقود (الدهر) .

(٢) العقود (ارثك) .

(٣) العقود (صرواح) .

(٤) بينون : حصن أثري شرقي مدينة زراجة من بلد الحدا .

(٥) ورد هذا الشطر في العقود هكذا . (وبقيت للإسلام ما سطع الضحى) .

وأرسل العفيف[1] بقصيدة وهي هذه :

فعلت بهجته النوى أفعالها ... لَمّا حدت تلك الحداة جمالها
متحملاً ثقل الورى لَمّا رأى ... عيسَ الأحبة حمّلت أثقالها
[ولقد سرى سقيمها في حبكم ... حتى ترى أبلالها[2] أبل لها
كيف السبيل لقبة في حجبها ... شمس تزين حجولها[3] أحجالها
نزلوا على ماء العقيق وأشرعوا ... دون القباب من القنا عَسّالها
وحموا طَروق النوم جفني غيرة ... من أن أرى عند المنام خيالها][4]
يامنصبي البكرات[5] في طلب الغنى ... ما إن تراقب أينها وكلالها[6]
إن لم يُشدّ ركابها يوماً إلى ... سوح الهزبر فلا يشدّ رحالها
ساد الملوك ولا يكون مثاله ... أبد الزمان ولا يكون مثالها
ودعت بداود[7] الهداية حيثما ... عثرت فقال لهالعاً[8] وأقالها
وحوى الخلافة لم تكن إلاّ له ... دون الأنام ولم يكن إلاّ لها
ملك إذا شدَّ الجياد لغارة ... جعل الخدود من الملوك نعالها
وتذكروا بالمنجنيق عليهم ... يوم القيامة إذ رأوا أهوالها[9]
فرموا إليها بالحصون مخافةً ... من رميها ومن القسي أنشابها

---

(١) هو الشاعر عبد الله بن جعفر السابق الذكر .
(٢) جمع بل وهو الشفاء .
(٣) شدة بياض المرأة .
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من العقود .
(٥) جمع بكرة بنت الناقة .
(٦) الأين والكلال التعب والنصب .
(٧) هو داود الملك المؤيد الممدوح .
(٨) دعاء له بالسلامة .
(٩) في الأصل (يوم القيام إذ أوحى ياهولها) وما أثبتناه في العقود .

لو لم تطعك ظفارها وتعزّها ... وسماء قبتها بسقت حبالها[1]
وغللت منها في الشمال يمنيها ... وغللت منها في اليمين شمالها
يابن المظفر يا هزبر الدين يا ... داود منتخب الورى مفضالها
لا زلت تقسم للمرجّى رزقه ... من راحتيك وللعدى آجالها

ثم صعد السلطان إلى تعز[2] ليشاهد العمارة ويشاهد رَمي المنجنيق ، فرمي بحجارة كثيرة هَمَّت أن تصير أحجار ظفار كظفر الإبهام ، وأن تسبب[3] من حوى شنانا لا يوذن بانتظام ، وخفقت السَّناجق[4] السُّلطانية فأشبهت البروق اللَّوامع ودقّت الكُوْسات الهَزْبرية فأَصمَّت من العداء كل سامع ، وعلم الأمير علم الدين سليمان بن قاسم صاحب ظفار أنَّه إن دام هذا الأمر أدَّى إلى خراب بلده ، فأعمل الحيلة والمكر وأخرج بني أخيه وجماعةً من الأشراف إلى خارج درب ظفار عند باب حمير ومعهم وزيره علي بن دحروج ، وصاح بأعلى صوته : أن الأمير والأشراف قصدهم أن يخدموا السُّلطان ، وسألوا أن يشرف عليهم ، فأشرف عليهم فخدموا بأجمعهم وصاحت الحاشية لهم ، وقالوا : نحن غلمان السُّلطان وهذه المواضع مواضعه ، وأشار إليهم ابن دحروج أن معه خطاباً يفضي إلى المصلحة ، وسمع السُّلطان كلامه فتقدَّم إلى المخيَّم المنصور ، فأجاب الشيخ ابن دحروج إلى ذلك ، وسأل أن يرهن[5] به الفقيه شرف الدين إلى صوتهم . ونزل الشيخ المذكور ومَثَّل بالمقام الشَّريف السلطاني وجرى الحديث والخطاب بين السلطان وبينه بحضور الوزير القاضي موفق الدين علي بن محمد اليحيوي ، واستقر الأمر على أن

---

(١)) كذا وفي العقود (فسهاسفت أحبالها) .
(٢)) يعني تعز ظفار .
(٣)) كذا في الأصل .
(٤)) السنجق : العلم لفظة تركية .
(٥) كذا في الأصل والمطبوع .

الأمير سليمان بن قاسم يبيع السلطان حصن تلّمص بما مبلغه خمسون ألف دينـار ، ويرهن ولدي أخيـه محمـد وداؤد ووزيره علي بن دحروج ، وأن يخرب السُّلطـان تعزّ المعمور على ظفار والقنّة . فقال من حول السلطان : هـذه مصلحـة عظيمـة ، وتملّك السلطان صعده بغير شريك . والرهائن توثقة لمن صدق ، فركن السلطـان إلى ذلك وقبض الرهائن بعـد أن صـاح لهم بـالطيّب ، ونزل الفقيـه شرف الـدين أحمد بن علي من ظفـار ، وتسلّم السّلطـان الرهـائِن ، وأطلعَ لهم المـال المشروط ، وأمر السلطـان الفقيـه شرف الـدين أحمـد بن علي بعسكر لقبض تلّمص ، وصـدَّر الشريف سليمان بن قاسم ثقةً منه ، وتقدّم الجميع إلى جهـة صعـدة وتوجّـه الركاب السلطاني من محطة وَرْوَرْ والرهـائِن صحبتـه وجـاء طريقـه تحت ظفـار طريقـاً مولدة قاصداً صنعاء ، وذلـك يوم الجمعـة نصف ذي الحجـة . فحـطَّ الجيش ونهض يوم السبت فحطَّ الماجلين ، وأصبح يوم الأحد سـابع عشر الشهر سـائراً فحـطَّ في بركـة اليـامين تحت حبل ظين[1] ، ثم زحف على جربـان[2] اليـوم الثـاني فقـاتـل العسكر قتالاً عظيـاً وبلغ الشفـاليت[3] بـاب الحصن ووقع عنـده الضرب والطّعن وَنُزل للشفاليت الكسوة[4] ، فأخرب أهل الحصن المحمولـة[5] وعـادوا[6] الشَّفـاليت فوجدوهـا خرابـاً . وكان قـد تجمَّع إليـه خلق كثير من هَمْدَان وبني سريح وبني الزّواحي وغيرهم فنصب السلطان الْمَنْجنيق وأقـام ثمـانيـة أيَّـام على جَرَبـان ، ثم توّجه الركاب السلطاني إلى صنعاء ، وتولّى الحصار الأمير شمس الـدين عبـاس بن محمد والأمير عماد الدين إدريس والأمير محمد بن حاتم ومحمد بن أحمد بن عمرو .

---

(١) في الأصل صنين والإصلاح من عندنا ، وظين جبل في الشمال الغربي من صنعاء .

(٢) جربان بالتحريك قرية من بلاد همدان بالشمال من صنعاء بمسافة ١٨ ك . م .

(٣) جمع شفلوت طائفة من العسكر غير النظاميين واللفظة من العامية .

(٤) في المطبوعة الكولة والعقود الكسورة وما أثبتناه في الأصل .

(٥) كذا في الأصل والعقود ٢٧٩/١ وفي المطبوعة من البهجة المحمول .

(٦) كذا على لغة « أكلوني البراغيث » وهي رديئة .

ذكر ما اتفق في سنة اثنين وسبع مئة

رحل الركاب السلطاني قافلاً من ظفار في المحرّم من السنة المذكورة إلى صنعاء . وأمّا ما كان من سليمان بن قاسم صاحب ظفار فإنّه لمّا نظر إلى المال عنده وهو مئتا ألف درهم وخلعٌ نفيسة لم ير مثلها وقد أخربت القنّة وتعز ، وارتفعت العساكر السلطانية عنها ، نَوَى الغَدْر والمكر وزهد في الرهائِن التي وثقها ، فكتب إلى الذي بتلّمص وأشار إليه أنّه لا يسلّم تلمصاً بل يسلّمه إلى الشريف أبي سلطان . فامتثل الذي في الحصن رأيه . وكتب سليمان بن قاسم إلى السلطان أنّه غلب على تلّمصَ أبو سلطان وأنّه قد صار في حُرْزة[1] وانتقض الحديث الذي كان قد تقرّر ، وقيل إن ذلك بمشورة جماعة منهم عز الدين محمد بن أحمد ، وشكر بن علي القاسمي ، ومحمد بن حاتم الهمداني وجميع من يريد الغيار على الدولة الشّريفة ، فحينئذ أمر السلطان شكر بن علي المذكور إلى صاحب ظفار يعرّفه أنه زعم أنّه غلب على الحصن وأنّه فات من يده ، فإذا كان كذلك أعاد المال وقبض الرهائِن . فأجاب بأعذار غير مقبولة ، وزعم من زعم أن شكر بن علي أشار عليه أن يبادر بعمارة تعز الذي قد كان أخربه وأقل رأيه[2] على ضياعه ، وفي غرض إقامة شكر بظفار عمر الأمير سليمان تعز وأكد بناه واعتمد مغالطة السلطان بالكتب . وأمّا الفقيه شرف الدين أحمد بن علي الجنيد والعسكر المتقدمون لقبض تلَمص أيسوا منه وعادو إلى الحرم السّلطاني ، وبقي الحديث بين السلطان وبين صاحب ظفار على إعادة المال وقبض رهائِنهم ، فشرع في المغالطات وطمع في المال فهدده السّلطان بإشهار الرهائِن والنكال وإشهار توبة[3] فلم يلتفت إلى ذلك ، ورجع منه شكر بن علي بغير تسلّم مال ، ثم سار الأمير

(١) في الأصل حوزة .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) أحد موالي موالي الأمير سليمان بن قاسم .

أحمد بن يحيى بن حمزة إلى الباب السُّلطاني بصنعاء قبل أصحابه الذين نظر للصلح ، فوقف أيّاماً وعاد على غير شيء ، وجهزَّ السلطان الأمير علي بن محمد الأبرش للمحطة على الصرارة[1] فحاصرها وضيّق على أهلها .

وفي رجب وقع بمخلاف صنعاء والظاهر أمطار عظيمة ، والسعر على حاله في الغلاء وهلك الناس وبيع الطين[2] بأرخص ثمن وعمَّ القحط اليمن جميعه ، ودخل ظفار بغير قضاء حاجة فطال المطال من الأمير سليمان بن قاسم عن رجوع المال ولم يحتفل بالرهائِن . وتقدَّم السلطان بإشهار ولديه وتوبه ودغمه ونعاه بالعيب كعادة العرب في الغادرين لعدم الوفاء . ولَمّا نظر الشيخ علي بن محمد دحروج أن الشهرة[3] لاحقةٌ له لا محالة بذل للسلطان الخدمة والنصيحة وقال : اعذروني فوالله لأفعلنّ بقضاء فعلهم ، ووثَّق السلطان من نفسه فاستحلفه ، فعندها أبرز وجوه مضرتّهم وروى حديث استئصال شافتهم ، وصدَّره السلطان صحبه سيف الدين طغريل بعد اقطاعه صنعاء وذلك يوم الإثنين رابع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبع مئة بالعساكر إلى عمارة المنصورة وهي القنة . وكان عند الأشراف أن العسكر لا يطلعون إليها ولا يعمروها فطلعوها قهراً وتسلَّموا القنه ، وكان لله في انتصار العسكر السلطاني المنّة وعمرت المنصورة واستمرت العمارة بها واستمرّت العمارة بوَرْور ، ولحق الناس قحط شديد وبلغ الزبدي في ورور أربعة دنانير وأكثر من ذلك ، فخلا كثير من البلاد عن أهلها واستمر الأمير أبو سلطان في تلمّص وخالف الأمراء آل عز الدين ، وعاد أهل صنعاء من فللة[4] ، فسيَّر السلطان الأمير موسى بن أحمد إلى صعدة لصلاح أمرها . وخرج الأمير عبَّاس بعسكر إلى بلاد الأمير تاج الدين لحربه ، ولزم الأشراف القاضي الذماري وأخذ

---

(١) قرية في جبل عيال يزيد شمالي عمران .

(٢) الطين هنا كناية عن الأرض .

(٣) الشهرة ظهور الشيء في شناعة .

(٤) فللة : هجرة من بني جماعة من صعدة .

مـا وجـد في بيتـه ، وابن بهرام والشريف شكر محـاصران لتلمّص بمن معهما من العسكر .

ولَمّا كان بواقي أيّام في رجب تـداعى النـاس إلى الصلح وذلـك على ردّ المال المسلَّم في تلَّمص ، فسلَّموا منه نقداً ستة عشر ألف دينار وحريراً وحلياً باثني عشر ألف دينـار وبقيت ثمانيـة رهنوا فيهـا ولـدَى الأمير أحمـد بن قـاسم . وحصر الصرارة[(١)] على يد الأمير ابن وهاس إلى عشرة أيّام في شوّال والقنة للسلطـان ومن القبائل المرقـان وبنو أسـد [الصيـد][(٢)] وبنو خير[(٣)] وبخلاف تلمّص وبنو دحروج إلى جنبـة السُّلطـان ومـا كان إليهم من مـال وغيره ، وأخرجوا حريمهم من ظفـار وسكنوا بها في صنعاء ، وتسلَّم الأمير تاج الدين الحـدّة[(٤)] وخرّب شريْب[(٥)] ورهن ولده مع رهينة الأمير همام الدين سليمان بن قـاسم ، وانعقـد الصلح بين السلطـان وبين أصحاب ظفار وتـاج الـدين علي أن السلطـان يحـارب تلّمص ويعمل فيهـا مـا شـاء ولا عتب . ولَمّـا استقر ذلـك تقـدَّم الركاب العـالي السلطـاني إلى اليمن المحروس باليُمن السعيد والنَّصر الذي ما عليه من مزيـد ، وذلـك في الثـامن عشر من شعبان المبارك وكان طلوعه إلى تخت مملكته حصن تعز غرّة رمضـان المعظّم ، وفي عيد الفطر قام العفيف بن جعفر على خوانه بقصيـدة يـذكر فيهـا أهل ظفـار والقنة والتعريض بابن دحروج وهي هذه :

أثمـار هـذا القضيب الرطب أفنـان ... كرم وطلـع وتفـاح ورمـان
أهكـذا الفضـة البيضـاء قـد نبتت ... غصن وزهرتهـا في الخـد عقيـان
ظبي مبـاسمـه در وريقتـه ... خمر وأنفـاسـه روح وريحـان

(١) في مطبوعة العقود ٢٨٢/١ حصن المدارة .
(٢) ساقط من الأصل والزيادة من المطبوعة .
(٣) المطبوعة بنو حسن .
(٤) في مطبوعة العقود الحدود والمطبوعة من البهجة الجدة وما أوردناه في الأصل والكنز .
(٥) شريب : أحد جبلي كوكبان (صفة ١٣٤/١) .

قد صح منشور إقطاع القلوب له … ونور حاجبه في اللحظ[1] عنوان
وأضرم الحسن في أمواه وجنته … ناراً لها مهج الأكباد قُرْبَان
عجبت إذ نبت المرجان في فمه … وقبلها لم يكن في العذب مرجان
تصوير شخصك [في عيني ممتنع][2] … أن يلتقي لي فوق النوم أجفان
هذي دموعي بوجدي فيك شاهدة … تنبيك بالشأن ما يجري به الشأن
ما اختص ناظرك الساجي لأنفسنا … بفتنة كل شيء منك فتان
لا تمش بالصب في طرق الهوى مَرِحاً … وأقصد كما قال في نجواه لقمان
أيستبيح[3] جباراً قتل أنفسنا … والأرض فيها هزبر الدين سلطان
سيف من الله لولا حدّه عبدت … كأول الدّهر أصنام وأوثان
ملك مكارمه غيث ونجدته … غوث وأيامه يمن وإيمان
في حكمه[4] لشديد الناس مَدْرأة … يرضى الإله وحدٌّ السيف غضبان
مستحسنات صفات الناس قد جمعت … فيه فدعهم كأن الناس[5] إنسان
لم لا ويوسف شمس الدين منبته[6] … ومنبت الأصل قابوس ونعمان
وتُبع الأكبر السامي وذو يزن … عم وبيتك صرواح وغمدان
إذ كان في فرع صنعاء بناؤهم … قد استضيء سمرقند وحلوان
تلك العباهل[7] من قحطان إن عدموا … فبالمؤيد عادوا مثلما كانوا
كأنما الشهب في ظلمائه قِنصٌ … تخطفته من الرايات عقبان

---

(١) العقود : الخد .
(٢) ساقط من الأصل والزيادة في العقود .
(٣) في العقود جباراً : والجبار عند الفقهاء : مالا قود عليه .
(٤) في العقود (سلمه) .
(٥) العقود (ماهل الأرض إنسان) .
(٦) في الأصل كنه والإصلاح من العقود .
(٧) في العقود (المعاهد) والعباهل جمع عبهل الأقيال المقرون على الملك .

كأن روس رمــــاح فــوقـــــه رفعت   منهــا على الجـو أحـواض[1] وغـدران
فيــه القنـــا شهب والنّــزك ملتهب   والسّيف مختضب والقـوس مرْنـــــان
كأن حصن ظفــــار تحت لجتهـــــا   من الهلاك ابن نـوح وهي طـوفـان
حتى يظنـوا بـأن الأرض قـد طـويت   وأن مـوضعهـــا خيــل وفرســـــان
يـدهــا من دواهي الحرب مـاثلـة   تمخّضت بحجــــار وهي عمـــــدان
مطـاعــة كلمّــا نـادت برفـع يـــد   تبـادرت نحـوهـــا دور وحيطـــان
حتى إذا طحنتهم تحت كلكلهــــــــا   شهبَـاء منهــا يطيش الإنس والجـان
تَشَفَّعـــوا بكتــــــاب الله وارتفعت   أمـــــامــــــه صحف فيهن قرءان
فَردَّ عنهم حيــــــاء من كرامتهـــــا   زاكي الأصـول كريم الخيْم يقظـــــان
ومنَّ داود في الأسرى فـــــأطلقهم   جـوداً وإن هـزبر الـدّين منـــان
وأوثــق القنــــة الشماء مشرفـــةً   على ظفــار بهـــا جيش وبنيـــان
كمثل حبــة ثــور[2] الأرض تحرسـه   من أن تميـل لـــه بـــالأرض أركان
مــا ضرّ داؤد مـــال ظـل ينفقــه   داؤد بحرٌ بـــه المرجـــان مجـــان
مـاضــاع من ضيّعـوه من رفــاقتهم   لقـد وقفت لهم في حيث مـا خـانـوا[3]
واستحسنـوا الغصب في أمـوالـه فـأبى   [سيف][4] بكفـك تحمي فيـه جيران
[أوصـاف شخصـك تحـويهـا دفـاترهم   بهـــا سبقن تـواريـخ وأزمـــان][5]
أنت المليـــك الــذي في عصره أمنت   من عصرهن عنــــاقيـــد وقنـوان
وطهّر الله أرضـــاً أنت مـــالكهـــا   من أن يكـون بهـــا كفر وعصيـــان
جـــددت في مشترى عتقي لكم ثمنـــاً   وللعبيـــــد من المعروف أثمـــان

---

(١) في الأصل (الجواض) وأصلحناه من العقود .

(٢) العقود (جنة نون) وفي البيت إشارة إلى قولهم أن الأرض بين قرني ثور .

(٣) العقود (كانوا) .

(٤) ساقط من العقود .

(٥) ساقط من العقود .

سقيت غرسي بـإحسـان تجـدده — وفي سجَايـاك لـلإحسـان إحسـان
هنيت ياملك الدنيا [ابن مالكها][1] — ثـلاثـة هنّ لـلأفراح صنـوان
نصر وحسن[2] قـدوم جـاء بعـدهـا — عيـد بـوجهـك من داؤد مـزدان
وفي الليـالي فنـون من سعـادتكم — إن الليـالي لمـا تهـواه خـزّان
فـلا برحت على مر الـزمـان كـذا — ولا خلت منـك أوقـات وأحيـان

وفي السَّنة المذكورة توفِّي الملك العادل صلاح الدين أبو بكر بن الملك الأشرف ودفن أول من رمضان في ضراس[3] . وفي السنة المذكورة توفي الأمير نجم الدين موسى بن شمس الدين بنواحي صعدة وفي السنة المذكورة أمر السلطان الملك المؤيد بإنْشاء مدرسة عالية البنيان[4] شامخة الأركان لحفظ نظام الأديان ورتب فيها مدرسا ومعيداً وعشرة من الطلبة يشتغلون الفقه على مذهب الإمام الشافعي المطّلبي ، ورتّب فيها مقرئاً يقرئ القرءآن العظيم بالسبعة الأحرف ومعلماً يقرى القرءآن على جماعة من الأيتام ، وإماما يصلّي بها الخمس الصَّلوات . وأجرى لهم المعلوم التّام من الأوقاف التي وقفها من الأراضي والكروم ، ومما يجزي ثواب ذلك في الصحائف المكرمة مضافاً إلى أجوره المتقدمة ، وجاءت زاهية المغاني بديعة المعاني حسن أن يقال فيها « مباني الملوك ملوك المباني » ووقف فيها خزانة من الكتب النفيسة مشتملة على مصنفات غريبة المعاني من التّفسْير والفقه والحديث واللغة والنحو والتصريف ، وبها أمهات الكتب من كل فن غريب ، وبها تفسير القرءآن العظيم للإمام فخر الدين المسمَّى بمفتاح الغيوب[5] ، وهو نادر

---

(١) ساقط من الأصل والزيادة من العقود .
(٢) العقود : جيش .
(٣) ضراس : قرية من ناحية السياني وأعمال ذي السقال .
(٤) هي المعروفة بالمؤيدية في مغربية تعز (العقود ٢٨٥/١) .
(٥) كذا والمعروف أنه المسمى بمفاتيح الغيب طبع في ثمانية مجلدات كبيرة وهو من تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرّازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

للوقوع ، قال مؤلف هذه السيرة : ولقد أقمت بمدينـة دمشق بضع سنين على مـا بهـا من الخزائِن الموقوفة فلم يكن بها من تفسير الإمام فخر الدين إلا نسختان ، نسخـة بالخانقاه السميساطية[١] ونسخة عند قاضي القضـاة نجم الـدين بن صصري[٢] وبهـا نهاية المطلب[٣] لإمام الحرمين وما بقي من الكتب فعظيم الشّأن نادر في بابـه والله تعالى أعلم .

ذكر مااتفق في سنة ثلاث وسبع مئة

وفي السنة المذكورة في العشرين من المحرَّم انتقل الملك الظّـافر قطب الـدين عيسى بن السلطان إلى جنان الله وغفرانـه وإلى مـا أدخر لـه من فسيح جنـانـه ، وكانت وفـاتـه بحصن تعز . مصرع عظم عنـد الملـك موقعـه ، وخطب تَرَك الأمم سكارى لمـا ظهر بين الخـلائـق مصرعـه ، وخرج بـه من الحصن وأمـامـه الأمم من حاشية أبيه وغلمانه وفي جملتهم مولانا الملك المنصور وأخوه الملك المظفرً شعر[٤] :

خرجـوا بـه ولكل بـاك حـولـه ... صعقـات موسى يوم دَكّ الطور
كفـل الإلــه لــه برد حيــاتــه ... لمــا انطــوى فكأنــه منشــور
حتى أتـوا جـدثـا كأن ضريحـه ... في قلب كل مـوحّــد محفــور

ودفن بمدرسة أبيه السلطان الملـك المؤيـد التي أنشـأهـا بمغربـة تعز المتقـدمـة الذّكر ، وكان ملكاً ذا همة بارعة وعزيمة لأبكار المعـاني قـارعـة ، حوى في ريعـان الشّبيبة مانالـه كهول الملوك من الحلم والأنـاة من حسن السلوك ، رحم الله تلـك

(١) من خوانق دمشق ذكرها النعيمي في الدارس في تاريخ المدارس ١٥١/٢ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن سـالم المعروف بـابن صَصْري ولي القضـاء سنـة ٧٠٢ هـ وعمل في دار الإنشـاء توفي سنة ٧٢٣ هـ (الأعلام ٢٢٢/١) .

(٣) هو كتاب نهاية المطلب في دراية المذهب تأليف عبد الملك بن عبـد الله الجويني المعروف بـإمـام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

(٤) من شعر المتنبي (ديوانه ٦٦) .

الرّوح وفتح لها أبواب الجنان فهو آخر ما يرجوه من الفتوح ، ورتب السُّلطان على قبره قُرّاء ورتّب لهم معلوماً جارياً[1] عليهم ، ونال السلطان عليه من الأسف ما نال ، وصبر صبر مثله عند تعاظم الأحزان ، وأمر بذبح خيله لئلا يمتطي صهوتها غيره[2] ، وتصدّق بلحمها حالة حُمل على الرِّقاب سريره ، وما أحقه بقول القائل :

يمرّ على الوادي فتثنى رماله   عليه وبالنَّادي فتبكي أرامله[3]

وأقام العزاء عليه أيّاماً كما تفعل الملوك في سائر مملكته ، وصرف ما يجب صرفه من الصَّدقات المبرُورة والقربات المشكورة ، صان الله هذه الدَّوحة الشَّريفة السُّلطانية من كلّ شائبة ، وحمى الحوزة الهزْبرية من كل نائبة ، ورثاه الشُّعراء وممن رثاه العفيف بن جعفر بقصيدة وهذه هي[4] :

يحقُّ لكلّ قلب أن يذوبا   من الحزن الذي صدع القلوبا
على قطب رسولي جواد   أصيب به الورى لمّا أصيبا
وبدر شبيبة في الملك لمَّا   تكامل حسنه ولَّى غرُوبا
لقد بسطت أناملها الليالي   فنالت ذلك الغصن الرطيبا
وأودت بالصَّميم الندب حتى   بكل حشاشة أمست تذوبا
أعيسى ابن الجويِّد أي يوم   يرجى من رحيلك أن تؤوبا
أبلدان غزوت من الأعادي   فتسأل عن قساطلك الجنوبا

---

(١) وردت في الأصل مطموسة .

(٢) عادة ذبح الخيل عند قبر الميت عادة جاهلية عرفت عند بني رسول .

(٣) من قصيدة طويلة لابن أبي الحصين في رثاء مقلد بن نصر أولها :

ألا كل حي مقصدات مقاتله   وآجل ما يخشى من الدهر عاجله

(انظر وفيات الأعيان ٥/٢٧٠) .

(٤) انفرد كتابنا بإيراد هذه القصيدة .

يعــزّ عليَّ أن يــد المنــايــا تعـاطت ذلـك الحسن العجيبا
ولـو برز الحمـام إليـه شخصـاً لعـاد ورمحـه منــه خضيبــا
وقبـل رفـوع ذاك الجنب منـه تظل جياده تطأ الْجُنُوبا[1]
قضى نحبـاً فجرد الخيـل أمسى عليـه صهيـل شن[2] بها نحيبـا
ولاأدري دمــوعــاً للقنـــا أم ببـاقي طعنـة دميت لعـوبـا
وكانت خيلـه تعريـق[3] تروى وتسحب في سياستـه السبيبا[4]
ولكن المنيـة عـاجلتـه مخـافـة أن يعــاجلهـــا وثــوبـــا
وغـادره الحمـام يخـاف منـــه يغـــادره طعينـــا أو ضريبـــاً
أراه الـــدّهر أعجبـــه إلى أن تنـدم أن يكـون ... وهـوباً[5]
ومـا سمحت لنـا فيـه الليـالي ومن هـذا الـذي يهب الحبيبـا
نشـق قلـوبنـا حـزنـاً عليـه أمّـا من معشرٍ شقـوا الجيـوبـا
إذا مـا نحت من جـزع عليـه بكى إحســانـه حـولى مجيبـا
بعيـــــــد أن تراه العين لكن احسـانــه حــولي قريبــاً[5]
وخــذ من دمــع عيني مستمــداً اسقي دورهـا دمعـاً صبيبـاً
وعــز إلى الخليفـــة من تعــزٌ هزبر الدين أزكى النـاس طيبـا
تقيـك النفس يـاداؤد من أن (م) تبيت لـوقـع معظمـة كئيبـا
بهـــا رغّبت عنــــه أن أراه وكانت راحــة لي أن أغيبـــا
ويـــأبـــاه الفــؤاد فكل يـوم يكـون حـزينـاً فهـو يـؤبـا
فَمنَّ على الـزمـان بحسن صَفْح فقـــد أمسى بفعلتـــه مريبـــا

---

(١) بالضم جمع جنب .

(٢) الغارة من الخيل .

(٣) من أسماء خيل المتوفى ، لم يذكره أخوه علي بن داؤد في كتابه الأقوال الكافية ط دار الغرب .

(٤) شعر الذنب من الفرس .

(٥) كذا في الأصل .

كأن مصاب قطب الدين فيء فكل آخذ منه نصيبا
وأنت أجل حلماً أن تعزّى وحكمك يقطع السَّيف الحسيبا

وفي السَّنة المذكورة توفي الأمير أبو سلطان المستولي على تلمص المقدم ذكره ، وقد اتفق هو والأمير جمال الدين ابن بهرام على تسليم الحصن للسّلطان ، فغلب المرتَّبون بعد موته على تمام الحديث وباعوه على الأمير علي بن موسى بن شمس الدين ، فسار نحوه بشحنة من الطعام آخر الليل ، فلمَّا حطَّ الحمال الطَّعام شعرت بهم الرُّتبة ، فخرج ابن بهرام إلى صعدة فتلاحقوا في الرّوية[1] ، ووقع بينهم قتال شديد تلازم فيه الأميران علي بن موسى وابن بهرام ، ويقال : أن الشحنة ماجهزت إلاّ برأي حسن والشريف شكر بن علي ، وهما المقدّمان للعسكر المنصور ، وبعد طلوع الطَّعام إلى تلمَّص ، وصل شمس الدين المؤيد بن أحمد من بني الهادي ، وكان من علماء الزيدية وفضلائها وأقام معهم أيَّاماً في محطتهم تحت حصون الأمير موسى ، وقد كان السلطان أرسل الأمير علي بن موسى لصلاح صعدة ، وأرسل الأمير عيَّاش[2] بن محمد بن عبد الجليل بعسكر إلى بلاد تاج الدين لمحاربته .

وفي خلال ذلك وصل محمد بن مطهر من حصن ظليمة[3] قاصداً صعدة ، فلقيه الأمير المؤيد إلى جبل بني عوير[4] ، ثم سار إلى علاف[5] فوصلهم الأشراف إلى هنالك بجمع يريدون تلمصا . فركب العسكر السُّلطاني من صعدة وعارضوهم في صحن الرّوية ، وحصل بين العسكر وبين الأشراف قتال شديد ، ومقدَّم

---

(١) الروية هو المعروف الآن بوادي السر .

(٢) في العقود عبّاس .

(٣) ظليمة : ناحية من قضاء شهارة بالشمال الغربي من حجة .

(٤) من قبائل سحار في الجنوب الغربي من صعدة وفي الأصل بني غوير بالغين المعجمة .

(٥) واد بالقرب من صعدة بمسافة ٢٠ كم .

العسكر السلطاني الأمير حسن بن بهرام المقدَّم ذكره ، والشريف شرف الدين شكر القاسمي ، ومقدَّمون آخرون بعسكر كثير ورجل عديد ، فلمَّا تقارَبَ النَّاس للقتال والتقت الجناحان لإثارة النقع ، نزل الشريف شكر ، وسأل لقاء الأمير علي بن موسى ، فالتقيا وخاضا في حديث يفضي إلى الذِّمة ، فلم يتم بينهم حديث ، فتحرك الأشراف للحملة وانهزمت العسكر في ميمنة عسكر السلطان وميسرته ، وكان أحل العسكر من بني عبيدة وآل جحَّاف وآل دَعَّام ودُهْمة ، وبقي العسكر في القلب ولم يمكنهم الاستقرار بعد انهزام الجيش فتموا بعدهم ، وقُتِل أيبك الحجازي الأشرفي من مقدَّمي المماليك وثلاثة فرسان وأربعة رجال ، وسار الأشراف من فورهم إلى مدينة صعدة وذلك في النِّصف الأخير من شعبان في السنة المذكورة ، وخافت العرب من العساكر السلطانية فهربوا منهم ، وأقام الأشراف بالمدينة أيَّاماً لم يجدوا فيها قتالاً ، إلاَّ أن خيلاً للأشراف أغارت ورجلاً كثيراً خرج عليهم كمين العسكر قتلوا من رَجَّالة الأشراف وحمل المهدي بن عز الدين أسفل الجبل فعثر وأخذ حصانه . ثم تكاتبوا بالصُّلح فانعقدت بينهم الذمة إلى سلخ الحجة على إخلاء صعدة من الفئتين ، ونزل الشَّريف شكر [إلى] الباب السلطاني في تمام ذلك ومعه الأمير داؤد بن عزّ الدين ، فلم ينصف فعاد غاضباً إلى أصحابه فعملوا على تمام الذِّمّة . وتقدَّم الأمر السُّلطاني بإرسال جيش مقدّمة الأمير شمس الدين عباس بن محمد ومقدمين من مذحج ، فدخل صعدة في آخر ذي القعدة . وتراسلوا في الصّلح على تمام الذّمة الأولى . **(ودخلت سنة أربع وسبع مئة)** .

ففي المحرّم توجّه الأمير جمال الدين نور من حرض مدداً لعبَّاس وابن بهرام ، فأخرب الأمير شمس الدين زرع الأشراف بصعدة ومخاليفها ، ودخل علاف وحريم[1] ورتَّب ثلاثين فارساً في ثَغْر صعدة وثلاث مئة راجل . ونزل الجوف ،

(١) في العقود (مجز) .

ثم وصلا صنعاء فتوجه عبـاس إلى اليمن ، فلمّـا خلت صعـدة منْ العسـاكر جمع آل شمس الدين عسكرهم ونزلوا بالجوف ، ومن تمام مـا وقع في سنـة ثلاث وسبع مئـة في شهر شعبـان وصـول الأمير بـدر الـدين بكتـوت[١] الُمَرْقَني سفيراً من الـديـار المصريـة ليخبر بـانتصـار عسكر المسلمين على عسكر التتـار بمرج الصفر[٢] بقريـة تعرف بشقحب[٣] بينها وبين دمشق مسيرة ليلة ومعه ثلاثة أسراء من التتار وطبل من طبولهم . فأسلم الثلاثة على يـد السُّلطـان ، فـأمر بـاستخـدامهم وأضـافهم إلى جنده ، والسلطان إذ ذاك بالدّيار المصرية الملك الناصر محمد بن قلاون ومدبِّراً أمر دولتـه الأميران سيف الـدين سلاّر نـائب السّلطنـة ، والأمير ركن الـدين بيبرس الْجَاشنكير الملقب بالملك المظفّر . لمَّا توجه الملك النَّاصر إلى صوب الكرك مخادعة لهما ، ومع السَّفير كتـاب مضمونـه أن العصابـة الإسلاميـة انتصرت على العسـاكر التَّتارية ، واحتفل السُّلطان برسولهم الوارد إليه ودقَّت البشائر وأعلن بـالسُّرور ، وتلقّى السَّفير أعيان الدّولة الشريفة وأمراؤهـا ، ودخل المقـام الشَّريف السُّلطـاني بحصن تعز ، وأدّى الرِّسالة ، ورأى بالملك الرَّسولي من جلالة وفي هـذا المعنى يقول الشريف إدريس[٤] :

لم تـأتـك الرسـل من مصر وسـاكنهـا ... إلاَّ مـــؤديـــــةً حقّـــــاً لكم يجب
وحين لاحت قصـــور الحصن لاح لهم ... من نـور وجهـك مـا لا تستر الحجب
واستقبل العسكر المنصور فـانصـدعت ... قلـــوبهم فهي في أجـــــوافهم تجب
كتـــائب مثـل ضــوء الشمس قسطلهـا ... غيم فســـاروا بليـــل والقنـــا شهب
حفت بهم فرأوا أســـداً ضراغمـــــة ... عـاداتهم في الوغى[٥] إن غُولِبوا غَلَبـوا

(١) في العقود مكتوب المرقبي .
(٢) من قرى دمشق .
(٣) في الأصل سفحت والإصلاح من عندنا .
(٤) هو إدريس بن علي صاحب كنز الأخبار السابق .
(٥) (العقود) : الورى .

وكيف لا والأمين الروح يقـــــدمهم   في كل روع وحيزوم[1] بـــــه يثب
وعاينوا منـك وجهـاً طـالما سجـدت   لـه الملوك وقـامت بـاسمـه الخطب

وأمر السلطان رحمه الله بـإنزال السفير مكانـاً ينـاسب حـالتـه وأفيض عليـه الإنعام التام ، وكتب له معنى مـا جـاء بـه وعـاد قـافلاً إلى مخـدومـه بنزه مطرفـة منشورة ومختومة وهذه الوقائع العظيمة والإشارات الجسيمـة ، وكان عِـدّة القتلى من التَّتار من الوقعة إلى الفرات مئـة ألف وعشرين ألف قتيل ، وكان العسكر المصري قبل ذلك جريحاً من كسرته ضئيلاً فيما وقع عليه من استئصال شافتـة . فلوعـادوا والعياذ بالله مكسوري الجناح ، خائضاً في البطاح ، لما عـاد للعصابـة الإسلاميـة انتصار ، وللمكت المملكـة الشـاميـة التتـار ، واتفقت هـذه الوقعـة ومؤلف السيرة بعدن ، ووصلت قصيدة من الديار المصرية ناظمها الأديب شهاب الدين اليراعي أوّلها :

دنـا من زروع الكفر حصـد المنـاجـل   وقـامت عليهم نـائحـات الثـواكل
وهَبَّت بهم ريـح البـوار فـأُلحقت   أعـالي مـاقـد دبّروا بـالأسـافـل
وحـامت عليهم للحِمام حمـائم   مغردة بين الظبـا والـذوابـل
وغنى ذبـاب السيف بين جموعهم   ففرق مـا بين الطـلاء والكـواهـل
وصـابت عليهم للحتـوف سحـائب   صـواعقهـا مـوصـولـة بـالـزلازل
ألا قُـل لغـارات اللعين لقـد هـوت   عليكم نجـوم بختهـا غير آفـل
تسميت محمـوداً ودمـك واقـع   عليـك بخزي لأعـاديـك شـامـل
طغيت وللطّـاغي وإن طـال عمره   مصـارع حتف حـافيـات النـوازل
أقـول بكم إذ هبت الريـح فـوقـه   فـألقتـه في بحر بعيـد السـواحـل
كأنهم كانـوا فراشـاً فـأتبعت   أواخرهـا نـار الـوغى بـالأوائـل

(١) اسم فرس من خيل الملائكة .

هنيـا لمن قـد راح يُـدعى برامـح ... لنصرة حرب المـؤمنين ونـائـل

ففي رمضـان كانت الـوقعـة التي ... بلي بها جنـد الضحى والأصـائـل

مشـاهـد مـاسلاّن[1] عنهـا بغـائب ... ولا ابن موسى[1] الفارس ابن الحلاحل

لقـد منعـوا أجفـانهم لـذّة الكرى ... وأنفسهم عن طيبـات المـآكل

إلى أن أعـزّ الله بـالنصر دينـه ... ومحض قـومـاً بعـد قطـع المراجـل

ومـا قلت فيما قلت إلاّ روايـة ... ولم أنقـل الأخبـار عن غير نـاقـل

لقـد نصر الإسـلام بعـد تخـاذل ... كـذا مضت الأيّـام بين التـداول

وأضحت رياض الشام بالأمن دوحها ... مجلجلـة أشجـارهـا بـالجـداول[2]

هذه عيون القصيدة ، فعارضه مصنف[3] هذه السيرة وهو إذ ذاك بثغر عدن المحروس وعمره ثلاث وعشرون سنة بقصيدة حصرت عيونها وهي هذه :

أحـاديث هـذا النصر بلّت بـلالي ... لأن سنـه ركن الهـدى غير مـائـل

لقـد بـوّأ الـدين الحنيف منـازلاً ... على قمـة الجـوزاء أعلى المنـازل

أزال غمـام الغم إذ جـاء مخبراً ... بعـزّة هـذا النصر أكرم واصـل

وفضّ منـاشيراً حـوى طي نشرهـا ... أحـاديث نشر نشرهـا كالخمـائـل

لقـد رقمت أنـدى التـواريـخ وقعـة ... غريبـة شكل لا ترى في الأوائـل

لعمري لقـد وافى إلينـا بتحفـةٍ ... تناشدهـا السمّـار وسـط المحـافل

وأخبر عن حـال التتـار ومـا جرى ... بصفّين من حرب شـديـد الـزلازل

وكيف أتى غـازان يغـزو كنـانـة ... فحُفّ بـه منهـا بسهم النـوازل

يقـود جيـوشـاً كالغمام فـلا يرى ... بـه بـارق إلاّ وميض النـواصـل

---

(١) من قوادهم في المعركة .

(٢) في (الأصل) : بالجلاول .

(٣) في (الأصل) : مصحف .

يرومــون مصراً إذ أتــوا بجمــوعهم ... وأين الثريّــا من يــد المتطــاول
ووافوا يحــاكــون القطــا في مسيرهم ... ففرقهم هــزمــاً صراخ الأجــادل
ولَمّــا التقى الجمعــان واستعر الــوغى ... وألحقهم ليــلاً لــواء القســاطــل
وأطلعت الخرصــان[1] فيــه كــواكبــاً ... وأوقــدت البيضــاء شبــه المشــاعــل
وغنّى حــديــد الهنــد فيهم بضربــة ... وجــاوبــه الخطى شبــه المراســل
فلم يستمــع إلاّ مطــــارق بيضهم ... على من [أتى من][2] طــالــع ثم نــازل
فيــالكهــا من وقعــة مــاأتى لهــا ... مثــال ولا يــؤتى لهــا بمــاثــل
ومــزّقهم أيــدي سبــا وهــو ملحــق ... أواخرهم مــذ دبّروا بــالأوائــل
غــزاهم بخيــل كالثريّــا جبــاههــا ... وفي رسغهــا الجــوزاء شبــه الخلاخــل
وفرســانهــا الأتراك من آل يــافث ... إذا دار قطب الحرب شبــه الشــواغــل
وهــا بين يــوم السلم فــأعجب لأمرهم ... شيــاطين يــوم الحرب شبــه الجحــافــل
لقــد قسّمت أيــدي المؤمنين جموعهم ... كقسمــة رَبّ الفرض إرث الحــلائــل
فنصفهم ألقتــــه في الأرض ميتــــاً ... ونصفهم [الثــاني] غــدا في السلاســل
فتبّــاً لغــارات اللعين أمــا دَرى ... بــأن هــلال الــدين ليس بــآفــل
وويــلاً لتــوليــه ومــا جــاء فــاعــلاً ... فــأصبح مفعــولاً بحرف العــوامــل
أتى نــاصبــاً أشراكــه لمكيــدة ... فــأوقعــه المقــدور وســط الحبــائــل
وسَعْــد الســلار الأمير فــإنــه أمير ... حمى دين الهــدى بــالمنــاصــل
أتى يقــدم الجرار من جيش ملكــه ... حليف سيف الــدين قمع البــواطــل
وفقحــا في الكرار وســط جموعهم ... بحدّ الظبــا والصــافنــات الصــواهــل
وينحــل مهني الــورد العضب منهم ... على ظمأ مــاء الطــلا والكــواهــل
فيــا لــك من قوم حموا الــدين والهــدى ... بجرى المــداكي واستحــار العــوامــل

---

(١) الرمح اللّطيف .

(٢) زيادة من عندنا ليستقيم الوزن .

لقـد سرَّ مـولانـا الهـزبر حـديثهم | وما فعلوا بـالمـاضيـات الفواضل
بـه اليمن المحروس أصبح زاهيـاً | بما شاع من مصر عديم المماثـل
خليـق بـداؤد المليـك استماعـه | غـداة أتى يرويـه أصـدق قـائـل
فـلا زال دين الله يحفـظ دائمـاً | بـأملاكـه من خـافيـات النوازل

وفي السنة المذكورة تواترت الأخبار بوصول عسكر جرَّار من الديار المصرية إلى مكة حرسها الله بالإيمان ، فأخذ السلطان بالحزم وتوجَّه من تعز إلى زبيد في آخر ذي القعدة ، وصدَّر جيشاً إلى البِرْك[1] لعمارته . ولَمّا قضى الحج اتصلت الأخبار بأن الأمير سيف الدين سلاّر نائب السَّلطنة حج بأمراء كثيرين وأنّه أحسن في الحرمين ماشاء الله من الإحسان وتصدّق بصدقات عظيمة . قال مؤلف هذه السيرة : ولقد سمعت وأنا إذ ذاك بمصر أن صدقته التي صرفها على مجاوري الحرمين الشريفين ومن به من الصَّعاليك والفقراء والمذنبين ما ينيف على ست مئة ألف درهم ومن الغلّة الجيّدة المحمولة في البحر من جهة القصير إلى جدّة عشرة آلاف إردب ، وأنّه لم يترك بالحجاز في تلك السّنة من عليه دين حتّى أن الصَّغير من الرجال والنساء إذا عثر قال : يا سلاّر وقاك الله حرَّ النار ، لِمَا دخل في قلوبهم من محبّته وذلك لتصديق قوله عليه السلام : « جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها »[2] .

وهذا الأمير من أكبر أمراء الدولة الناصرية بلغني أن دَخْل إقطاعه وضمانه ومستأجراته وأجرة عقاره بمصر والشّام في كل يوم مئة ألف درهم خاصاً لخزانته خارجاً عن كلفته المختصَّة بحاشيته ، فقبض عليه الملك النّاصر[3] لَمّا عاد قافلاً من

(١) ناحية بين ذهبان وحلي وهو نصف الطريق بين حلي ومكة (ياقوت) .

(٢) أخرجه ابن عدي وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود ورجح البيهقي وقفه .

(٣) هو ناصر الدّين محمد ، حكمه من سنة ٦٩٣ هـ إلى سنة ٧٤١ هـ ، انظر أخباره في كتاب : تاريخ المماليك البحرية للدكتور علي إبراهيم حسن ص ٦٨ ـ ١١٦

الكرك إلى تخت مملكتـه منتصراً على من نـاوأه في سنـة تسـع وسبعين وست مئـة وأودعه مكاناً وحمـاه عن الْمَطْعم والمشرب[١] ، وسمعت فيا سمعت في حـالـه : لَمّـا دخل عليه وجد في فمه شَرْموزة[٢] عاضّـاً عليها من الجوع[٣] ، فسبحـان من هـذا تصريفه في خلقه ، فكان كا قال تبارك وتعالى : ﴿ ماأغنى عنّي ماليه ﴾ .

وفي هذه السنة وصل رجل من التّجـار من بلاد الخطـا[٤] من مـدينـة يقـال لهـا : النسـاء[٥] على طريـق الصين ، وركب من سـاحـل الـزيتـون في مراكب الزوالي كولم[٦] ، التاجر المـذكور يقـال لـه : عز الـدين عبـد العزيز بن منصور الحلبي ورد عدن بمال يعظم شأنه ، وصل صحبتـه من الحرير على اختلاف أنواعـه ثلاث مئة بهار ، البهار ثلاث مئة رطل بالبغـدادي ، ومن المسـك المفرَّغ في أواني الرّصـاص أربع مئـة رطل وخمسون رطلاً ، ومن الفخـار الصِّيني حملـة مستكثرة ، ومن الأواني اليشم[٧] المطعَّمـة بـالـذهب من الصحون الكبـار جملـة جَيّـدة ، ومن الثيـاب المختلفـة الألوان مثل ذلـك ، ومن المماليـك والجـواري جملـة أخرى ، ومن الفضة الماس أرطال جمَّة زعم أنها صدقة للحرمين على يديه من تجار تلك النَّاحية .

(١) قلت : التعذيب بالجوع من أفظع ماعرف عن المماليك في مصر بجـانب جرائم أخرى أعـاذنـا الله من ذلك ، ووقانا فتن الدنيا والدين .

(٢) شرمـوزة أو سرمـوزة : ـ بـالسين ـ هـو خف يصنـع عـادة من جلـد ملـون . انظر (الملابس المملوكية) ص ١٢٩

(٣) انظر هذه الحادثة المؤلمة في السلوك للمقريزي ، ولا يحضرني الآن .

(٤) الخطـا : قبـائل آسيويـة مـوطنهـا الأصلي شمال الصين ثم نـزحت في القرن السـادس الهجري من بـلادهـا فـاستقرت غرب إقليم تركستـان حيث كـوّنـوا دولـة في كاشغر (المغول في التـاريـخ ص ٢٩) .

(٥) كذا ولم يتضح لنا اسم هذه البلدة .

(٦) لم نقف عليها والذي في معجم البلدان لياقوت ومراصد الاطلاع ٦٧٢/٤ . زوالقنج : قال : محلـة بقرية سبح من قرى مرو والله أعلم .

(٧) في (الأصل) : البشم بالباء صوابه باليـاء المثنـاة من تحت ، ويقـال لـه أيضـاً : اليشب : حجر قريب من الزبرجد لكنه أكثر شفافية وهو أخضر وأبيض .

تقرّر عشور ما جاء بـه إلى ثغر عـدن المحروس ثلاث مئـة ألف درهم ، ولَمّـا استقرّ بعدن توجَّه إلى الأبواب الشريفة السلطانية المؤيدية فتلقّاه الكرم المزبري بـأنواع الإنعام ودخل دار السَّلام عند السلام وقـدَّم بين يـدي نجواه هـدايـا عيَّنهـا وتحفـاً استحسنها ، فتقدَّم المرسوم بقبولها بين مَشْدودها ومحلولها ، وأفاض عليه السُّلطـان خِلَعاً نفيسة وأمطاه المراكب السنيّة ، وكتب لـه بـالعوض عَمّـا قـدَّمـه بـأضعـاف ذلـك ، وتقـدَّم المرسـوم الشريف إلى نُـوّاب الثغر المحروس بـإجـلالـه واحترامـه ، وخَيّره بين الظَّعْن والإقامة وإنزاله في إقامتـه دار المقـامـة ، فـاختـار الرحلـة إلى صَوْب مصر ونواحيها ليجدّد عَهْداً بأهله هنالك ، وصادق مقدمه عدن والنـاس في شـدّة القحـط وضيق الحـال ، فَصَرف في تلـك الأزْمـة أموالاً جَمّـة ، سمعت المحقـق للحال : أنّها تنيف على مئة ألف درهم ، وكان كثير التّواضع حسن البشـاشـة طَلْق المحيّا سخيّ اليد لأنّه من بَرّ وأتقى ، وبلغني أنّه بنى مدرسة بالإسكنـدريـة ووقف عليها أوقافاً سنيّة ورتَّب بها مدرسين مدرساً للشافعية ومدرساً للمـالكيـة ، وبلغني أنه لم يعهد في زمن من الأزمان على تعـاقب وصول التُّجـار من البلـدان أنّـه طرق الثَّغْر[1] مثل هـذا التـاجر المعين ، لكنّ سعـادة هـذا السلطـان تسوق إلى ممـالكـه الشريفـة ركائب الخيرات الحسـان ، وكم لـه من سعـادة قرَّبت القـاصي واستنزلت العصم من الصياصي[2] .

وفي هذه السنة اتفق للشريف عمـاد الـدين إدريس وقعـة عظيمـة بينـه وبين الجحافل أبانَ فيها عن همة علوية وشهامة حسنيّـة ، كان جملـة من اجتمع فيهـا من الجحـافل ثمـان مئـة رجل وخمسـة وثلاثون فـارسـاً كلهـا لـوابس للحرب عـوابس وعسكر الشريف مئتـا رجـل وأربعـون فـارسـاً ، حصلت المحـاربـة بينهم وحملت الجحافل على أصحاب الشَّريف حملات كثيرة كادوا أن يفرقوا شَمْلهم ، وتنـاطحت

(١) يعني ثغر عدن .

(٢) القلاع والحصون .

جباه الخيل وتطاعنت الفرسان من قُرب والتقت الميمنة بالميسرة ، واتفق أن الشريف المذكور أحاطت به الرّجالة والخيل فوقع في رقبة حصانه أربع صوائب طعنتان وضربتان فوقع الحصان على ركبتيه حتى بلغت قدم الشَّريف قائماً ، وركض الجماعة الذين كانوا قد تعلَّقوا به وحمل الشّريف حملات مختلفة ، ووقعت في ركبته طعنة وكانت الواقعة وقعة عظيمة سالت فيها مئة وعشر نفوس في ساعة واحدة ، وسلم الشَّريف من هذا الأمر الخطير ، وكرَّ على بقايا الجحافل واستأصل منهم جماعة تخلَّفوا ، وأراد أن ينقذ ابن عمّه حالت إحاطت الجحافل به ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وللشَّريف المذكور قصيدة طويلة من جملتها :

ولو لم تخنّي عند صنوي كبْوة ... من الأحمر[1] الخنّاس مافات مطلب
ولكن خرصان الرماح تشاجرت ... هنالك حتى كاد يؤدى ويعطب
ولو كان فيمن أدركته رماحنا ... صريع لنا ثار يُعدّ ويُحسب
فقد صرعت حوليه سبعين أغلبا ... تهـا داهم في القفر ذئب وثعلب

ولولا سعادة مخدومه السلطان لأمسى شلو الطّعان تنوشه عوامل الخرصان لكن فسح الله في أجله ومَدَّ له في سبب أمله .

ذكر ما اتفق في سنة أربع وسبع مئة

وفي المحرَّم منها توجّه الأمير جمال الدين نور بن حسن من الأعمال الرحبانية[2] مدداً للأمير شمس الدين عبّاس بن محمد وجمال الدين بن حسن بن بهرام لَمّا كانا على صعدة ، فأخرب الأمير شمس الدين عباس زرع الأشراف بصعدة ومخاليفها ودخل علاف ومجز ورتّب ثلاثين فارساً في تعز وثلاث مئة

(١) الأحمر في اللغة من لا سلاح له ، والأحمر أيضاً الموت .
(٢) رحبان : واد عظيم في الجنوب من صعدة بمسافة ٣ كم .

رجل ، ونزل الجوف ، ثم وصل صنعاء وتوجّه [إلى] الأبواب الشريفة ، ولَمّا خلت صَعْدة من العساكر السلطانية جمع آل شمس الدين عساكرهم ونزلوا الجوف وأقاموا بسوق آل دِعام[1] ثلاثة أيّام تجمّعت المخالف[2] السلطانية في الزاهر[3] فكانت لهم معمولة في نعمة[4] .

وفي السنة المذكورة في صفر تقدّم الأمر الشريف بزبيد بالقبض على الأمير ابن أسد الدين محمد بن أحمد بن عز الدين وولده والشريف شكر بن علي ، وأن يلزم أولاده حيث كانوا ، وذلك لما وقع في الخاطر الشريف السلطاني من السّعي عليهم بأنّهم ارتكبوا محذوراً في أمر صعدة وتلّمص وغير ذلك مما أوجب الأدب السلطاني .

وفي السنة المذكورة ، رسم السلطان بتجهيز الأمير أسد الدين محمد بن نور سفيراً إلى الدّيار المصرية فبلغه العلم أن الأمراء ربّما عبثوا بسلطانهم ، فتوقف من إرساله وأمَرَ لَهُ بثلاثة أحمال وثلاثة أعلام وأعاده إلى إقطاعه بأبين .

وفي السنة المذكورة ارتفع الغلاء ورخصت الأسعار في جميع اليمن وزالت الشدّة .

وفي السنة المذكورة قَدِم موسى بن أبي بكر[5] من عمارة البرك ، وكان الشّريف طاهر بن أبي نميّ فَصَله[6] إلى البرك من مكّة شرّفها الله تعالى قاصداً

---

(١) سوق آل دعام : من الجوف .

(٢) جمع مخلاف (معروف) .

(٣) الزاهر : قرية من بلاد الجوف جنوبي المطمة .

(٤) كذا في الأصل والعقود (عمولة في نعمان) .

(٥) في العقود ٢٩٨/١ : موسى بن أبي بكر بن علاء الدين .

(٦) كذا في الأصل والعقود (قد وصله) .

الباب الشريف السلطاني فسارا معاً . فلما بلغا قريباً من اللؤلؤة[1] لقيتهم جهينة[2] ، فانهزم العسكر ، وتُعقّب طاهر بن أبي نميّ فقتل وأخذت أثقالهم وبعض دَوابهم .

وفي نصف رجب من السنة المذكورة عاد السلطان إلى تخت مملكته فأقام بثعبات[3] وحصل عليه بعد طلوعه من زبيد بعض توعّك فأرجف الناس لذلك وامتلأ اليمن خوفاً فَمَنَّ الله بشفائه وإزالة دائه وصان ذاته الشريفة من الآلام وأبقاه عصمة لآل سام وحام ، وكان ذلك في النصف الأخير من شعبان ، فأقام بثعبات إلى رمضان المعظَّم وطَلَع إلى حصن تعز في موكب العزّ وسَرَّ المسلمون برؤيته سروراً جدّد الأفراح وأزال الأتراح .

وفي السنة المذكورة توجّه الأمير أسد الدين بن نور[4] سفيراً إلى الديار المصرية ، والسُّلطان بها الملك الناصر محمد بن قلاون ومدبّراً دولته الأميران سلاّر وبيبرس الجاشنكير بأنواع [التحف][5] السنية من الفضّيات على اختلاف أنواعها من الطشوت والأباريق والصلاحيات[6] والجامر والأكر والقربانات[7] وسواري[8] العود والطيب والقطع الكبار العنبر ونوافج المسك وما عظم شأنه من فخار

---

(١) قرية مندرسة ، قال العقيلي : موقعها الآن جنوبي بلدة درب بني شعيب من المخلاف السليماني . انظر (المعجم الجغرافي ٢٠١/١) .

(٢) قبيلة هناك ، قال القلقشندي في نهاية الأرب ص ٢٢١ : (حي من قضاعة من القحطانية) .

(٣) في مطبوعة العقود : شعبان ، خطأ .

(٤) يرد تارة هذا الاسم في بعض المصادر : بابن بوز بالباء الموحدة من تحت والزاي المعجمة ، ووجدت في كتاب الخيول للمجاهد ذكره بابن لوز باللام المهملة والزاي والله أعلم .

(٥) مطموسة في الأصل .

(٦) مفرد صلاحية : صحن كبير واسع الأعلى ضيق الأسفل .

(٧) في العقود : القرابات ، قلت في اللغة : القربان : الإناء الذي قارب الامتلاء والله أعلم .

(٨) جمع سارية : الاسطوانة .

الصيني واليشم[1] من الصحون والـزبـادي[2] والسكارج[3] ممّـا لم يمكن شرحـه من الحسن ومن الخدم الْحَبَش والقنا الهندي والمراقد الحبشيـة ومن المراينـة[4] المـذهبـة القشيبة ، ومن الشّاشات الرفاع ، والسلطانيات[5] ، ومن الثياب الصينية المذهبة ماعظم شأنها ، ومن الأواني والأطباق والصّنـاديق مملوءة بـالمسـك المفروغ والشـاه صيني والكافور التّازة[6] جملة أخرى ، ومما يتعلّق بجوائح الحوائج خاناه[7] كالفلفل والقرنفل والزنجبيل واللـك[8] والبقم[9] أبهرة كثيرة ، ومن الوحش كالفيـل وحمـار الوحش العنابي والزرافة كلّها مكسوّة بالثّياب الأطلس المطعمـة بـالـذّهب ، ومن الخيل المسوَّمة العربية الأصل اللائقة بحال المرسل إليـه . نقل جميع ذلـك مركبـان عظيمان ، ومثل هذه الهدية لاتتـأخر بين كل عـامين وثلاثـة طلبـاً للمودة والمحبة واستمرار على ما يُعهد من الصحبة[10] ، ولو فصلت هذه الهدية عيـانهـا لأذنت بعلوّ همة سلطانها لأن بها الغريب مما ذكر والعجيب مِمّا سطر ، لكن سـاقهـا مصنّفهـا مساق الإجمال ليعلم مالهذا السلطان من نوال .

---

(١) في الأصل : البشم بالباء الموحدة ، صوابه بالياء المثناة (سبق شرحه) .

(٢) جمع زبدية : صحفة .

(٣) جمع سكرجة : صحفة وهي من الفارسية .

(٤) العقود : المراكب .

(٥) جمع سلطانية صحن كبير واسع الأعلى ضيق الأسفل .

(٦) في العقود : (الكافور التيار) قلت : التازة بالفارسية ، معربة طازة : الصحيح والجيد ، وعليـه كلام العوام الآن .

(٧) الحوائج خانة : هو ما يتعلق بالمطبخ السلطـاني كالتوابل والزيوت والحبوب (انظر مصطلحـات القلقشندي ص ١١١) .

(٨) اللك : قال في المعتمد ص ٤٦١ : هو صمغ حشيشة تشبه المر .

(٩) في الأصل : بالياء المثناة من تحت . قال في المعتمـد ص ٣١ : البقم هو خشب شجر عظـام تنبت بـأرض الهنـد ، والزنج وورقـه مثل ورق اللـوز الأخضر وسـاقـه وأفنـانـه حمر ويصبـغ بطبيـخ خشبه .

(١٠) ولذا يقول صاحب مسالك الأبصار ص ٥٠ : « وصـاحب اليمن يهـادي صـاحب مصر ويـداريـه لمكان إمكان التسلط عليه من البحر والبر الحجازي » :

وفي السنة المذكورة توفيت الجهة المصونة زوج السّلطان ابنة الأمير أسد الدين بن جدّه[1] ، وكانت عنده عزيزة مكينة عظيمة الشأن لأنها كبيرة البيت كثيرة المروءة ، حسنة الشفاعة ، لها الصّدقات الجمّة ، فعزّ عليه فقدها ، وأمر بالقراءة عليها في جوامع سائر مملكته ، وخرج بها إلى ضريحها من تباين[2] حصن تعز تحت البشخاناة[3] الحرير وأمامها ملوك بني الرسول ، وجعل ضريحها في مدرسته السابقة الذكر ، وكان دفنها يوماً مشهوداً وما أحقّها يقول أبي الطيب :

ولو أن النساء كمن عَلمنا لفضّلت النساء على الرجال
وما التأنيث في اسم الشمس نقص ولا التذكير فخر للهلال

وفي السنة المذكورة توجّه الأمير سيف الدين طغريل الخازندار من صنعاء متبرئاً عنها لمعارضة حصلت [بينه و] بين الطّواشي ياقوت متولي الأملاك السّلطانية ، فأبراه السلطان منها وأقطعها ولده الملك المظفّر .

وفي الحجة من السنة المذكورة كانت الوقفة يوم الجمعة وحجّ من مصر خلق كثير وفي جملتهم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير[4] في أمراء كثيرين ، ووصل معهم الشريفان رميثة وحميضة ولدا أبي نمي المقدّم الذكر في القبض عليها ، فلمّا انقضى الحج أحضر الأمير ركن الدين أبا الغيث وعطيفة وأعلمها بذلك ، وأن ملك مصر قد أعادهما إلى ولايتها فلم يقابلا بالسّمع والطاعة وحصلت بينهما منافرة ، وكان بمكة والمدينة بلغ المدّ عندهم الحنطة الجيّدة عشرين درهماً

---

(١) كذا في الأصل والعقود ٣٠٠/١ : بنت الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن الرسول .

(٢) كذا في الأصل وفي العقود : راس .

(٣) قال في شفاء الغليل ص ٧٩ : البشخانة ويقال لها : الناموسية عامية .

(٤) العقود ٢٩٩/١ : الحاسكي .

والذرة ستة عشر درهماً . واستمر حميضة ورميثة في الأمر يظهران حسن السيرة وجميل السياسية ، وأبطلا شيئاً من المكوس .

وفي السنة المذكورة والتي قبلها كان يمضي للسلطان أوقات نفيسة ومهرجانات عظيمة ، وكان يصنع بشعبات دعوة الورد ، فيجتمع إليها أعيان الأمراء والنعم ، ويعدّ لهم الأطعمة النفيسة ويسار بهم إلى المُنْتزهات الأنيقة ويخلع عليهم الخلع البهيّة بما يناسب كل شخص ، ويحضر معهم بنفسه النفيسة ، وفي جملة النّدمان الشيخ عفيف الدين بن جعفر شاعر دولته الشريفة المقدّم الذكر ، واتفق في بعض المهرجانات أنشد بنو حونعة[1] رواة المادح السلطانية قصيدة لابن النبيه أولّها :

دع النوح خلف حدوج الرّكائب وسلّ فؤادك عن كل ذاهب
فما العيش إلاّ إذا ما انظمت بثغر الحباب ثنايا الحبائب
ببيض السوالف حمر المراشف (م) صفر الترائب سود الذوائب[2]

إلى أن انتهوا إلى قوله :

كأن الحباب على رأسها جواهر قد كلّلت في عصائب

فقال السلطان للأديب ابن جعفر : أتعرف يا عبد الله تكليل الجواهر في العصائب ؟ فقال ابن جعفر مجيباً له : لاأعرف العصائب ولا تكليل الجواهر لأنّي من البادية . فأمر السلطان بإحضار طبق من الذّهب الأحمر مرصّع بالجواهر ، وفي وسطه كلابند[3] مرصّع بالجواهر النفيسة من الياقوت الأحمر

---

(١) تقرأ هكذا أو خويعة ، ولعلّهم كانوا نشّاد الحضرة المؤيدية أو أنهم مغنّون .

(٢) ديوان ابن النبيه ص ١٨٧ ط الأسعد .

(٣) لم أقف على هذه اللفظة بعد البحث الطويل وأظنها من اللفظة الفارسية كلاب معرب جلاب (ماء الورد المقطر) وبند (رباط) والله أعلم .

البهرمان ومن الزمرّد الزباني والريحاني[1] ، ومن اللؤلؤ الكبار المنقى ما يساوي مملكة ، فبهت الحاضرون لذلك وعجبوا منه فقال ابن جعفر بديهاً :

أرى المليك كلابنداً جواهره ... فرائد حار عن تكييفها البصر
فاستحسنوا درراً فيها فقلت لهم ... من ذلك البحر تأتي هذه الدّرر

وله وقد أمر السلطان أن تطرح دراهم كثيرة في قعر البركة وينزل الخدم والحاضرون على جهة الدعابة للغوص على الدّراهم فقال :

إن بركة قد طما موجها ... وفي قعرها وَرِقٌ منتثر
فيا ملك الأرض هذي السماء ... وهذي النجوم وأنت القمر

أراد بالسّماء خضرة الماء وصفاه ، وأراد بالنّجوم الدراهم التي في قعر البركة ، وأراد بالقمر السلطان . وله وقد أمر السّلطان الحرفاء[2] أن يعبثوا بعناقيد الكرم ، فقطع عنقوداً كبيراً وحمله بيده ، فلما صار بالقرب من البساط الشريف أنشد :

جاء ابن جعفر حاملاً بيمينه ... عنقود كرم وهو من نعماكا
هذا الدليل بأن نصرك عاجل ... يأتي إليك برأس من عاداكا

وله في الحاج أحمد المطرب المعروف بالحروف[3] وقد حضر المقام الشّريف السلطاني :

---

(١) انظر الكلام على الزمرد الريحاني في (الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني ص ١٦١

(٢) جمع حريف وهو الماهر في صنعته .

(٣) كذا ورد في الأصل بالحاء المهملة ، وأظنه الخروف ، ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة ، والدليل على ذلك ماتفسره الأبيات الآتية ، وكأن المذكور قد استقدمه السُلطان من مصر ، ولا تحضرني الآن (الدرر الكامنة) لأنقل عنها هذا النص فيفهم ، وكثير من المراجع نحتاجها الآن فلا نجدها .

إن أيـــامكم ليُمن وأمن وأمــانٌ في كل بــدو وحضر
هيبةمنك صالحت بين سرحـان[1] وسحـل وبين صقر وكـدري[2]
ومن المعجزات أن خروفاً ترفع وهـــو عنـــد الهِـزْبري

ولـه في الشجر الـذي يصنعـه الشيخ عز الـدين يوسف المـوصلي الشجري من الحرير ويَـزرّه في هيئـة الأزهـار من الـورد واليـاسمين والجلّنـار والشقـائـق وغير ذلك ، وهو بـديع في بـابـه وينظم هـذه الأزهـار الحريريـة على عمود من نحـاس مجوَّف ويكسو العمود حريراً أخضر ، ويـوضـع قعر العمـود أنـابيب ، فترى المـاء يخرج من بين خلال تلك الأزهار ، شعر :

ومـا الشجرات الخضر من عـادة لهـا بـــأن معين المــاء منهنّ ينزل
ولكن من بســط[3] المـؤيــد أدنيت فعلّمهـــا من جـوده كيف تفعـل

وله قصيدة حسنة يذكر فيها حصول العنب ببركـة صهلـة[4] وهي طـويلـة ، وأمر السلطان أن تطرح في البْركة دراهم ، وهذه البركة يَنصَبّ الماء من العين التي تخرج من وسط الحجر ، وفيه من الصفـاء الشـديـد ، حتى إنّ البركـة هـذه عمقهـا مقدار قامة الإنسـان ويمدّ يَـدَه حتى إذا صـار فيهـا المثقـال أو الـدّراهم أو الورقـة المكتوبة ، ووقف على جـانبهـا شخص قرأ الـذي يقرأ جميع المكتوب لشـدّة صفـاء الماء ، وتغزّل شاعر الدولة العفيف بن جعفر فيها فقال :

أيـا شمس القيــان لعـلّ نرقى إليـك فـما سليم هـواك يرقـا
حكاك البـدر لَمّـا حـل وجهـاً وكان سـوار زنـدك حين دقّـا

---

(١) ذئب .
(٢) طائر ضعيف .
(٣) في (الأصل) : بط ، والإصلاح من عندنا .
(٤) قلت : هي المعروفة الآن : من تعز ، وقد ورد ذكرها مع صـالـة منفصلين عنـد ذكر منتزهـات تعز في كتاب (العقود اللؤلؤية) للخزرجي ٣١٣/١ و ٣١٥ فليفهم .

ومـا تشفي الميـاه غليـل قلبي ... فهـل قلبي بمـاء لقـاك يُسْقى
قسوت وقد ملكت القلب مني ... فرقّي للـذي قـد صـار رِقّـا
أيـا ليـل الـوصـال عسى مرد ... بزوره من برزت فعق عقـا[1]
كأن الـورد في خـديـك نبّـا ... بسيف لحـاظـك الساجي بوقـا
ويا صبح الرضا باليُمن قابل ... جبينـاً من هِـزبر الـدين طلقـا
تجـد خير الملـوك أبـاً وجـداً ... ومجـداً ثم فرعـاً ثم عرقـا[2]
ومن دانت لـه الأقطـار عربـاً ... وعجماً ثم غربـاً ثم شرقـا
يـدين لبـأسـه في كل أرض ... وينظر بـاطـل الأحكام حقّـا
ويمـلأ ذكر داود لهـات ... فما منهـا اللسـان يطيق نطقـا
سعـدنـا بـالمـؤيـد إذ نراه ... ومن نظر المـؤيـد ليس يشقى
فأقصر في الورى وأطـل فـأمّـا ... كـداود بن يـوسف ليس يلقى
أقـول لمريـه بـالأمس رامت ... لجمـع كان بين يـديـه فرقـا
دعينـا كي نشـاهـده فقـالت ... أخـذتم حقكم وأريـد حقّـا
فقلت لهـا احـذري من أن ... تضلي لسحب من بنان يديـه غرقـا
فقـد أشبَهتِـه كرمـاً ووفراً ... كتـائب خيلـه رعْـداً وبَرْقـا
فقبّلت البسـاط برش قطر ... وجـادت حـولـه غـدقـاً وودقـا
وحنت بركـة فـاضت فكانت ... من الأمـواج تحت الأفـق أنقى
بهـا الإقبـال ينظر كيف يسقي ... ولكن ليس ينظر كيف يُسقى
وغـاص الغـائصون بهـا فـأبـدوا ... دنـانيراً على البطحـاء تلقى
كـذا كل البحـار تفيض مـاءً ... وبحرك يا مليـك يفيض ورقـا
وشـاذروانـه[3] فيـه صفـوف ... تزاحم في السجـود إليـك سبقـا

(١) في (الأصل) : فعقعاً .

(٢) كذا في (الأصل) .

(٣) عند أهل اليمن : النافورة .

رأينـا حـدّ سيفـك والعطـايـا بكفـك صـوّرا أجَـلاً ورزقـا
فجود يـديـك طـوّق كل عنـق وسيفـك لم يـدع لعـداك عنقـا
فَدُم تبقى مـدى الـدنيـا جميعـاً وينصرم الـزمـان وأنت تبقى

وله في وصف المتنزهات السّلطانية قصائـد مطوّلـة موجودة في ديوانـه ، كان مولانا أمر بجمع شعره فجـاء أربعـة أجزاء ورُتّب مقفى[1] الآن ، وهو في الخزانـة العالية[2] .

وفي السنة المذكورة ورد كاتب هذه السيرة من ثغر عدن المحروس إلى الأبواب العـاليـة يريـد الانتظـام في سلـك الخـدم ، وأن يكون كاتب الإنشـاء ، فحصلت معارضات أوجبت عـدم الاستمرار ، والعمر إذ ذاك ثلاث وعشرون سنـة ، وصنع في ذلك التاريخ رسالة سمّاها بخلاصة الحكم في المفاضلـة بين السيف والقلم[3] حملهـا إلى المقام الشريف السلطاني وتلاها بعد ذلك بقصيدة زائية أولّها :

إذا حلّت أيـــادي البرق رمــزاً على كثر الغمام سقين حرزا
وأمطرت الغيـوم خيـول سيــل على وجـه الثرى يخـزن خـزّا
أثرن نبـــاتـه فكسى ربُـوعـاً تعرّت عن مـــلابسهنّ خــزّا
وبـــاع المشتري لمـــا تـوالت محبتـــه لكف الرّوض بـــزّا
وأطلعت الرّيـــاض نجوم نـورٍ فنعرتهـا أيـادي الشرب حـزّا
ووالت عسكر الظلمـاء هَـزِمـا أخافت من سبـات الفجر وخزا

(١) في (الأصل) : مقفالان ، ولا معنى له .
(٢) للأسف ضاع هذا الأثر النفيس من ديوان عبد الله بن جعفر ، ولعل الأيام تمن علينا بوجوده كما منّت بديوان ابن حمير بعد اليأس من وجوده وذلك عندما نبه على اكتشافه في إحـدى مكتبـات الهند الشيخ العلامة حمد الجاسر في مجلته (العرب) .
(٣) هذه المقامة من كتب المؤلف النادرة لم نقف على نسخة منها ، والذي وقفنـا عليـه من مقامـاتـه رسالة في المفاخرة بين القنديل والشمعدان ، نشرناها ضمن مقامات الأدب اليمني ، فلتنظر .

فحينئــــذ ترى عقــد الثريَّــا	على جيــد الحمــائل قــد تجزّا
فمــا هــذا التــأني يــا نــديمي	لقـد خـالفت إذ خـالفت عجزا
وجــام الترب ينسب للثريّــا	وشمس الراح نحــو الكرم تُعــزا
فـواصلني بهـــا لعــلّ دائي	يــزول إذا شربت الخمر مـــزّا
على نهر المجرّة والـــــدراري	عيـون لهـــا يبـــدين غمــزا
فجرّد جيش لهــوك يــا خليلي	لغــزو غنيمــة من قبــل تغــزا
إذا نبهت ليـــالي الــدهر غنماً	ورُمت بـأن يعـود إليـك عـزّا
أيحسن بــالــزّمــان بــأن أراه	لعقلي بــــالحــوادث مستفــزّا
إذا مــا الــدَّهر طــوّقني بــذل	حلّلت فنــا المـؤيــد مستعــزّا
أخــا العليــاء والملــك المرجّى	وأعظم من حــوى ملكاً وعــزّا
وضرغــامــاً يــؤز بجــد سيفٍ	لــدى الهيجــاء قلب القرن أزّا
ويغمــد سيفــه في كل هــام	ويشهر رمحــه في البحر ركــزا
إذا بعـــد اللئـــام أتم عفــواً	وإن وعـــد الكرام أتم نجــزا
أقــول لصــاحبيّ وقــد أجَــدّا	لتحريكي تعـــزَّ في يعـــزا

وهذا الَّذي حضرني منها ، وفي هذه السَّنة المذكورة كان توجهي إلى الدِّيـار المصرية لَمّا منعت من الصدقات السلطانية ، وأنشدت قول القائل :

أيــا مــاء العذيب وأنت عـذب	تعرض دونــك المــاء الـوخيم(١)

ذكر ماتفق في سنة خمس وسبع مئة

وفي المحرَّم منها أقطع السلطان الأمير سيف الدين طغريل الأعمـال الأبينيّـة ونَزَلها في النصف الآخر منه .

---

(١) نقله عنه الخزرجي في عقوده ٢٦٩/١

وفي آخر الشهر أقطع الأمير ابن بهرام المقدّم الذكر الأعمال الرحبانية وأمر لـه برفع أربعة أحمال من الطبلخاناه ومثلها أعلاماً .

وفي السنـة المـذكورة وصل شمس الـدين أطراف حرض وأفسـد في نـواحيهـا ورجعوا بالحين

وفي السنـة المـذكورة اتصلت الشوائع[1] بخـلاف الأشراف الحمـزيين مثـل ابن وهّاس إليهم ، فجهز السلطان حينئذ الأمير بدر الدين محمد بن عمر ميكائيل أستاذ داره في جيش أجشّ وعسكر لهّام ، سـالت بهم الربى والآكام إلى جهـة صنعــاء ، وأوقف هنـالـك وتم الصلـح بين السلطـان وبين الأشراف ، وأمر بقبض رهـائنهم ورجع أهل مدينة صعدة إلى صعدة وسكنوها .

وفي أواخر شَعْبَان من السنة المذكورة تبرأ الملـك المظفَّر من صنعـاء وتوجّـه إلى حرم أبيه ، وأقطعها السلطان الأمير سيف الـدين طغريل فوقف في ذمـار إلى شهر القعـدة ، وقبض في عرض[2] وقـوفـه حصنـاً من حصـون عبيـدة[3] ، وخرج أستاذ داره لذلك .

وفي الرّابع والعشرين من رمضان المعظم أقطع السلطـان الأمير عمـاد الـدين إدريس الأعمال الأبينية .

وفي السّنة المذكورة أعاد السلطان على الجحافل جوامكهـا وقـد قطعوا منهـا لمدة خمس سنين على جهة الأدب لهم .

وفي السنة المذكورة رجع الأمير أسـد الـدين بن بوز[4] من الـديـار المصريـة

---

(١) جمع شائعة .

(٢) في العقود : مدة.

(٣) من ناحية الحدا . وعبيدة أيضاً عزله من بلاد يريم .

(٤) في (العقود) ابن نور ، وتكرر التنبيه على مثل هذا التصحيف .

ومعه سفير من هنالك بعد أنْ عُومل بما يجب من الإكرام ، واسم السفير مبارز الدين الطوري ، وكان ممتَّع العين فأقام بتعز أيّاماً ، وحضر المقام السلطاني وتلقاه بالإكرام جلالة لمن أرسله ، ثم سار إلى زبيد فأقام بها إلى أن تهيّأ للسفر إلى مخدومه . وفي السنة المذكورة حَجّ من مصر ونواحي المغرب وبلاد العراق والعجم واليمن خلق لا يحصيهم إلاّ الله تعالى واجتمعت ثلاثة ألوية ؛ لواء السُّلطان الملك المؤيد ، ولواء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولواء السلطان رخدانيدا[1] محمد صاحب العراق ، وقامت بِمِنى حفلة عظيمة ، وحَصَل الحرب بين المصريين والحجازيين ، وكان مقدم الركب الأمير سيف الدين أبغية[2] ، وكان كافر النَّفس مُقْدماً على الجرائم سفك من السرو[3] جماعة ووسطهم ، وجعل نحر البدن[4] نحرهم . فنسأل الله يحمينا ويكفينا شرّ ما نخاف ونحذر ، آمين .

ذكر ما اتفق في سنة ست وسبع مئة

وفي السنة المذكورة ملك مولانا السلطان حصن القرانع[5] وهو مزاحم للطويلة[6] يختلف بينهما النشاب والحجر ، وحصل محاربة بين تاج الدين وبين الأمير سيف الدين طغريل على القرانع وشريب[7] ، وكان العاضد للأمير سيف الدين ، شمس الدين عباس بن محمد بن عبد الجليل ، وانكسر تاج الدين وقوي العسكر السلطاني ، وشحن الأمير سيف الدين الحصنين المذكورين بأنواع الشحن بعد أن عمّرهما ، ورجع إلى صنعاء المعمورة منصوراً بسعادة مخدومه .

(١) في العقود ٣٠٣/١ حذابذة فسّره بالشجاع .

(٢) في العقود أنغة .

(٣) السرو : قوم من حمير ومذحج يسكنون نواحي البيضا وما صاقبها .

(٤) جمع بدنة وهو ما ينحره الحاج من أضحية أغنام وأبقار وجمال .

(٥) حصن القرانع : حصن مطل على الطويلة كما هو مذكور .

(٦) الطويلة : مدينة بالغرب من كوكبان بمسافة ٢٥ كم وسفح جبل القرانع .

(٧) في الأصل شريت . وهذا الحصن ذكره الخزرجي ضمن حصون حاشد .

وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ولد للسلطان ولدٌ سمّاه الملك المجاهد[1] . وفي السنة المذكورة خالف ابن أصهب بأصاب ، وأخذ حصن السانة[2] بها ، وذلك في جمادى الأولى ، وهذا الحصن قد نطح النجوم بروقيه[3] استطالة ، ومن أحرز الحصون وأمنعها وأضرّها وأنفعها ، ليس له إلاّ طريق واحدة ، وليس إلى إحراز الغرض منه مساعدة ، فقصده السلطان ببعض عساكره ، وحط على الحصن المذكور وحاصره. ولما حطّ على الحصن المذكور مااستطاع ابن أصهب الإقامة برأس الحصن ، بل ادّعى الطّاعة ووقف على قدم الاستطاعة ونزل على الذّمة الشريفة هو وأولاده وحريمه ، واستعاد السلطان الحصن المذكور ومعه حصوناً أخر ، وانثنى من حصن السانة منصور اللواء مظفراً على الأعداء . ولما استقر بزبيد تقدّمت أوامره بأن تضرب البشائر وتعمل الأفراح ويقام موسم التّهاني في سائر المملكة الشّريفة . لازالت أفراحه تتوالى على توالي الزمان ، وهنأه شعراء دولته ، فمن ذلك قصيدة العفيف ابن جعفر وهي :

جعل[4] الجبال الشُم قاعاً صفصفاً ... من وعده ووعيده ماأخلفا
متقاضياً ميراثه مستشهداً ... سُمْر العوالي والصفيح المرهفا
تغفو عيون الصابرين نفوسهم ... عن نيل ماطلبوا وكلاً ماغفا
جمع الجيوش إلى المغارِ ولو أتى ... للحرب قبل جيوشه فرداً كفا
لا يستقر الدّارعون امامه ... حسب الرماد لعاصف أن ينسفا
دأب المؤيد أن يسّل على العداء ... سيفاً ودأب رقابها أن تقطفا
يرضى ملوك الأرض أيسر حقّها ... منه ويفرح من وفاها باللفا

---

(١) هو الملك المجاهد علي بن داود ، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٧٢١ هـ .

(٢) السانة : من حصون وصاب من مخلاف تقذ .

(٣) الروق : القرن .

(٤) (العقود ٣٠٥/١) : ترك .

لاتغـذب[1] الأيـام ترفـو خرقـه … أبداً ولا الأيـام تُخرق مـارفـا
والعـاقـد الغـارات لم يـك زاجراً … طيراً بمسرحهـا ولا متعيفـا
بخنـائس للحرب بين حنـائس … تمسي وتُصبح للمراكـز عكفـا
قـامت عقـاب المنجنيـق وراءهـا … فـأشـار مـولاهـا بـأن تتخلفـا
جمعت جنـاحيهـا ومـدت عنقهـا … للسّير في أثر الجيـوش[2] وتـزحفـا
نـوء يُجلجـل من زبيـد رغْـدَه الـ … ساري فسار[3] أصاب غيثـاً وكفـا
حتى إذا مـا السيف بـالـغ خطـوة … فيهـا وحثحثـه السبـاق فـأوجفـا
زخرت[4] سيـول من دم لـو أنهـا … مـاء لكان ربيعَهم والصّيفـا
ورأوا من النيران حـول قـلاعهم … عـدد الكـواكب في السماء ونيّفـا
فتـوجّسـوا أن الطبـول زلازل … كادت بهم وبطـودهم أن تخسِفـا
طرحوا نفوسهم على أبوابـه فَعفى … ومثـل أبي المظفّر من عفـا
هربـوا إليـه منـه فـاعتصموا بـه … ولكم أجـار الهـارب المتخـوّفـا
مستشفعين بـآل بيت محمـد … أهـل الشفـاعـة للمسيء إذا هفـا
فـأقـال عَثْرتهم وعـاد بهم إلى … مـا أورثتـه بنو الرسول من الـوفـا
وأتت عقائِل[5] في الحجال فجـاورت … منـه الكريم الطـاهر المتعففـا
من لم يمـد إلى الخنـا طرفـاً ولم … يسحب إلى طرق الفـواحش مطرفـا
يدعون يـا سلطـان عفواً بـالرضـا … فـأجـابهم وأثـابهم وتعطّفـا
[ومهلهل الشرف استجار بـأمنـه … ليسلم الشرف[6] الرفيـع المشرفـا][7]

(١) (العقود) : لاتقدم .
(٢) (العقود) : الخميس .
(٣) (العقود) : فصاب .
(٤) (العقود) : وجرب .
(٥) عقائل النساء : جمع عقيلة الكريمة المخدّرة .
(٦) الشرف من حصون وصاب (سبق) .
(٧) هذا البيت ساقط من مطبوعة العقود .

نظر البــوارق من بــلاد ربيعـــة　　وقـدت فخـاف بلمعهـا أن تخطفـا

وهذه عيونها ، وللشريف عماد الدين[1] أبيات :

نال ابن أصهب عفواً منك نال بـه　　وأيّ عفو مع الذنب الذي اجترحا
قـد كان للبيض في أغمـادهـا حَيْف　　عليـه لـو لم يبـادر نيلهـا افتضحـا
والخيل لو لم يطـأ بـالخـد معتـذراً　　تراب بابك أو طب منه ماطمحـا

وهذه عيونها .

وفي شوال من السّنـة المـذكورة نقض الجحـافل الصلح ، وحصل منهم إفسـاد عظيم لمحاربة الأمير عماد الدين لهم ، وقتل من أعيانهم وجوه الجماعة .

ذكر مااتفق في سنة سبع وسبع مئة

وفي أول هذه السنـة المـذكورة جـاشت[2] النجوع[3] من العربـان بتهـامـة ، فحرّك[4] السلطان إلى جهة حرض من الحلقة المنصورة ثلاثة مئة فـارس ، ففرقت شملهم .

وفي السنـة المـذكـورة هرب الشريف محمد بن أحمـد بن خـــالـــد من زبيـــد والسلطـان يومئـذ بهـا ، ورهينتـه مستمرة بـزبيـد[5] وفي السنـة المـذكـورة مَلِـك السلطان شيعان[6] وأخذه من الأمير تاج الدين .

---

(١) إدريس بن علي (سبق) .

(٢) (العقود) : جاءت .

(٣) (النجوع) : بطن من حمير .

(٤) في (العقود) : فجرد . ولعله تصحيف في مخطوطتنا .

(٥) في (العقود) : وترك رهينة امه وأخته .

(٦) شيعان : قرية في سنحان جنوب شرق صنعاء بمسافة ١٨ كم . وفي (العقود ٣٠٧/١) : سبعان بالسين والباء الموحدة .

وفي السنة المذكورة توجه الأمير سيف الدين طغريل لحرب تاج الدين ، وسار معه بالمنجنيق لرمي عزان وأكن ، فلما سار التقى بتاج الدّين وابن أخيه علم الدين أسفل عقبه بكر ، فاتفقوا على الصلح ، وقربوا من الخدمة الشريفة وحلفها على ذلك وخلع عليهما ، ورجع إلى محطته ومعه حمزة ، وعند الصباح سيّر الأعلام السلطانية المنصورة ، فطلعت حصن بكر ، وخفقت ذوائبها بشمخر الحصن طاعة للسلطان ، وانصرف من عند الأمير بالخلع السنية والمراكب النفيسة ، وانعقد الصلح بينه وبين السلطان خمس سنين . وتوجّه الأمير سيف الدين طغريل إلى الباب وصَحبته الأمير علم الدين حمزة بن أحمد صنو[1] تاج الدين ، وهو قط ماوطئ أبواب الملوك وصحبته وَلد أخيه تاج الدين عبد الله بن محمد وجماعة من العرب .

وفي السنة المذكورة بدأت من الأمير سيف الدين سَلار نائب السلطنة نكتة غير صالحة ، وذلك أنّه خاف على زوال أمره فاعتمل حيلةً ، وذلك بأن حسن للأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أخذ البلاد اليمنية ، وذلك بأن يتوجه إليها هو بنفسه وبمن معه من عسكره ومن يقول بقوله ، فساعده الأمير في الظاهر دون الباطن وشافها الملك الناصر محمد بن قلاوون بذلك ، فساعدهما على مقصدهما ، لعلمه بأنه إذا أزال أحدهما عما هو عليه استضعف الثاني واستبد بالأمر ، فإنّهما كانا لا يمكنانه أمراً يريده .

ولما علما منه رغبةً إلى ذلك ، فَرِح سلار لأنه كان يخشى تغير الحال ولم يساعد خيفة من تضعضع حاله . واستقر الأمر على إظهار الحركة إلى اليمن ، وحصلت بمصر أراجيف كثيرة ، وتقدم عز الدين شاد الدواوين المعمورة إلى جهة قوص[2]

---

(١) في (العقود) : صهر ، خطأ .

(٢) قوص : مدينة واسعة هي قصبة صعيد مصر بينها وبين قفط فرسخ (مراصد ١١٣٣) .

لعمارة المراكب بالقصير[1] ، وبلغني عن المحقق للحال أنه بَنى مراكب تنيف على خمسين ، فقدّر الله موته وموت أولاده وعائلته ، ولم يبق بداره أحد ، ورجع سلاّر عن ذلك المقصد ، ونظروا أنَّ تأخير هذا الأمر لا يتأتى لهم إلاّ بوجه ، فأشارا بأن يحضر إلى مقام الملك الناصر القضاة وأعيان الفقهاء ومشائخ الخوانق والزّوايا وأرباب الخير والصّلاح بالمصاحف ، وأعلموا الملك الناصر أنَّ هذا الأمر لا يحل الإقدام عليه ، لأن اليمن بلاد الإيمان وبها العلماء والفقهاء والصلحاء وأرباب الخير ، وملكها ثابت الولاية مستمر الحكم قد انعقد الإجماع عليه ، والبغي على من يكون بمثل هذه المثابة عاقبته وخيمة ، فَرجع عن ذلك الأمر وجعل ذلك حجةً على رجوعه من مقصده ، ولولاه لفعلوا وصنعوا ، وكان ذلك بمسعى بيبرس الجاشنكير مخافةً على نفسه . ولما علم السلطان ذلك منع الكارم[2] تلك السنة حتى وصل الرسول إليه بما وصل ، واستقرت الأمور على تسفير رسول ومتعمم[3] . فكان السفير والرسول رجل يُسمى السَّغدي مملوك الملك الناصر ، وكان المتعمّم القاضي شمس الدين محمد بن عدلان[4] أحد القضاة بالدّيار المصرية ، ومضمون الرسالة التي توجها بها تقرير ما كان أشاع بالديار المصرية وأنه رجع عنه ، وفي خلال ذلك الرغبة إلى الصّلح . هذا ما بلغني وأنا إذ ذاك بالقدس والله أعلم ما كان باطناً على ألسنتهم ، ثم توجه الرسولان إلى بلاد اليمن فحضرا بالمقام الشريف السلطاني وهو مريض لا يستطيع الكلام ، واتفق للأمير المذكور وجَع أفضى به إلى الموت . وكانت وفاته في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وسبع مئة بزبيد ، ودفن بظاهرها . وأعاد القاضي شمس الدين إلى الديار المصرية وعلى يده

---

(١) القصير : قرب عيذاب بينه وبين قوص قصبة الصعيد خمسة أيام (مراصد ١١٠٣) .

(٢) هم تجار البهار القادمون من مصر .

(٣) أي لابس عمامة ، يعني : فقيهاً .

(٤) لم يذكر هذا الرجل ابن تغري بردي في النجوم الزّاهرة عند إيراد هذا الخبر ج ٢٢٦/٨

جواب ما جاء فيه . ولم تزل سعادة مولانا السلطان الملك المؤيد عالية على مرّ الأزمان قاهرة بآرائها أرباب الشجاعة ، فالرأي قبل شجاعة الشجعان[1] .

ذكر ما اتفق في سنة ثمان وسبع مئة

وفي النصف من صفر من السنة المذكورة كان فراغ قصر السلطان بثعبات المسمى بالمعقلي ، والقصر المذكور قصرت المحاسن على نواحيه ، وأطلع الإجادة من أفق معاليه تكون من رخام ومن نضار وبُهتت عند رؤيته الأبصار ، تدبجت رياض رخامه ، وانفتحت أزهار كمامه ، وبدت مصبّغات سقوفه ، مشرقة الألوان ، لابسة حُلَل العَسْجد والعِقْيان ، سمَا فليس له في شكله نظير ، وعلا فلا شبيه بالخَورنق ولا السدير ، أجمع أرباب اختراق الآفاق أن لا نظير له في مِصْرهم وشامهم والعراق . وصورة بنيانه مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً ، بسقفين مذهبين بغير أعمدة في مثل هذا الطول ، بأربع رواشين[2] وبين يديه بركة طولها مئة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً ، على حافتها الأوز من الصّفر الأصفر ترمي بالماء من أفواهها ، وشاذروان قبالة المجلس بعيد المدى ينصّب ماؤه إلى البركة ، تخاله عند انصبابه كاللّوح من البلّور لا يمكن التعبير عن حسنه ، وفي المجلس المذكور طشتان من الرخام حلزونيان الشكل ترى الماء يدور في جداولها ديوان[3] عجيباً . وفي صدر الملك[4] شبابيك تفتح على بستان عجيب المنظر بديع المنظر وحسن المخبر ، وكذا الروشن الذي به ، حدّث عن

---

(١) من بيت للمتنبي تمامه : هو أوّل وهي المحل الثاني

(٢) جمع روشان ، سبق ذكره ، وهي بناء خارج عن البناء كالشرفة .

(٣) (الأصل) : ديران بالراء المهملة .

(٤) كذا في (الأصل) ، وفي (العقود) : المجلس ، وهو الأصح .

جماله ولا حرج ، جاوبت قَيْناتها سواجع الطير بخفيف الرّمل[١] وثقيل الهزج[٢] . أمر السلطان عند فراغه بعمل فرحة عظيمة الشأن ، لا يرسم بمثلها إلا من بهرة عظيمة من السلطان ، حضر هذه الفرحة أعيان الناس والأمراء والوزراء والفقهاء وأعيان الدّولة على اختلاف طبقاتهم ، والعامة من أهل البلد أجرة[٣] ذلك والسّلطان رحمه الله ينظر إليهم من الطبقة الثانية ، وأمر بإفَاضة الخلع على أعيان الناس ، وأجرى من بحر كرمه لهم نوالاً وبلّغهم من سببه آمالاً ، وبرز الناس من ذلك المقام الشّريف كالرياض المدَبّجة والأزهار المتأرجة . فكم لهذا السلطان من سعادة قضت له ببلوغ الإرادة ، وقام الشّعراء بالمدائح ، فمن ذلك قصيدة العفيف بن جعفر وهي هذه :

هُنيت قصراً على كل القصور سما	يا حبّذا برج سعد فيه بدر سما
بنيته مستَجداً تسْتجد به	نصر من الله قد أجرى به القلما
ويلتقي اليمن والأمن المقيم به	والخلد والعز والأفراح والنعما
هل في الخلافة آيات تشاهدها	وفوق سقف ولا شيء به دعما
وأبصر التبر مبذولاً لطالبه	فنال من موجديه ما به زعما[٤]
بين الحدائق والأعناب قد نشرت	منها ثياب تلف الوهد والأكما
كأنما عاد غمدان كبنيته[٥]	وأظهر الله من أستارها إرما
كأن أربعه الجوزاء رواشنه	والجركتان كأن الفرقدين هما

---

(١) الرمل من بحور الشعر : وزنه في الدائرة (فاعلاتن : ست) ومنه قول أبي الطيب : يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي

إنما بدر بن عمار سحاب ... هطل فيه ثواب وعقاب

(٢) الهَزج : بحر من الشعر يشترك فيه العرب والعجم وزنه (مفاعيلن ست مرات) .

(٣) كذا في (الأصل) و يعلم أجرة البناء في ذلك القصر ، والله أعلم .

(٤) (العقود ٣١٢/١) ، فنال من دونه ذوباً به رقماً .

(٥) (العقود) : كبدئه .

بين الشبيهين شاذروان قبلته هما الجناحان وهو النسر بينهما
تظل منه صفوف الماء ساجدة مؤديات لسلطان الورى خدما
إلى سواقي رخام حول فسقية[1] فأعجب لجامد ماء فيه ذائب ما[2]
وللخورنق[3] حين المعقلي بدا كمثل ضد إذا قابلته[4] انهزما
لم يستطع لوقوف في مناظرة أمامه بل تولى عنه محتشما
كأنه رب جيش قد طلعت له ففرَّ منك بروح منه مغتنما
فحله في سعود في علو يد في رفعة من بقاء ليس منصرماً
أحييت من يوسف السامي مآثره فمذ وجدت بحمد الله ما عدما
في حقن كل دم أو كشف كل غما أو ريّ كل ظمأ أو منع كل حمى

وهذه عيونها ، ولكاتب هذه السيرة هذه القصيدة في المتنزهات السلطانية يذكر في جملتها المعقلي وهي هذه :

دع رامة الوادي ودع سمراتها واترك بيوت الشعر في أبياتها
والحظ منازل آل جفنة في العلا من رأس صهلتها[5] إلى ثعباتها
تجد القصور الشامخات على السها شرقاً تريك العز من شرفاتها
تلك الجنان أما ترى أنهارها قد أثمرت[6] بالطيب عن ثمراتها
تجلى زواهرها ويُشرق زهرها وكأنها الأقمار في هالاتها
مثل المجرة في انتظام قصورها أين المجرة من نما زهراتها

---

(١) الفسقية : الحوض والكلمة من اللاتينية .
(٢) في (الأصل) : كيف ذا برما .
(٣) الخورنق من قصور الدولة في ذلك الوقت .
(٤) في (الأصل) : كان فأتينه ، والإصلاح من (العقود) .
(٥) هي صهلة سبق ذكرها .
(٦) (العقود) : أعربت .

برزت بها الأغصان شبه عرائس		نظمت عقود الزهر في آياتها
في كل عود من سواجع طيرها		عود يريك اللحن من نغماتها
فخرت به ثعبات أمصار الورى		بجميل منظرها وجل صفاتها
وسمت بقبتها[1] وحسن نباتها		وتسلسل الأنهار في بحراتها
فلذابها الطاووس فرق ريشه		فشياته في العين مثل شياتها
ماشعب بوّان وغوطة جلق يوماً (م)		بأزهى من بها غوطاتها
بنيانها من عسجد ومياهها		من فضّة تجري على حافاتها
وبها مشيد المعقلي فكم به		من صنعة فخرت بحسن ثباتها
قصر يقصر عن لحاق كماله		باهي النجوم إذا سَمَت بسماتها
هذه المنازل لامنازل غيرها		في حسنها الباهي وفي حسناتها
فلك به الملك المؤيد طالع		كالشمس كاشفة دُجى ظلماتها
ملك له الأملاك خادمة على		مجرى بما يجتاز في حركاتها
أيّامه للقاصدين مواسم		وبواسم عن فضلها وهِبَاتها
متعود بذل النوال لقاصد		والنفس جارية على عاداتها
ملك له في العلم أوفى غاية		أربت على الأفلاك في غاياتها
[بدر الملوك أبو المظفر في العلا		لما علت هماته هماتها][2]
حازت مناقبه شتات فضائل		فلذاك أضحى جامعاً لشتاتها
تلقى أعاديه كتائب جيشه		والنّصر معقود على راياتها
لم تلف أن عاهدت ضوء جبينه		خططاً من الأيّام في نكباتها
أيّامه مخلوقةً لهباته		مقصورة أبداً على لذاتها

وهذا عنوان القصيدة ، وعند الفراغ من إنجاز هذا القصر المبارك ، أمر ببناء

---

(١) (العقود) : بعينيها .

(٢) ساقط من (العقود) .

قصر ثانٍ وسمّاه بالمنتخب في بستان صالة بديع المباني مستغن بحسْنِه عن الأغاني ، ليس له في شكله ثان .

وفي السنة المذكورة توجه الركاب السلطاني في رابع جمادى الأولى إلى جهة زبيد ، ووقف بها نصف شهر وتوجّه إلى المهجم ، فأقام بها إلى التاسع عشر من رجب ، وسار إلى جهة حجة يقيم على أعداء دولته بالانتصار عليهم الحجة ، وذلك بمن معه من العساكر ووجوه أمرائه ، ورَجَع من حجة يوم السبت تاسع عشر شعبان في السنة المذكورة بظفر ودخل المهجم .

وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال ، وصل الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحي بن حمزة إلى الأبواب الشريفة ولم يطأها قبل ذلك ، والمذكور من أعيان الشرفاء ورؤسائها ، وممن له الصورة الكبيرة في قومه صاحب الحصون الغربية ككحلان والطويلة وجماعة من الحصون الصّغار ، فعامله السلطان بإنعامه وأفاض عليه خلع إكرامه ، وتوجه الركاب الشريف إلى صوب البحر فركب الفيل وأردف الأمير تاج الدين وراءه فارتاع قلب الشريف تاج الدين لذلك ، ولم يقصد السلطان بإردافه إلا ليعلمه أنه قوي الجنان ليس من قبيل الجبان ولا يهوله ماعظم من الحيوان ، وقد حضر لي حيث سمعت هذه النكتة ثلاثة أبيات وها أنا مثبتها في السيرة :

الله أولاك ياداود مكرمة ... ومعجزاً ماأتاها قبل سلطان
ركبت فيلاً فظل الفيل ذا رهج ... مستبشراً وهو بالسّلطان فرحان
لك الإله أذل الوحش أجمعه ... هل أنت داود فيها أم سليمان

وعاد السلطان من صوب البحر إلى زبيد ، وتوجه منها إلى قبة العز من تعز ، والنزهة في قصور ثعبات وقراضة وسهلة ، ورأى ملكاً كبيراً وجنّة وحريراً ، ونظم الأمير عماد الدين[1] أبياتاً يهنئ السلطان ويذكر النزهة ،

(١) يعني عماد الدين إدريس (سبق) .

ودخول أول عشر ذي الحجة وهي هذه :

تَهْنى بـك العشر الكريمـة والشهر … وتـزهـو بـك الأيـام والملك والـدهر
وبـاليُمن والإقبـال حلّت ركابكم … بحيث استقر الملـك والنهي والأمر
سمت ثعبـات فـوق كيـوان رتبـة … وطـالت على الآفـاق وابتهج القصر
وأشرق نـور المعقلي كأنما … تبـدّى لنـا من بين أركانـه الفجر
وقـد كان ظن الهجر لمـا رحلتم … ورام اصطبـاراً وهـو ليس لـه صبرُ
فلمـا أتت منكم[1] بشـائر حجـة … ومـا فعلت فيهـا صـوارمـك البتر
تسلى عن البعـد الملم وسره … وشـاهـد فيـك العـز والفتح والنصر
وحين بـدا فيـه جبينـك مشرقـاً … ولاح ضيـاء منـك يحسـده البـدر
زَهَى حينما حـل ابن جفنـة صـدره … ولاغرو[2] أن يزهو بك الدست والصدر
لعمري إن آنستمـوا عرصـاتـه[3] … فمـا رضيت بُعْـدأ تهـامـة والبحر
ولا يئست منكم أبَـاطـح مكـة … ولا زال مشتـاقـاً لـك البيت والحجر
وفي كل أرض من سطـاك مخـافـةٌ … وفي كل قلب من مهـابتكم ذعرٌ
وفـوق محـل الشمس قـدراً ورفعـةً … ضربتم رواق الفخر فـاتضـح الفجر
وقلـدتم كل الأنـام صنـائعـاً … فمـا أحـد من رق إحسـانكم حُر
فـلا زلت للـدنيـا وللـدين بهجـةً … ليـاليكم زهرٌ وأيـامكم غرٌ
تجـدد في الأيـام كل مسرة … تـدوم وتبقى مـا لآخرهـا حصر

وفي السنة المذكورة توجّه الملك النّاصر محمد بن قلاوون إلى صَوْب الشام يظهر الحج إلى الحجاز الشريف من جهة فعلة[4] الكرك ، وساعده على ذلك

---

(١) ساقط من (الأصل) .

(٢) ساقط من (الأصل) .

(٣) (العقود) : غرضاً به .

(٤) كذا (بالأصل) ، وأظنها تصحيف : قلعة .

الأميران سلار وبيبرس المقدما الذكر ، وصحبته شعار السلطنة ونظام المملكة من الحاشية المعدودة لسفر الصحبة ، وفي نفسها منه أشياء وفي نفسه منها أشياء ، وما أمكنه الإقدام عليها لتمكنها في الملك ، ولما جازاه في الممالك ، وكان الجيش بكماله طوع إرادتها ، ولم يمكنها الإقدام عليه مخافة أن ينخرق السياج ، فلما قصد الحج مخادعةً لها رغبا إلى ذلك لتنعقد الكلمة على أحدهما للملك من غير سفك دم ، وعلما أنه إذا خرج على هذه الصُّورة لا يمكناه من عوده إلى كرسي مملكته وأنها يعينان له بعد الحج فعلة[1] يأويها فلما صار بالكرك أخرج من بها من النصارى وأمر نائبها بالتوجه إلى الديار المصرية ، وخرج بخلع نفسه وجهز من كان صحبته من الحاشية ، ولما علم الأميران بهذا الحال وقرؤوا كتابه المصرح فيه بخلع نفسه[2] انعقد المشور من أرباب الآراء على ملك يجعلونه عوض الملك المذكور ، فانعقد المشور على الأمير ركن الدين بيبرس الجَاشنكير بأنه السلطان ، فركب بأشعار السلطنة وتلقب بالملك المظفر ، وبسط لسانه وقلمه في المملكة ، وأقام ناظراً على الممالك شخصاً يقال له تاج الدين سعيد الدولة ، فعامل الناس بالقسوة ، فنفرت قلوب الأمراء منه ، وسار جماعة من الأمراء الكبار أصحاب الطبلخاناه مهاجرين إلى الكرك .

ولما علم الملك الناصر أن قلوب الأمراء والناس غير راضية بالجاشنكير كتب إلى سائر الممالك الشامية بإجابة الدعوة له ، فتبادروا إليه زرافات ووحداناً وأظهروا محبّته سِرّاً وإعلاناً ، وتوجه من الكرك إلى دمشق في جملة من مماليكه . ولما صار بالقرب من دمشق تلقته الأمراء الألوف[3] بالعساكر وشعار السلطنة ، وسار طالباً للديار المصرية ، فلما صار بالقرب من غزة جرّد الملك المظفر بيبرس

---

(١) كذا ، وهذه كالسابقة .

(٢) أورد نص هذا الكتاب صاحب (تاريخ المماليك البحرية ٩٢) .

(٣) أمير ألف من ألقاب ضباطهم العسكرية في ذلك الوقت .

الجاشنكير أكثر العسكر المصري صحبة الأمراء الذين من جهته ، فخامروا[1] عليه وساروا إلى الملك الناصر ، وتبع العسكر الأمراء ، فخاف الملك المظفر خوفاً شديداً وخَلَع نفسه من الملك ، وكتب إلى الملك الناصر كتاباً يعرفه أنه كان نائباً له وأنّه حفظ له نظام البَيْت المنصوري ، ولم يثق بالملك الناصر فَعَمد إلى الخزائن ليلاً وأخذ منها جملةً من الذهب المسكوك ، وبلغني من المحقق للحال أنّه قسمه بين مماليكه بالأقباع[2] وتوجه إلى صعيد مصر في ذويه . وعاد الملك الناصر إلى كرسي مملكته في يوم عيد الفطر سنة تسع وسبع مئة ، واستمر له الأمر وفرّق أعاديه شَذَر مَذَر .

وفي السنة المذكورة كان الحاج ضعيفاً من جهة مصر والشام لحصول هذه النكبة ، والأميران بمكة حميضة ورميثة ، وظهر منهما من التعسّف ما لا يمكن شرحه .

ذكر ما اتفق في سنة تسع وسبع مئة

وفي السنة المذكورة تقدم المرسوم السلطاني إلى الأمير عماد الدين إدريس بالتوجه إلى صوب الشرفين[3] لاستفتاحها بعد أن استخدم له مذحج وصحبته جماعة من العسكر ، وتوجّه الأمير المذكور ، فطلع بالعسكر من الظهيرة[4] نحو الشرف الأعلى واستولى [على] جبل[5] سعد ببلد الجبر[6] وحصن القاهر ببلد

(١) خامروا : خادعوا .

(٢) جمع قبع : وهو غطاء للرأس (الملابس المملوكية ٧٧) .

(٣) الشرفين : من بلاد حجة .

(٤) كذا في (الأصل) ومطبوعة (العقود ٣١٦/١) ، وانظرها أيضاً في (غاية الأماني ٢٦٧) .

(٥) (العقود) : بلد .

(٦) في (الأصل) : الحصر ، والإصلاح من (العقود) .

المحابشة[1] ، وأخذ رهائن أهل الشرفين ، وتوجّه إلى الشرف الأسفل وحطّ بقلحاح[2] ، وتسلّم ذلك اليوم حصن القفل ، وكان يومئذ بيد ابن مقرعة مولى الشّريف إبراهيم بن قاسم ، وجمعت عساكر الشّرفين مع العسكر السلطاني ، فكان الجميع خمسة آلاف ، فقصد الأمير عماد الدين[3] بالعساكر المذكورة جبل الشّاهل وهو من أحرز الجبال وأمنعها ، وكان عند الشريف يحيى بن أحمد القاسمي يقاتل منه ، فجعل الشريف عماد الدين بني عمه في عسكر العرب أول الناس ، وسار بالعسكر السلطاني في آخر الناس ، فلم يلقه[4] دون حصن أقتاب[5] أحدٌ فحط عليه وأخذه واستولى على الناصرة[6] ، واستولى على الشرف الأسفل بكماله ، ولم يبق إلا حصن المشوكة[7] للأشراف أهل جبل حزام ومنهم بالباب محمد بن علي وأخوه يطلبان أن يبيعا على السلطان الحصن المذكور ، فحط الأمير عماد الدين عليه وأخذه على مصالحة ألفي دينار وطالع العلوم[8] الشريفة ، فعند وصول الرسول وجد الصّاحب موفق الدين قد عقد مجلساً لشراء الحصن المذكور من الشريف محمد بخمسة آلاف دينار وكساوي وخيل ، فلما فضّ السلطان كتاب الشريف عماد الدين ، ورأى أنه يريد أخذ الحصن المذكور بألفي دينار لا غير ، سُرّ بذلك وأمر السلطان الصاحب بنقض المجلس وذلك بسعادة هذا السلطان .

وفي السنة المذكورة عدا الأكراد بذمار على الأمير سيف الدين طغريل المقدم

---

(1) مطبوعة (العقود) : الحاشبة ، خطأ .

(2) في (الأصل) : ملحاح ، والإصلاح من (العقود) و (الكنز) .

(3) هو عماد الدين إدريس بن علي .

(4) (العقود) : يلقهم .

(5) في (الأصل) : قتاب ، وما أثبتناه في (الكنز) لصاحب الحادثة نفسها .

(6) من بلدان تلك الجهة زارها الأديب أحمد بن محمد الحيمي ووصفها .

(7) في (العقود ٢١٧/١) : الشوكة ، وما أثبتناه في (الكنز) .

(8) (العقود) : وطلوع الشريفين من الباب .

الذكر ، وكان قتله يوم الإثنين السادس عشر من ربيع الآخر ، وسبب ذلك أن الأكراد توهّموا أن الأمير يريد القبض عليهم من المدينة ، فقصدوا عسكر صنعاء فعقروا خَيْلهم وساروا نحو القصر الذي به الأمير سيف الدين وأخذوا الإصطبل الذي له ، وحالوا بينه وبين مراكيبه وسألوه الخروج إليهم على ذمة ، فلما امتنع حصروه بعد طلوع الشمس فخرج إليهم على ذمتهم ، فقتلوه وقتل معه صهره وهو أستاذ داره وكاتبه ووالي ذمار ونقيبه وأربعة من مماليكه ، فعزَّ وقوع هذا الأمر على السلطان ، ولكن لامفرَّ من قدر ، ولما وصل العسكر إلى الباب الشريف وقد فات عليهم مافات من خيلهم وعددهم وأثاثهم ، تقدَّم المرسوم لجبرهم وأن يعوّضوا ماذهب منهم ممّا أخذ الأكراد وأمر السلطان بتجريد عسكر جرار صحبة الأمير شجاع الدين عمر بن القاضي العماد وهو يومئذ أمير جاندار ، وتقدَّم المرسوم أيضاً إلى الأمير شمس الدين عباس بن محمد إلى جهة صنعاء من طريق تهامة ، وتوجه معه بمال جيّد ليستخدم به العساكر ، فتأنّى الأمير شجاع الدين في طريقه حتى خرج الأمير شمس الدين عبّاس بالعساكر من صنعاء ومعه أعيان الأشراف ووجوه مشايخ العربان ، وفي جملتهم علم الدين حمزة بن أحمد والأمير ابن وهاس ، وصاحب ثلا وهمدان .

وكان دخول الأميرين ذمار في يوم واحد ، وانحازت الأكراد بجملتها إلى الوادي الحار ، واستولوا على حصن هِرَّان ورتّبوا فيه جماعة وشحنوا فيه ما يكفيهم ، فقصدتهم العساكر إلى الوادي فقاتلوهم ثلاثة أيَّام وقتل من الأكراد ثلاثة أنفار وأخذت خيلهم ، ثم تفرَّقت الأكراد في كل ناحية ، وأخرب العسكر السلطاني أموال الفضل بن منصور وأصحابه ، وعاد العسكر إلى ذمار ، فتوجَّه الأشراف إلى صوب بلادهم ، وأقام الأميران بذمار ، ووصل إلى الأميرين من أخبرهم أن بعض الأكراد وأكثر حريمهم وما أخذوه على طغريل في مصنعة عبيدة ، وأن ليس فيها من الماء ما يكفيهم ثلاثة أيام ، فبادر الأميران لذلك

وحطَّا عليها وحصراها حصاراً شديداً ، وأقامت المحطة عليها ثلاثة أشهر إلى نصف رمضان ، وأنفقت عليها الأموال الجليلة ، ورأوا أن محاصرتها لاتجدي وأن الغرض الأكبر استئصال شأفة الأكراد ، وبلغ الأميرين في أثناء الحصار أن الأكراد يكاتبون ابن مطهر[1] ويكاتبهم وأنّهم قد اجتمعوا في بلاد بني شهاب ، فعند ذلك ارتفع الأميران من المحطة ، وسار الأمير عبّاس بعسكر صنعاء إلى صنعاء ، ثم اجتمع الأكراد إلى الإمام ابن المطهر ، وخالف بنو شهاب وأهل الحصون وقويت شوكته ، وقصد حصن ظفار وحطّ في حدّة فقاتل في صنعاء ، ووقع حربٌ عظيم على باب صنعاء ، ولم يكن بها إلاّ الأمير شمس الدين عباس في جمع قليل من عسكره ، فما قصَّر وسدَّ البلد حتى تواصلت إليه عسكر السلطان ، وابن مطهر مقيم في حدة وظهرة بلاد بني شهاب ، فلما بلغ السلطان ذلك بادر بنفسه النفيسة وطَلَع نحو صنعاء مجثاً . فلما وصل إلى ذمار جَعَل رحلته من ذمار صبحاً فأمسى على باب صنعاء سراً .

وفي السنة المذكورة انتقل [إلى رحمة الله] الفقيه رضي الدين أبو بكر محمد بن عمر[2] بزبيد ، المقدَّم ذكره المنوّه على جلالته وقدره وفضله ، ورثاه الشعراء ، فمن ذلك قصيدة العفيف بن جعفر وهي هذه :[3]

يحاط سماكم أن تمديد الدهر ... إلى ماحوته من كواكبها الزهر
ويحرس أن تعيا صرف نائب ... بسرأييكم فهـــو أينما سِرّ[4]

(١) هو الإمام المهدي محمد بن المطهر حكمه سنة ٧٠١ هـ ، ووفاته سنة ٧٢٩ هـ ، من مؤلفاته (المنهاج الجلي شرح مجموع الإمام زيد بن علي) وغيرها ، انظرها في كتابنا : (مؤلفات حكام اليمن) .

(٢) هو اليحيوي أخو الموفق الوزير ، وصديق المؤيد (سبق ذكره) ، انظر ترجمته في (العقود ٣٢٠/١) .

(٣) في نص القصيدة خلل بيّنٌ ، لم نوفق بالعثور على غيره لنقارن بينهما .

(٤) كذا في الأصل .

ويحمون في كل الخطوب فما انتهت عليكم خطاها في مساء ولا فجر
فصبراً على ما كان يا ابن محمد على أنه صبر أمرٌ من الصبر
فإن كنت مرزوءاً بأعظم من برا وأعلم من يقري وأكرم من يُقْرى
سيبكيه من لم يبكه اليوم في غدٍ ويفقده في وقت ملتبس الأمر
ويا قاطعي أرض المفاوز بلّغا إليّ من بأقصى الأرض في البر والبحر

عزاء إلى الإسلام في موت قطبه فموت أبي بكر كموت أبي بكر
وماسيق إلاّ رحمة لتهامة لفك ذوي الجلا وعتق ذوي الوزر
وإن كان لا تخلو الأقاليم كلّها بما حملته الرِّيح من ذلك الأثر
سلام وإلمام وروح وراحة على الطلعة البيضاء في الحلل الخضر

وهذه عيون القصيدة . وفي هذه السنة المذكورة توفي الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيي بن حمزة المقدّم الذّكر .

وفي أول شوال خالف الأمراء آل شمس الدين بصعدة ، وأخرجوا إليها الكردي منها وسيَّروه على طريق حرض ، فغضب السُّلطان لذلك ، وجهّز ولده المظفر والصَّاحب موفق الدين نحو صنعاء . فلمَّا وصل الموسعة بلغ السُّلطان قوة خلاف الأشراف فتوجَّه بنفسه النفيسة بعسكره اللُّهام إلى صوب صنعاء ، فدخلها يوم الخميس الثالث والعشرين من شوال من السنة المذكورة ، فأقام بها أيَّاماً ووصله الأميران حمزة بن أحمد ، وابن وهَّاس وغيرهما من كبار العرب والأشراف ، وجهّز السلطان ولده المظفر إلى قاع بيت الناهم[1] فحطَّ به يوم الاثنين السادس من ذي القعدة ، ولوقته سار إلى بيت حَنْبَص فاستولى عليه ، وظهرت عساكره على ابن مطهر بجدَّة ، فانهزم هو ومن معه من الأكراد طريق الحازة إلى حافد ، ثم طلعوا إلى سبأ[2] ، وكان الميعاد بين السلطان وبين ولده إلى

(١) بيت الناهم ، وعند بعضهم : بيت الفاهم ـ بالفاء ـ ، من حضور .
(٢) واد مشهور في خبان .

يوم الثلاثاء ، وأن يركب العسكر السلطاني من صنعاء إلى حدَّة ، فكان عجلة الملك المظفَّر آخر نهار الاثنين سبباً لسلامة ابن مطهر والأكراد ، ولكن لكل أجل كتاب ، وأقام ابن مطهر بجبل رهقة[1] والأكراد بالبروية[2] ، والمظفر بحطته بقاع بيت الناهم مدّة نصف شهر . وعامل محمد بن الذئب الشهابي ابن عمر راجح على ابن مطهَّر والأكراد ، وسَلِمُوا من السيف وافترقوا من هنالك [فسار الإمام نحو ذروان ، ثم سار نحو ظليمة فعيَّد بها عيد الأضحى][3] . وسار الأكراد نحو طوران[4] وقد باطنوا أصحابه ، وسار ابن مطهر نحو ذروان ، وصاروا في أشر حال خوفاً من العسكر السلطاني .

وفي مستهل ذي الحجة لزم السلطان الأمير جمال الدين عبد الله بن وهَّاس وولديه داود والمؤيَّد بصنعاء ، واحتج عليه بأمور أوجبت ذلك ، وسيَّر العسكر مع الأمير شمس الدين عباس إلى المحطَّة على حصنه عزَّان وسيَّر معه المنجنيق . وعيَّد عرفةَ بصنعاء ، وقام الشعراء على سماطه ، فمن ذلك قصيدة الشيخ سابق الدين العنسي وهي :

نكَّدت من عُصب النفاق معاشاً ... وأدرت منهم في العظام مشاشاً[5]
وأقدت نار الحرب منك فقد غدوا ... لنازل نار الحرب منك فراشاً
أفنيتهم في بحر جيش أغرق ... الأجبال منه حشية إذ حاشا
أنعشت للإسلام صنعاً قد وهى ... عجلاً قدمت لصنعه نعَّاشا

---

(١) حصن في جبل ملحان .

(٢) البروية : صقع كبير من بني مطر في الغرب الجنوبي من صنعاء بمسافة ٢٨ كم . وفي مطبوعة (العقود) : ورد ذكرها بالروية .

(٣) ساقط من (الأصل) ، فأضفناه من (العقود ٣١٩/١) .

(٤) كذا في (الأصل) ومطبوعة (العقود) : وماأظنها إلاّ ذروان ، والله أعلم .

(٥) مشّ العظم مشاشاً : استخرج مخه .

أنت الخليفة والإمام ولم تكن أبداً كمن داجى ومن قد غاشا
أولاك للإسلام رشت جناحه ما إن غدا منه الجناح مُرَاشا
فأزال صنعا قد أعدت لقصرها (م) العظيم ملك أسعد وبراشا[1]
حاشيتها ما إن صَفت تكون لغيركم لا زلت من صرف الزمان محاشا

وهذه محاسنها .

ذكر ما اتفق في سنة عشر وسبع مئة

وفي السنة المذكورة تَسلَّمَ الأمير شمس الدين عباس حصن عزَّان ، ونقل محطَّته نحو ظفار فحطَّ بالطَّفة[2] عند حصن تعز ونصب المنجنيق عليه ، فرغب الأشراف في الصلح وأذعنوا للخدم الشَّريفة على يد الشيخ نجم الدين محمد بن عبد الله بن عمرو الجنيد[3] وهو بصعدة ورهن الأشراف ، وكان ذلك خدعة من الشيخ ابن الجنيد لمَّا عَلِم مضرَّة أهل ظفار إن أقام عليهم الحصار والمنجنيق ، فاستغاثوا ، فبادر مسرعاً بفك المحطَّة ، وصاح بالصُّلح ليلاً على كَرْه الأمير شمس الدين عباس المقدَّم الذّكر على الحرب ، فأعدها له السُّلطان من جملة الذّنوب ، وأتمّ السلطان ما تقرَّر به الصلح ، وتوجَّه الرِّكاب الشريف من جهة صنعاء إلى تعز في الخامس والعشرين من صفر ، وترك البلاد الصنعانية للأمير أسد الدين محمد بن حسن بن بوز مقطّعاً بها .

وفي السنة المذكورة تسلَّم الأمير عماد الدين إدريس نائب السلطنة حصن المفتاح[4] مضافاً إلى ما تسلَّمه من حصون الشرفين ، وسلَّم الجميع إلى غلام الدولة

---

(١) هو ذو براش ملك من ملوك حمير (منتخبات في أخبار اليمن ٦) .
(٢) الطفة : من ظفار هناك .
(٣) (العقود) : الجيد .
(٤) حصن المفتاح : من قضاء الشرفين بالشمال من حجة .

حسن بن الطّماح بن ناجي بحكم مابيده من ولايتها من الباب الشّريف .

وفي السابع عشر من جمادى الآخرة دخل الأكراد في الطّاعة لمّا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وبذلوها من أنفسهم ، ولجؤوا إلى الحرم الشّريف متفيئين[1] ظلاله ، مستمطرين[2] نواله يطلبون الرضاء عمّا قضاه عليهم القضاء ، فعادت الشنشنة[3] الرسولية عليهم بالإقبال ، واستقرّ الحال على الرّهائن منهم ، وعلى أن يتصدّق السّلطان عليهم بحصن هِرّان واستخدام من أراد الخدمة .

وفي السنة المذكورة أقطع السلطان الأمير جمال الدين بوز بن حسن بن بوز الأعمال الصعدية والجوفية والجثة[4] بتهامة ، وعوّض الأمير عماد الدين عن الجثة بالقحمة .

وفي جمادى الآخرة سار ابن مطهر[5] يُريد أن يشوّش على الأكراد ويردّهم عن الطاعة الشريفة .

وفي السنة المذكورة حج من الديار المصرية عسكر قوي وبه أمراء الطبلخاناه يريدون لزم الشريف حميضة ورميثة ، فلمّا علما بذلك نفرا من مكة ، ولم يحصل العسكر على قبضهما ، فلمّا توجّه العسكر إلى الديار المصرية عادا إلى مكة حرسها الله تعالى .

---

(١) (الأصل) : متوفيهن ، والإصلاح من (العقود) لأنه ينقل كلام المؤلف بالنّص .

(٢) (الأصل) : مستحضرين .

(٣) (الأصل) : فأعادت السياسة والإصلاح من (العقود) .

(٤) الجثة : يضبطها الجندي بفتح الجيم والثاء ، وهي من المدن العامرة على وادي مور .

(٥) يعني الإمام السابق الذكر .

ذكر ما اتفق في سنة إحدى عشر وسبع مئة

وفي آخر المحرَّم منها توفي السُّلطان الأجلّ العالم مولانا الملك الواثق نور الدين إبراهيم ابن الملك المظفر يوسف بن عمر بظفار الحبوظي ، فعزَّ على الملك المؤيد فقد أخيه لأنَّه كان أميل إليه من بين سائر بني أبيه ، لما كان فيه من الحلم والأناة ، وكان فريداً في محاسنه يرجع القهقرى عن مفاخرته زينة محاسنه ، وكان له معرفة بالأدب ونظم الشعر يجيز عليه الجوائز السنية ، فكم من فتى أغناه بماله وكفاه مؤنة سؤاله ، انتجعه أرباب الخير والفضل ممتطين على ظهر اليَمِّ .

أخت الغمامة ليردوا من كرمه منهل الأكاريم(1)
ومن يك داود بن يوسف صنوه فليس غريباً أن يرى بكريم

أخبرني من حج كعبة كرمه ، وتمسَّك من مقام إبراهيم بعروته الوثقى التي لا تقبل الانفصام بقصيدة بديعة المعاني مذهّبة النِّظام ، وتوجَّه بها من ثغر عدن المحروس ، فلمَّا صار بظفار أنهى إليه حاله ، وبيَّن بالسؤال مقاله ، وزفَّ إليه العروس ، فأثمرت بها ما لأمنيته من غروس وأجازه عليها بألف دينار ، وأمر له ببغلة وخلعة . وبلغني من الثقة أن ولد ولد ولد الشيخ أحمد الرفاعي وصل إلى ظفار يروم الحج فتلَقَّاه السُّلطان الملك الواثق أحسن ملقى ، وسنّمه من الإقبال والشرف أعلى مرقى ، وأمر له ثلاثة أيَّام بالضِّيافات الحسنة ، وفي كل يوم من الأيام الثلاثة يمضي إليه خازن داره بألف دينار وتشريف . فتلك شنشنة مظفرية وأخوة هزبرية ، متَّع الله ببقاء هذا البيت المظفري ، ففي كلٍّ من أقطار ممالكه حاتم زمانه يهطل على وفادة سحائب إحسانه ، وأقام عليه مولانا السُّلطان العزاء سبعة أيَّام ، وفي كلِّ يوم ينصرف أعيان الدولة الشَّريفة والفقهاء إلى سماط بعد القراءة ، تغمَّده الله برضوانه وأسكنه فسيح جناته .

---

(1) كذا في (الأصل) ، وقد حذفه الخزرجي من عقوده لإشكاله واكتفى بالبيت الأخير .

وفي السَّنة المذكورة حصل من ابن مطهر عزم عظيم بأن يتوجَّه إلى الشَّرف في جميع عساكره ، فتوجّه السّلطان إلى زبيد وجرَّد الجرائد إلى تلك الجهة ، وأمر الأمير عماد الدين إدريس بالتوجّه إليها على عادته ، وحصل بين الأمير إدريس ، وبين ابن مطهر مصافات ومحاربات ، وحشد ابن مطهر حشداً كثيراً ، وظنَّ الشَّريف عماد الدين إدريس أن أهل الشَّرف يميلون إليه ، لا يقدمون بسوء عليه ، فَراسلهم وباطنهم ووثق بهم ، وحطَّ بالعساكر في أضيق مكان وأوعره على الجبل ، فقصده ابن مطهر ، ووقع الحرب ، وقتل قاسم بن الأبرش[1] [ابن عم الأمير إدريس ، فلما انجلت وعرف قتل قاسم الأبرش] فعزَّ عليهم ولم يعرفوا ذلك ، وأقام إدريس أيَّاماً مأسوراً ، ثم أطلق ، ولمَّا علم السُّلطان بجمعه أرسل ولده المظفر والصَّاحب موفق الدين بالعساكر ، فوصلا إلى قلحاح وحطَّا عليه ، وحصل بين العسكر السلطاني وبين ابن مطهر فتن كثيرة وتعب الفريقان من المحاربة ، واستقر الحال على ذِمَّة السّلطان ليستريح الناس من الفتنة وتضع الحرب أوزارها ، فأمر السلطان بذلك مدة سنة . وعاد الملك المظفر والوزير موفق الدين والأمير عماد الدين إلى الباب الشَّريف السُّلطاني ، ومولانا السلطان إذ ذاك مقيم بزبيد ، وكانت الوقفة المباركة بعرفة وقفة الإثنين وحميضة ورميثة المتصرِّفان على الحاج ، وكان الحاج من الديار المصرية ليس بقوي .

ذكر ما اتفق في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة

وفي المحرَّم منها توجَّه السلطان من تهامة إلى محروسة تعز .

وفي السنة المذكورة وصلت رسل الإمام ابن مطهر في طلب الذِّمة والصلح ، وكان الوزير إذ ذاك مريضاً ، وكان السَّفير في هذا الشأن الشيخ نجم الدين محمد بن عبد الله الجنيد ، فانعقد الصُّلح على عشر سنين على ما يقرب في التذاكر ،

(١) (العقود) : الإبريس .

وأمر السلطـان أن يُصَاح في تعـز بـذلـك ، ولمَّـا تمَّ الصلـح انفصـل الأكراد عن ابن مطهر ، فـأمر السلطـان بتجريـد مئتي فـارس ورجل جم من مـذحج ، وأمر الأمير أسد الـدين بن بوز أن يلقـاهم بعسكره من صنعـاء ، وأن يحـط على حصن هِرَّان ويحارب الأكراد . فتوجَّـه الشيخ ابن الجنيـد في خلال ذلـك وعقـد صلحـاً لـلأكراد على ترك دخـول ذمـار ورداع وترك الإقطـاع ، وأن يستقر رهـائنهم بـالعروس . وأمر السلطـان الأمير أسـد الـدين بسكنى ذمـار وتوطّنهـا ، فـامتثل المرسوم الشريف .

وفي السنـة المـذكورة في رجب احترقت دار المرتبـة في تعز لأسبـاب اختلفوا فيها ، واحترقت أشيـاء كثيرة عظيمـة لا يمكن التّعبير عنهـا من الفرش والأثـاث ، وسمعت من يُخبر أنَّ في جملـة الـدَّار ممَّـا احترق بشخـانتين كاملتين من الزركش[١] واحدة صفراء أطلس وأخرى حمراء أطلس ، وكان السلطان إذ ذاك بزبيد .

وفي السنـة المـذكورة حصل على السُّلطـان الملك المظفر توعّـك في جسمـه ، وذلك بعد وصولـه من الشَّرف ، ولم يَزَلْ الوجع بين أيـديـه والحمى لم تفـارق ذاتـه الشريفةِ وهو مقيم في حرم أبيه بزبيد ، ولمَّا رآه كذلك أمر بتوجهه إلى تعز وازداد تعباً ، وذلك في رمضـان من السنـة المـذكورة همَّ السُّلطـان بـالطلوع وذلـك لخبر أزعجه ، فأمر وزيره الصاحب موفق الدين بالتَّوجه ، فسار من زبيـد إلى تعز في يوم واحد ، ثم تَبِعَه السُّلطان فألفاه ازداد ضعفاً ونُحفاً ، واختار الله لـه مـا عنـده ورفع في جنَّاته فضله ومجـده ، وتُوفي يوم الأحـد سـادس شهر ذي القعـدة بعـد أن أوصى وتثبت ، وفي جملـة الوصيـة أن لا يُصاح عليـه ولا يُشق عليـه ثـوب ، وأن لا تُغطى نَعشه إلاّ بثوب قطن ، وأن لا يعقر على قبره شيء من خيله ، وأن يـدفن في مقابر المسلمين ، فنفذ السُّلطان وصيته في جميع ما وصَّى به ما خلا الدفن ، فإنـه أمر بدفنه مع أخيه المقدَّم الذكر في مدرسته بمغربة تعز .

(١) الزركش : الحرير المنسوج بالفضة (فارسية) .

وهذا الملك المذكور من أجلِّ الملوك قدراً وأكثرهم معونة ، وقد حاز في شرخ الشبيبة العقل والحلم والآراء التي لم تزل لإحراز الغرض مضيئة ، فكم له من مكرمة وأياد بالمعروف منعمة ، وحاجة لها يختلف الوفاد مودعة ومسلّمة ، مع شجاعة باهرة ، وعدّة لأعداء الله قاهرة . وأوصى في جملة ماأوصى أن يعمل له في قرية المخادر[1] مدرسة وأن يجرى لها الماء ، وأن يجرى منها الماء إلى حول تحتها ، ففعل ذلك ورتِّب بها جماعة من الطلبة . وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً ، لم يُشهد بمثله من الأسف والحزن على فقده ، وحضر ملوك بني الرسول بأجمعهم ، وشهدوا القراءة عليه سبعة أيّام ، وأمر بالقراءة عليه في سائر المملكة الشريفة . تغمّد الله تلك النسمة الطّاهرة بالرضوان ، وأسكنها فسيح الجنان ، ورثاه الشعراء بالقصائد . فمن ذلك أبيات كتبها العفيف بن جعفر وهي :

أخَيْر الملوك[2] وسلطانها ... ويامن له طاعة تفترض
فلاملك ناقض عهده ... ولاملك عاقد مانقض
فلاعوض منك في ذي الورى ... وكلّ الورى أنت منهم عوض

وهي عيونها .

وفي عاشر ذي القعدة توفي القاضي جمال الدين محمد بن أحمد ابن أخي الصاحب ، وكان رجلاً جيداً خيراً ، وكان تولّى قضاء الأقضية نيابةً عن عمه رحمه الله تعالى .

وفي ثالث الحجة توفي الصّاحب موفّق الدين المقدّم الذكر ، وبلغني أن السلطان زاره في مرضه ، فانظر إلى شَفَقَة هذا السُّلطان وبِرّه بغلمانه ، فلقد فعل مافَعَله الخلفاء العباسيون ، لأن المعتصم زار قاضي قضاته أحمد بن أبي دؤاد ،

---

(١) المخادر : بلدة بالشمال من إب بمسافة ٢٠ كم .

(٢) (العقود) : أمولى الملوك .

وهذه شيم سادات الملوك مع وزرائهم ، وغالب الظنّ أن الزّيارة لم تكن في مرضه الذي مات فيه ، بل هي مَرْضة غيرها وأظنّها كانت بزبيد .

وفي السنة المذكورة أمر السلطان بإنشاء قصر ظاهر بباب الشّبارق بزبيد في البستان الذي أمر بإنشائه هنالك[1] ، وصورة بنائه ، أن وضع به إيوان طوله خمسة وأربعون ذراعاً ، وفي صدره مقعد عرضه ستة أذرع ، وله دهليز متسع ، وفي الدهليز قصر بأربعة أديادين[2] والجميع بجملون[3] ، وفيه المباني الغريبة المشرفة على البستان المذكور من جميع نواحيه ، لم ير الطَّرف بأحسن منه مبنى ، حاز من الحُسن فراداً ومثنى . قال كاتب هذه السيرة : لقد وقع لي في وصف هذا الإيوان مقاطع كثيرة من قصائد مَدَحت بها السلطان حال قُدومِه إلى زبيد وهي[4] :

تخـذَّت زبيْـداً مـوطن الفخر والعلا	فصـارت لأنـواع المكارم مـوطنـا
ولـو كان فيهـا أن تسير لأقبلت	مسير مشـوق شقـة الشـوق والعنـا
بنيت بهـا قصر الفخـار مشيَّـداً	فطـال على سمـك السماء ذلـك البنـا
وأودعتـه إيـوان سعـد ولن يُرى	لـه مشبـه فيما نـأى عنـه أودَنَـا

وهذه عيون القصيدة . ولقد نظمت قصيدةً بديعة المعاني ليس لها في حسنها ثاني أذكر فيها القصر والبستان وهي :

يـا نـاظم الشعر في نعم ونعمان	وذاكر العهـد من لبنى ولبنـان
ومعمـل الفكر في ليلى وليلتهـا	بـالسفـح من عقـدات الضـال والبـان
قصر فبـالعلـو من وادي زبيـد عـلا	عـالي المنـار عظيم القـدر والشـان

(١) المعروف بحائط لبيق (العقود ٣٢٩/١) .

(٢) كذا في (الأصل) وفي (العقود) : أربعة أواوين .

(٣) الجملون : سقف مسنم وقبة محدبة مستطيلة ، فإن كان مستديراً فهو قبة وهو من اصطلاح العامة ، ويطلقون على بيت من الخشب أيضاً ، ومنهم من يقول : جملول ، انظر (محيط المحيط ١٢٥) .

(٤) وردت في الأصل مضطربة فأصلحناها من عندنا .

بـه التغـزل أحلى مـايرى بهجـاً ... فـدع حـديث ليـلات بعسفـان
هـذا الخـوزنـق بـل هـذا السـدير أتى ... في عصر داود لافي عصر نعمان[1]
قصر بنـاه هـزبر الـدين مفتخرا ... وشـاد ذلـك بـانٍ أيَّما بـانِ
فقف بسـاحتـه حتى ترى عجبـا ... كم راحـة هطلت فيهـا بـإحسـان
أنسى بـإيـوانـه كسرى فـلا خبرٌ ... من بعـد ذلـك عن كسرى بـإيـوان
سـامى النجـوم عُـلاءً فهي راجعـةٌ ... عن السُمـو لإيـوان ابن غسَّـان
تـود فيـه الثريـا لـوبـدت سرجـاً ... مثـل الثريـا بـه في بعض أركان
يحفـه دوح زهر كلـه عجبٌ ... كم فيـه من فتن زاه بـأفنـان
من أبيض يقـق حـال بـأحمره ... يميسُ في حلتي درٍّ ومرجـان
تجمعَّت فيـه أنـواع محيرةٌ ... للعين[2] في سرِّهـا الـزاهي بـأعـلان
إذا حللت بـه أبصرت معجـزة ... الشـام أصبـح في أرض[3] بسيـلان
مـالسنبـل الغض والـورد البهي معـاً ... من أخضرٍ نـاصـعٍ أو أحمر قـان
صنـوان حسن[4] بـه من كل فـاكهـة ... وكم أرى مجتليـه غير صنـوان
ظـل ظليـل ومـاء سلسـل غـدق ... تخـالـه من صفـاء بطن ثعبـان
[يسري بهـا أبيضـاً والـدهر يلبسـه ... ألـوانـه فترى في وشي ألـوان][5]
هـذا وكم فيـه من ورقـاء صـادَحـة ... يُغنيك عـود لهـا من صـوت عيـدان
كأنهن قيـان والستـور لهـا ... في ذلـك الـدست[6] أوراق لأغصـان
تَهوى الغـزالـة لـو أضحت مقبلـةً ... منـه مراشف أنهـار لنيسـان

(١) (العقود ٢٤٣/١) : قصر غمدان .
(٢) العقود : (العقل) .
(٣) (العقود) : واد .
(٤) (العقود) : خصت .
(٥) ساقط من (العقود) .
(٦) صدر البيت : والمجلس ، واللفظة فارسية .

وكيف يمكنها والدوح منعقد ... فحالة الشمس عنه حال ظمآن
فأرضه كسماء منه مشرفةً وها ... هما في بديع الوصف شبهان
توافق الناس في أوصافه فلذا ... لم يختلف عند وصف الحسن[1] إثنان
كأن بنيان داود وبهجته ... صَرْح القوارير عن آلا سليمان
أخفت مآثره البادي نضارتها ... ما شاده تبع في رأس غمدان
كم شاد من قصره العالي مراتبه ... في الفخر فأجتمعا في الجو فخران
لله موكبه الزاهي برونقه ... لما استقل بفرسان وشجعان
مثل البحور ولكن في أكفهم ... قواضب تتلألأ شِبْه نيران
على المطهمة القب[2] التي ملكت ... قيْد الأوابد من آل[3] وسرحان[4]
من كل أشهب صافي الجسم تنظره ... في الحرب نجماً هوى في إثر شيطان
وكل أحمر زاهٍ في ملابسه ... يختال من لونه في نسج عقيان
وكل أدهم مثل الليل قد طلعت ... كالصّبح غرته الغراء بإتقان
أما الكميت[5] فإن الدنَّ أشربه ... سمية فبدا في حالِ سكران[6]
إذا مشوا في صباح عاد من رهج ... ليلاً كواكبه أطراف خرصان
على الأكف شواهين لمالكهم ... وهمّها صَيد نسر فوق كيوان
كالصبح في أخريات الليل هيأتها ... والنرجس الغض منها وسط أجفان
مشفوعة بفهود جلّ منظرها ... سليطة لا ترى إلا لسلطان
قد ألبست حدق الغزلان فانبعثت ... مثل الجديدين في أفناء غزلان

---

(١) (العقود) : لم يختلف قط في أوصافه اثنان .
(٢) (العقود) : المهمة القت .
(٣) الآل ما أشرف من البعير والخشب وعد الخيمة .
(٤) السرحان : الذئب .
(٥) الخمر .
(٦) (العقود) : نشوان .

ماسار مالك هذا الجمع مقتنصاً إلا انثنى ظافراً في ثوب جذلان[1]
كم أم مجتمع النخل التي سبقت أغصانه فأرت أنواع أفنان
من كل فرع تبدى الطلع طلعتها سلاسلاً حيَّرت للأنس والجان
وربَّما زار بحراً في ممالكه بعامه فبدى في الأرض بحران
وقبل الأرض بحرٌ حلَّ ساحتها أمامه وانثنى من غير حرنان[2]
مؤيد كاسمه في كل معترك تغنيك عزمته عن ليث حفان
يلقى الضيوف كما يلقى الصفوف معاً فألم بداود مطعام ومطعان
فكم تماثيل حسن في مجازيه وكم جفان جواب يوم ضيفان
حوى المناقب والعلياء أجمعها فالناس كلهم في شكل إنسان
فالله يحرس ملكاً حلَّ ذروته على تعاقب أوقات وأزمان

ولم أذكر هذه القصيدة بكمالها إلاَّ لما بها من المعاني الغريبة العجيبة ، ولولا إحسان هذا السُّلطان لما رأيت اللِّسان تصوغ قلائد البيان ، لا زالت منازله شامخة الأركان عالية البنيان .

وفي السَّنة المذكورة حصل بين الملك النَّاصر محمد بن قلاوون وبين مماليك أبيه الكبار وحشة ، كالأمير قراسنقر نائب حلب ، والأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشق وجماعةٌ من الأمراء ، فلَمَّا علموا أنَّه يريد القبض عليهم خرجوا بأثقالهم وبمن معهم إلى جهة بغداد والتحقوا بخدابندا محمد ملك العراق ، فأقبل عليهم وأقطع كلاًّ ما يناسبه من البلاد ، وعينَّهم في أعيان أمرائه ، فحسَّن قراسنقر لملك العراق الغارة على الشام بالعسكر الجرار ، فقبل منه ، وسار الملك

---

(١) من هنا ينتهي نقل (العقود) .
(٢) الحرون من الخيل الذي لا ينقاد ، والذي لا يبرح أعلى الجبل من الصيد .

بعَسْكره وجَمَع وحشد وعبر العراق[1] ، وحَاصَر قلعة الزنجية[2] ، وحَصَل قلعة الزنجية ، وحَصَل لأهل الشام من الخوف ما أوجب الجفل العظيم إلى نحو الدّيار المصرية . ولَمَّا عَلم الملك الناصر بذلك جرَّد العساكر وكتب الكتب ، وجاء في جحفله اللهَّام ، ولَمَّا صار بقرب غزَّة أوقع الله في خيول التتار عِلَّة الطابق ، ولم يكن في نية ملك العراق الإقدام على الشام لاعتقاده أنّه موطن الأنبياء عليهم السلام ، وأن من قدم عليه لا يفلح ، فعاد إلى بلاده من الرَّحبة ولم يظهر منه ما يشوِّش على الشَّام وساكنيه . ولَمَّا صار الملك الناصر بدمشق ودخلها بعسكره ، ورأى أنَّ العدو قد مضى لسبيله ، فرَّق العسكر الذي معه في سائر البلاد من المملكة الشامية ، وترك أثقاله وغلمانه بدمشق ، وسار متوجّهاً إلى حرم الله في مئة فارس من مماليكه ، وستة آلاف مملوك على الهجن ، ولَمَّا وصل مكة المعظَّمة في اثنين وعشرين يوماً من دمشق . قَضَى مناسك الحج وعاد في مثلها ، ولقد وصل منه كتاب كتبه بعض كتابه يخبر بأنه قضى الحج والعمرة وليس فيه من الأسجاع وقرى في سوق الخيل ، ولم يستحسِن الكتَّاب ذلك الكتاب ، وقالوا : يجب أن نكتب في هذا المعنى خلاف ما قيل في هذا الكتاب ، لأن حجَّ الملوك يقع نادراً والكتابة في هذا المعنى ، قال مؤلف هذه السيرة : ولم أرَ بالمملكة الشامية كلِّها من أقدم على كتابة في هذا المعنى ، فأنشأت كتاباً تجربة للخاطر في هذا المعنى ، وعرضته على كتَّاب الإنشاء بمصر والشام ، فحصل الثناء عليه ، ونقلت منه نسخ عديدة ، وصورة الكتاب : أدام الله نعمة الجناب الفلاني وأسمعه من مسار أيَّامنا سائر التهاني ، وأتحفه من منار مساعينا بمذهبات الأماني ، وأورد عليه من أخبار سعينا بدائع المعاني ، أصدرناها تهدي إليه سلاماً أرج العرف وثناءً بهيَّ الوصف ، وتوضيح لعلمه الكريم ، أنا حَمَدْنا صُبح السرى ، واستجلينا طوالع

---

(١) لعلها : الفرات .

(٢) كذا في (الأصل) ، وأظنها : قلعة الرحبة .

الإقبال من مطالع أم القرى ، وارتشفنا رضاب القدوم عند البنيّة ، وأخلصنا لله فيما قصدناه النيّة ، وحللّناها محرمين ، ودخلناها بسلام آمنين ، عالمين بأنّ الذنوب هنالك منحطّة ، تالين : ﴿ وَادْخُلوا الْبابَ سُجَّداً وَقولوا حِطَّةٌ ﴾ [البقرة ٥٨/٢] . فرحين بالألْطاف ، بهيجين بمناهج السَّعي والطواف ، متجرِّدين عن المخيط واللّباس ، فائِضين من حيث أفاض الناس ، معظِّمين شعائر الإسلام ، ذاكرين الله عند المشعر الحرام ، ناشرين لواء التَّعبُّد بين الحَرَمَيْن ، نافرين من الأجر بما ملأ اليدين ، مستجلين أسرار تلك الفَعَلات من النَّحر والحَلْق ورَمْي الجمرات ، مظهرين مناسك الحج بين صفائه ومروته ، مستمسكين من الحجر الأسود ببيضان غُرَّته ، مُوفين بعهد الدّار أمامه ، بَعْد أن قبلناه وأطلنا التزامه ، مفيئين ظلال الرقمتين ، شاربين ماء زمزم للحسنتين ، وبتنا حول خيامنا من غشيها[1] وأذخر[2] وجليل[3] ، وقلنا ولسمرات الحيّ علينَا ظل ظليل . ولَمّا بلغنا المنى ، وأفضنا من منى ، ومسح بالأركان من هو ماسِح ، وسالت بأعناق المطيّ الأباطح ، ولم ينظر الغادي الذي هو رائح ، أخذنا عن سلع شاماً ، وتجلَّيْنَا أنَّ النيّة لم تُبْدَ عند رحيلنا ابتساماً ، حتى لقد ألفينا تلك الأماكن المعظَّمة وألفناها ، ولولا ما يجب علينا من مراعاة الرَّعية لَمّا فارقناها وسِرْنا عنها وللنفس في العودة مجال ، وفرقناها والدموع ترفض على فراق تلك الحال ، مظهرين ما لحجتنا من المزايا ، منشدين تمام الحج أنْ تقف المطايا ، ولَمّا مرَرْنا بنجد وبواديه ، ومررنا على العقيق وواديه ، ونعم الأنوف طيب طابة ، وضَوّع الصبا شيحَه وملآبه ، وبَدت الجلالة الأحمدية من مشاهدها ، وعلت الأنوار المحمديّة من معاهدها ، وتطاولت العيس بهواديها إلى سيد الأمة

(١) كذا ، ولم نصّ هذه المكاتبة في (صبح الأعشى) الآن ، وقد أورد له القلقشندي ـ أعني المؤلف ـ في ٤٢٢/٦

(٢) عروق أشجار هي : الأراك .

(٣) هو : الثام .

وهاديها ، ختمنا الحجة بالزّيارة كما بدأناها أول مرّة ، ووقفنا موقف الإنابة فيما بين المنبر والحجرة ، واستجلينا محيًّا الظفر من قسماتها ، واستنشقنا أرج النظر مِن نسماتها ، وودَّعنا تلك المواقف المكرَّمة ، وأودعناها عهوداً ، ونظمنا على جيد طلولها من المدامع عقوداً ، وانصرفنا وبنات الشوق تحنّ وترعى ، ولسان الحال نراه لمسامعنا في كل حينٍ مسعىً :

قفا ودِّعا نجداً ومن حل بالحمى وقلّ لنجد «...»[1] أنْ يُودِّعا

فللّه المنّةُ على بلوغ الأماني ، وله الحمد على أن أرانا منازل الوحي ومواطن السبع المثاني ، وله الشكر في تبليغ السُّؤل ، وله المنَّة في أن وافقنا في حجتنا حجةَ[2] الرسول ، فليأخذ الجناب العالي حظَّه من هذه البشرى التي لم يعهد بمثلها للملوك ، ولينظم فرائِد محاسِنها نظم السلوك ، وليتبرّك قناص طرسها ، وليكتحل عوض الإثمد بسواد نفسها بالغفران أهلة المعنى ، وفي التهاني عريفة المغنى ، أبقاه الله لمآثرنا سامعاً ولمحاسِنَنَا جامعاً ، ولنصرتنا يوم الوغى سيفاً قاطعاً . قضى الله لمولانا السّلطان الحج إلى تلك الأماكن المعظّمة والمنازل المشرّفة المكرّمة ، فإنّه حقيق بأن يطأ تلك البقاع ، وأن يضمّه ذلك الاجتاع ، ليعوقه[2] الحلّ والحرم ، وتتطاول إلى مشاهدته الأمم ، وأن يرعى ما لذلك المواقف من حرم .

وكانت تلك السنة سنة الجمعة ، وفعل فيها حُميضَة ورميثة مالا ينبغي من نهب التجارة ، لأنّهما خافا أن يقبض عليهما الملك الناصر ، فعدلا عن مكّة ، ثُمّ عادا إليها بعد ذهاب الملك الناصر .

---

(١) بياض في (الأصل) .

(٢) أي حجة الجمعة .

ذكر ما اتفق في سنة ثلاث عشرة وسبع مئة

وفي السنة المذكورة توجَّه السلطان الملك المؤيد من تعز إلى الجند .

وفي ربيع قبله برز مرسوم مولانا السلطان الملك المؤيد إلى الأمير أسد الدين بن محمد بن بوز بأن يخرج من ذمار ويحطّ على حصن هِرَّان المقدَّم الذكر وينصب عليها المنجنيق ، ففعل ما رسم به ، وحَصَل من الأكراد تعدّي على بعض المماليك وقتلوا جماعةً ، فأمر السلطان الملك المؤيد بتجريد الأمير شمس الدين عبّاس في خمسين فارساً غير الذي معه من عسكره إعانةً للأمير أسد الدين بن بوز ، فلمّا ضاق بالأكراد الحال ورأوا الموت عياناً ، وتقدّمت لهم قبل ذلك ذمّةٌ لجؤوا إلى السُّلطان الملك المؤيد ، ورغبوا إلى الخدمة ، وكان السلطان الملك المؤيد قد رأى منهم شهامةً ، فما أراد التفريط بهم ، وبَرَز مرسومه الشّريف بأن يحضر أعيانهم ، فلمّا حضروا وحضر الأميران إبراهيم بن شكر والجلال بن الأسد إلى السُّلطان الملك المؤيد بالجند ، ودخلوا تحت الرِّق واستعطفوا خاطِره الشريف ، فرجع إلى سياسته الكريمة ، وعفا وصَفح بشرط أن لا يبدر منهم ما يوجب الغَيَار ، وسلَّموا هِرَّان وعادوا إلى ذمار على عادتهم في الخدمة ، وارتفعت المحاط عنهم ، وذلك في مستهل رجب من السنة المذكورة ، وتوجَّه الأمير ابن بوز إلى صنعاء ، والأمير عبَّاس بلد همدان لأخذ زَرْعها والمحطَّة على بيت أنعم[٢] ، لأنَّ أهلها بَدَا منهم مالا يجب ، فأخرب زَرْعهم وبلادهم في مقابلة ما فَعلوه .

وتوجَّه ركاب مولانا السُّلطان الملك المؤيد إلى زَبيد ، فَدَخلها يوم الخميس الثاني عشر من رجب الفرد من السنة المذكورة ، ووصله الأميران الهادي بن عز

---

(١) كذا .

(٢) بيت أنعم : قرية وحصن في بلاد سنحان بالجنوب الشرقي من صنعاء .

الـدين ، وداود بن مـوسى مخـاطبين في الأمير أسـد الـدين بن محمـد بن أحمـد بن عز الدين المقدَّم الذكر ، فَوَفدوا وأكرِمَا ولم يُجابا إلى خروج ابن عز الدين .

وفي السنة المذكورة تقدَّم مرسوم مولانا السلطان الملك المؤيـد بتوجّـه الأمير عماد الدين إدريس إلى صوب صُهيب في جمع كثير من الرجل والعسكر ، فأقـاموا في بلاد الأسـاود[١] حتى رهنـوا رهـائِن أكيـدة ، وسـاروا إلى مقمـح[٢] ، فـأخرب العَسْكر بلادهم ، وأتلفوا عليهم طعامـاً كثيراً ، وأتلف الشَّريف مـا للجحـافل من زراعة وغيرها . ولم يزل سعد هذا السلطان عالياً ، وسيفه لرؤوس أعدائه قاضياً .

وفي السنة المذكورة وصل الشريف أبو الغيث ابن أبي نمي من الدِّيار المصرية إلى مكَّـة المشرَّفـة ومعـه عسكر جرَّار فيـه من المماليـك الترك ثـلاث مئـة وعشرون فـارسـاً ، وخمس مئـة فـارس من أشراف المـدينـة خـارجـاً عمَّـا يتبـع هـؤلاء من المتخطفة[٣] والحرامية ، ولَمَّا علم حميضة ورميثـة بـأمرهم هربوا إلي صوب حليٍّ بن يعقـوب . واستـولى أبـو الغيث على مكـة ، وكان بهـا المقـدَّم الأمير سيف الـدين نقضبـاً[٤] . ولَمَّـا علم الشريف أبو الغيث والأمير المـذكور بوصول المحمـل السعيـد والعلم المنصوَر برزا للقائه ، وصَعِدا به إلى جبل التعريف على عادته .

وفي هذه السنة المذكورة استولى علاء الدين ملـك دهلـك[٥] على المعبر وبلـد الصوليـان ، ولم يكن بقي عليـه من بـلاد إلاَّ هي ، وكان قبـل ذلـك استـولى على الجزارات كهروالة وكنباية وغيرها من الجزائر الهندية .

---

(١) في (الأصل) : الأساوية .

(٢) مقمح : من شرمان من القياعرة أعمال ماوية .

(٣) (الأصل) : المتحفظة .

(٤) كذا في (الأصل) و (العقود) : طقصا .

(٥) كذا (في الأصل) ، وصواب الاسم : دهلي .

ذكر ما اتفق في سنة أربع عشرة وسبع مئة

ففي المحرَّم سار أبو الغيث ونقصبا إلى صوب حِليٍّ بن يعقوب لخطب حميضة ورميثة فسارا قدر مرحلتين ، ولم يجدا أخباراً عن الشريفين المذكورين لأنها لحقا ببلاد السراة ووصلا إلي حليّ بن يعقوب ، ولم يدخلها نقضبا ، بل قال : هذه أوائل بلاد السُّلطان الملك المؤيَّد ولا ندخلها إلاَّ بمرسوم السلطان الملك الناصر ، فعاد على عقبه . وفي هذه السنة تُوفي الأمير عماد الدين إدريس المقدَّم الذكر .

ذكر ما اتفق في سنة خمس عشرة وسبع مئة

وفي هذه السنة وصل الأمير علاء الدين كشد غدي وجماعة من المطلوبين من البلاد المصريّة والشاميّة ، والأمير المذكور كان أستاذ دار الملك المظفَّر بن الملك المنصور صاحب حماة ، وكان أميراً فاضِلاً في أبناء جنسه ، جمع بين شهامة السنّان وفصاحة اللسّان ، وكان على ذهنه جملة من الأشعار الجاهلية والمخضرمية ، والمحدثية ، والمولديّة ، وكان يعرف نوعاً كثيراً من البَزْدرة[1] ، ويقال : إنّه كان يعرف شيئاً من الضّرب بالملاهي ، وتقدّم عند السُّلطان تقدّماً لم يُعْلَم بمثله ، وكان هادئ الطبيعة ، حسن المعاملة ، نادم السلطان في الخلوات ، وقابله بالإقطاع ، وعقد له الولاية ، ورفع له الطُّبلخاناة ، وجَعَله من جملة ندمائه .

وفي هذه السنة ، رجع الشريف حميضة إلى مكّة وملكها ، وقَتَل الشريف أبا الغيث ، واستولى عليها ، فغضب من ذلك السُّلطان الملك الناصر وجهَّز جيشاً كبيراً صحبة الشريف سيف الدين عطيفة ، فَعلم حُميضة بذلك فخرج هارباً من مكة ، واستولى عطيفة على البلاد ولحق حُميضَة بالشرق .

---

(١) البزدرة : معرب بازدار وبازيار بالفارسية وهو صاحب الباز أو مربية .

وفي هذه السنة تقضّى[1] القاضي جمال الدين محمد بن الفقيه أبي بكر قضاء الأقضية ، وكان السُّلطان يعظِّمه إكراماً لأبيه ، وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة .

ذكر ما اتفق في سنة ست عشرة وسبع مئة

وفي هذه السنة المذكورة حَصَل للسلطان الملك المؤيد مَرَضٌ خيف منه التَّلاف وأشفا منه على الهلاك ، وانتشر في الأقطار ، فذكر من ذكر أن القاضي المذكور راسل الملك الناصر جلال الدين محمد بن الملك الأشرف بالأمور الباطنة ، وأمره بنشر الدعوة ، وآيَسه[2] من عمِّه وكتب الكتب إلى البلدان . ولَمَّا علم السّلطان الملك المؤيّد بذلك خرج مسارعاً من تعز إلى الجند وهو في إثر الوعكة ، فخاف ابن أخيه من ذلك ، فلجأ إلى جبلٍ يُقال له السورق[4] وهو جبل حصين ، وحوله ناس من العربان ، وهو جبل مطل على مدينة الجند ، وهو كثير الأفاعي ، فجهَّز له السّلطان العساكر وكان مقدَّمها الأمير جمال الدين بوز ، فحطَّ عليه وأحاط به ، ونَزَلْ الملك الناصر على الذِّمَّة ، وحصل بينه وبين عمِّه اتفاق وصُلْح ، ويقال : إنَّه عرَّف السلطان بسبب ذلك فعزل القاضي المذكور من القضاء واعتقله بحصن تعز[5] .

وفي السنة المذكورة فوَّض القضاء إلى القاضي رضي الدين أبي بكر بن أحمد الأديب ، أحد الفقهاء الشافعية قضاء الأقضية ، وكان بمحضر من السُّلطان وجماعة كثيرةً من فقهاء التِّهائم والجبال ، وحَصَل الإجماع عليه ، والفقيه المذكور من

---

(١) أي تولي القضاء .
(٢) هو المعروف بجمال الدين اليحيوي .
(٣) في العقود : اانابته .
(٤) سورق : جبل من أعمال ماوية .
(٥) الأصل جز والإصلاح من العقود .

الفقهاء الكبار وممّن له بسْطَةٌ في العلم ، يعرف جانباً كثيراً من المعقولات والمنقولات ، مع حنكة وتجربة حَلب الدهر أشطره[1] .

ذكر ما اتفق في سنة سبع عشرة وسبع مئة

وفي السنة المذكورة وصل مؤلِّف هذه السيرة من دمشق على طريق مكّة بطلب من السلطان الملك المؤيد ، وناله من إحسانه ما صَغَّر عنده أخبار من مضى من الكرماء ، وولّي كتابة إنشائه . وفي السنة المذكورة دخل العسكر المنصور فللة وملكوها وضربت البشائر في سائر البلاد . وفي السنة المذكورة وصل رسل صاحب هرمز بالهدايا والتُّحف ومن الملكة اثنين[2] .

ذكر ما اتفق في سنة ثماني عشرة وسبع مئة

وفي هذه السنة المذكورة وصل القاضي صفي الدين عبد الله بن عبد الرزّاق الواسطي بطلب حثيث من السلطان ، وصَرَف عليه إلى حال وُصوله من الذهب العين ألفي مثقال ، وفوَّض إليه شَدَّ الاستيفاء ، وحظي عند مخدومه ، وانبسطت يده في الدّواوين ، وكان زوجاً لابنة الأمير علاء المقدَّم الذكر ، وهو الذي عَيَّنه لذلك .

وفي السنة المذكورة توَجَّه إلى عدن وحَمَل منها الخزائِن المعمورة ثلاث مئة ألف دينار ، وصادف السُّلطان في الجند فأكرمه وعظم عنده .

وفي السَّنة المذكورة توجَّه الرّسل إلى مصر ، وهم الأمير بدر الدين حسن بن الأسد ، ومن جرت العادة بسيره في خدمته ، فقابلهم السُّلطان الملك الناصر أحْسَن مقابلة .

(١) في الأصل بنضيره والإصلاح من العقود .

(٢) كذا في الأصل وأسقطه صاحب العقود .

وفي السنة المذكورة رتبَّ الأمير علاء الدين الجيش المنصور على ترتيب الجيوش المصريَّة ، وجعل له جناحاً للميسرة ، وجناحاً للميمنة ، وجَعَل بخلف السلطان عصائِب كثيرة ، وركب المماليك بالنفخ ، وجعل منهم طائفة طبردارية[1] ، وركب السلطان بهذا الزّي .

ذكر مااتفق في سنة تسع عشرة وسبع مئة

وفي هذه السنة توجّه السلطان المؤيد إلى الأعمال الكدراوية[2] قاصداً المهجم ، فوقف بالكدرا ، وحصل عزل وتولية في النُّواب ، والقاضي صفي الدين[3] مستمر الحكم في الدواوين .

وفي السَّنة المذكورة فوَّض السُّلطان الملك المؤيد إلى الأمير علاء الدين نيابة السلطنة والأتابكية على العساكر ، وتقدَّم عنده في هذه الوظيفة تقدما لم يُسْمَع بمثله وحَصَل بينه وبين صهره منافسةٌ في الظّاهر والباطن .

وفي السنة المذكورة حَصَل من السُّلطان تغيُّر على الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين الشّهابي ، فَعَزله من وظيفته وأودعه السّجن ونَسَبَ إليه حديثاً طويلاً من جهة الملك الناصر ، وأقام مدّة اسبوع وأطلقه السلطان وتحقق براءته في يوم قرى منشور الأمير علاء الدين بإيوان بستان الراحة ، وكان يوماً عظيماً اجتمع فيه أعيان الملوك والأمراء والعساكر كلها ، وكان كيوم العيد بل أزيد .

---

(١) طبردارية : لفظ مركب من لفظين طبر = فاس ودار بمعنى ممسك أي حملة الطبر حول السلطان حين ركوبه .

(٢) نسبة إلى الكدرى : من مدن تهامة الخربة وتقع في وادي سهام فيا بين المراوعة والمنصورية (المقحفي ص ٢٤٦) .

(٣) يعني عبد الله بن عبد الرزاق الواسطي السابق الذكر .

وفي السنة المذكورة توجَّه ركاب السُّلطـان الملـك المؤيـد من زبيـد إلى تعز ، وحصل بين الأمير شجاع الدين وبين القاضي جمال الدين محمد منازعات طويلة ، وأحضر القـاضي جمـال الـدين إلى مقـام السُّلطـان فقهـاء يشهـدون على الأمير شجاع الدين في أمور صعبة تتعلق بـالملـك النـاصر وحضر الملـك النـاصر إذ ذاك بالمقام السلطاني ، ونفى عن الأمير شجاع الدين جميع مـا ذُكر ، وحقق للسّلطـان ما كان من القاضي جمال الدين ، فغضب السُّلطان على القاضي جمال الدين وسلَّمه إلى القاضي صفي الدين ليستخلص منه مـالاً كثيراً ، فوقع عليـه أمور أعـاذنـا الله منها ومن ذِكْرها .

ذكر مااتفق في سنة عشرين وسبع مئة

وفي هذه السنة مرض الأمير علاء الدين مرضاً صعباً أفضى به إلى الموت .

وفي السنة المذكورة حَصَل مرافعات جَمَّة على القاضي صفي الدين ، وتحـاقق هو والكتَّاب في المقام السلطاني المؤيدي ، ونسبوا إليه أنَّه أخذ جملةً من المال ، ولم يظهر عليه أثر ذلك ، وغاية مافي الباب أنَّه عزله السلطـان عن شـد الاستيفـاء ، وفوَّض ذلـك إلى الأمير جمـال الـدين يوسف بن يعقوب الجواد ، وهو أميرٌ فـاضل عالي الهمة ، حسن التأني والذمة . سأل من السلطان الملـك المؤيـد أنـه لايُعـاقب أحداً وإن مهما[1] تعين من الأموال فإن المستخرج لـه أمير جـانـدار[2] وهـذا دليل على خيره .

وفي السنـة المـذكـورة وصـل القـاضي محي الـدين يحي بن عبـد اللطيف التكريتي من الـديـار المصريـة على طريـق مكـة المشرَّفـة ، وأحضر بين يــدي

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل ذلك .

(٣) جاندار : سيق .

السُّلطـان الملـك المؤيـد جوهراً كثيراً من الزمرّد والآلِيء ، وتقـدَّم عنـد السلطـان تقـدماً حسنـاً ، وأحلَّـه مَحلَّ الوزارة ، وفـوَّض إليـه من خـالص مَـالـه على حُكْم التجـارة مئـة ألف دينـار من المـال الحلال ، وأطلـق لـه من عَـدَن خمسين ألفـاً ، وتصرَّف في عدن تصرُّف الملاك بما على يديه ، وكان قابضاً على الوزارة .

وفي السنــة المــذكــورة ، وصــل الرُّســل من مصر الأمير بــدر الــدين حسن بن[1] [الأسـد وجماعـة كثيرة ممن طلبهم السلطـان ، ومن جملتهم القـاضي بدر الدين بن حسن][1] بن أحمد المختار . الإمـام الفـاضل العـارف بعلوم الأوائِل من الهيئـة والهنـدسـة ، وعلم المجسطي[2] ، ضــاربــاً في كل فن من فنـون العلـوم الإسلامية بنصيب لم يكن في الدِّيار المصرية والشامية مع اتساعهـا من ينـاسبـه في معرفته وفَرح به السُّلطان الملك المؤيد .

ذكر مااتفق في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة

وفي السنة المذكورة وصل القاضي محي الدين من عـدن ، وحَصَل بينـه وبين القاضي صفي الدين مرافعـات في مقـام السُّلطـان الملـك المؤيـد ومقـاولات ، ولم ينتصر محيي الـدين على صفي الــدين ، واتفقت لمحي الــدين اتِّفــاقــات ليست بحسنـة ، فنَقَض[3] ذلـك القبول من جِهَـة السُّلطـان ، وحصـل من السُّلطـان لـه التجمَّل وهو في خلال ذلـك يطلب الوزارة ويَسعى فيهـا ، ولـمَّـا ألح وأكثر بلغني من المحقق للحال أن السُّلطان قال في خلال ذلـك : كلا لا وزر ، وأراد السُّلطـان

---

(١) في مطبوعة العقود ٣٥٤/١ سقط مابين المعقوفتين فجاء هكذا : حسن بن أحمد بن المختار الإمام الفاضل إلخ .

(٢) هو المجسطي في الهيئة (سبق) .

(٣) العقود بالصاد المهملة .

جبر خاطره ، فأركبه يوم العيد في موضع الوزارة ، وحصل بينه وبين الأمير[١] جمال الدين منافسةٌ ، وركب بطرحة[٢] الوزراء المصريين .

وفي السنة المذكورة همَّ السُّلطان بالنزول إلى زبيد على عادته ، فَنَزل قَصْر الشجرة[٣] ، وحصل وجع أتعبه ، فأقام بالقصر نحو عشرة أيَّام فقبض الله روحه ، فَرحَم الله تلك الرُّوح ، وفتح لَهَا أبواب الجنان ، فهي أول ما ترجوه من الفتوح ، فَيَالها من مُصيبة تركت النَّاس حَيَارى والأمم سكارى ، فَلَقد أقضَّ المضجع من بَعده ، وأظلمت الدُّنيا لفقده :

عمَّت منافعه فعمَّ مُصَابه ... فالنَّاس فيه كُلُّهم مأجور
والنَّاس مأتمهم عليه واحد ... في ذاته أنَّة وزفير

وكان موته فيما يقال نصف الليَّل في الليلة المسفر صباحها عن غرَّة يوم الثُّلاثاء مستهل الحجة من السنة المذكورة ، وفي الليلة المذكورة نزل الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد ، وقد كان فَوض إليه السُّلطان الملك المؤيد الأستاذ داريَّة والأتابكيَّة وجميع الحال ، ونيابة السلطنة إلى الشجرة حِفظاً للجهات السُّلطانية ، ومعه جماعةٌ من العَسَاكر وأعيان الأمراء وثبت ثباتاً حسناً في تلك الليلة وحفظ نظام السُّلطنة ، وضَرَب يزكاً[٤] على [القصر] ، وكان عَصْر تلك الليلة قد تقدَّم الملك المجاهد إلى الحصن ودَخَله ، وكاتَب الأمراء وأعيان

---

(١) هو الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب الجواد .

(٢) الطرحة عبارة عن وشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة ويسترسل على الكتفين وكان ذلك الزِّي في الأصل يمنح فقط لقاضي قضاة الشافعية ولكن في سنة ٦٦٣ أذن بيبرس لثلاثة من كبار القضاة الآخرين بلبسه ، انظر الملابس للملوكية لماير ترجمة صالح الشيتي ص ٩٣

(٣) في العقود وتاريخ الدولة الرسولية لمجهول يرد ذكره بدار الشجرة .

(٤) في المطبوعة أركا : واليزك الطلاع من العَسْكر . أو حراس في الليل ، واللفظة فارسية ، ومنها اللفظة العامية « يسك » المستعملة في صنعاء .

الدَّولة فرغبوا إليه وصَعِد النَّاس والعساكر إليه ، وتَمَّ له نظام السَّلْطنة ، وغُسِل السُّلطان المرحوم بِدَار العَدْل بأسفل الحِصْن ، وأوْصَى بأن يغسله جماعةٌ مِنْ الفقهاء ، فنفَّذت وَصِيَّتُهُ ، وكان يَوْمَه يَوماً مَشْهُودا ، ودُفِن في مَدْرَستِه التي أنشأها المقدَّمَة الذكر . ولَّما استقرَّت شوكة السُّلطان عزل الأمير جمال الدين ، وفَوَّض النِّيابة والأتابكية إلى شُجاع الدين عُمر بن يُوسف بن مَنْصور ، وكان شادّاً للدواوين أيَّام أبيه بمنشور قُرِئ في دار الضَّيْف .

وفي ذلك اليوم عقَدَ لولدي أخيه المفضَّل والفائز الأوليَّة ، ورَفَع لهما الطبلخاناه ، وكان قِراءة المَنْشور بمحضر مِنْهُما ، وتغَيَّرت قُلوب الأمراء من الجُنْد من تلك السَّاعة ، ونَفَر الأمراء البحريَّة من سَمَاع ذلك الأمْر ، وحَصَل بينه وبين ابن عمِّه أعني الملك النَّاصر مراسلة تقتضي أيماناً[(١)] وعهودًا . فأرسل إليه من جهته بالطَّواشي صلاح والفقيه عبد الرحمن[(٢)] معلِّمه وحلف الملك الناصر اليمين المغلَّظة . وتقدَّم وكيل الملك الناصر على اليمين وهو الفقيه مُحَمد عُرِف بأبي الوشاح الصَّنعاني . ولَّما تمكنَّ الشجاع بن منصور سَعَى في خلاص المعتقلين بمعتقل الدُّملؤة ، وكان فيه الأميران نجم الدين وبَدْر الدين ولدَي أزدمرَّ المظفري ، وشمس الدين أطنبا أمير خَازِنْدار[(٣)] الخليفة والشريفان داؤد وأخوه ولد الشريف قاسم بن حمزة ، وأحمدبن أزدمُر الجاندار المظفَّري الفارس ، وكانت لهم مدَّة طويلة ، ومنها أن تغيَّر مماليك أبيه ونفيهم ، واستجد له عسكراً ، وكان وهو أعني الشجاع بن منصور والفقيه عبد الرحمن مدبِّرا دولته بل مدمِّراها . فارتحل[(٤)]

(١) مطبوعة العقود : أمانا .

(٢) هو الفقيه عبد الرحمن بن أحمد الظفاري .

(٣) في الأصل خاندار والإصلاح من العقود ١٤/٢ وأظنه هكذا ، والخازندار هو الذي يتولى خزن الغلات وأعمال خزانة السلطان ونحوها .

(٤) المطبوعة فأرسل .

الشجـاع بن منصـور جمـاعـة الشيـخ عيسى بن الحريري[1] نـاظر الخـلاف ، وبـدر الـدين الصليحي ، والشيخ أحمـد بن عمران رأس مـذحج . ولمّـا علم الملـك النّاصر بذلك الحال لجأ إلى تُربة الفقيه عمر بن سعيد[2] بذي عقيب من أعمال ذي جبلة ، فأحاطوا على الملك النّاصر وأخذوه من التّربة ولم يراعوا جوارها ، ودخلوا به تعزّ وعما قليل نُقل إلى عَدَن .

ونزل السُّلطان الملك المجاهد من الحصن ثـالث المحرّم إلى الشجرة ، فلبث بهـا إلى مستهل ربيع الأول ، ثم تقـدَّم الجنـد فلبث بهـا أيّـامـاً ، ثم توجّـه إلى الـدُّملؤة ودَخَلها وخَرَج منها ، ولم يُعطِ أحداً ما جَرَت به العـادة إلا قليلاً ممن يختص بـه ، ومَنَع الملوك من الدّخول إلى المنصورة ، فَتغيَّرت قلوب النَّاس عليه . ولمَّـا نزل من الدُّملؤة توجّه إلى ثعبات فأقـام بهـا ، ولم يظهر منـه إنصـاف للملـك المنصور ، بَلْ سَام منه أموراً لا تنبغي ، ورَام حصن السمدان[3] عليه .

ولمَّا علم الأمراء البحرية وأكابر الدَّولة ما في خاطر ابن منصور من السُوء تآزر جماعةٌ منهم في النِّصف الأخير من جمادى الآخرة فقتلوه في داره بالمحاريب[4] ، هو وقاضيه الذي ولاه الأقضيـةَ المسمّى بـالفقيـه عبـد الرحمن ، وكان من جملـة مؤدبي السُّلطان الملك المجاهد ، وعقَد له القضاء بجامع الجنـد . ولمَّـا تمَّ قتل من ذُكر لجأ الأمراء البحريةَ والعساكر إلى السُّلطان الملـك المنصور[5] ، وقبضوا على السُّلطـان

---

(١) في السـلوك للجندي (مخطوط) الجزيري .

(٢) هو الصوفي الكبير عمر بن سعيد بن أبي السعود بن أحمد بن أسعد الهمداني المعروف بصـاحب ذي عقيب وهي قرية مشهورة قريبة من مدينة جبلة وفاته سنة ٦٦٢ هـ ، انظر ترجمته في طبقـات الخواص ٢٣٤ ط ثانية .

(٣) السمدان : حصن شامخ في بلاد الرجاعية من بلاد المعافر بالغرب من تربة ذبحان .

(٤) المحـاريب : حي من مـدينـة تعز وقيل قريـة كانت تقع في الشرق الجنوبي من تعز أسفـل وادي المدام .

(٥) هو الملك المنصور زند الدين أيوب بن المظفر يوسف بن عمر الرسولي .

الملـك المجاهـد وهـو إذ ذاك بثعبـات ، ونُهبت تلـك الليلـة دُورٌ كثيرة بـالمغربـة والمحاريب ، وحلَّف النَّاس السّلطان الملك المنصور ، وصَعَد إلى الحصن في نـاموس المملكـة وزِيّ السُّلطـان ، وفَرِح النـاسُ بـه ، وبَـذَل للنَّـاس الأموال ، وأنفـق في العَسْكر ، وصَرَف مـدَّة سلطنتـه سبـع مئـة ألف دينـار خـارجـاً عن التَّشـاريف والإنعامـات . وكان ملكاً عظيم الشَّأن ، قلَّ مِثْلَـه في الإنسـان ، ظـاهر التَّنسُّك والعبادة ، كثير الشفقة على خلق الله . وكاتبه الأشْراف والأمراء بـالتهنئـة ورغبوا إلى أيّامه ، ودُفعت إلى كُل شريف من الشُّرفـاء أربـاب العوائِـد عـادتـه . وفَوَّض نيابة السَّلطنة إلى الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين ، فأقـام أيَّـامـاً فَحَصَل بينـه وبين الأمراء البحـريـة مُنَـافرةٌ أوجبت أن استبـدل بـه الأمير جمـال الـدين يوسُف بن يعقوب المقدَّم الذّكر ، وفَوَّض إليه أمر الباب بكماله .

ولَيلة جلوس مولانا الملك المنصور على كُرسي مملكته أرْسَل إلى الملـك النـاصر ابن أخيه الملك الأشرف يَطْلُبه إليه ، فلمَّا وَصَل الجند تلقاه بالطبلخانـاه وأقطعـه المهجم وشرف عند مثولـه الرُّوح[1] النـاصر ، وأعـدَّه أعزَّ عـاضـد وأشهمهم نـاصر ، وعَقَد أيضاً للأمير بـدر الـدين حسن بن الأسـد الألويـة ورَفَع لـه الطبلخـانـاه ، وأقطعه حرض وماوَالاها ، وعَقَد لولديه الملك الكامل مؤيد الدين والملـك الواثق شمس الدين الألوية ورفع لهما الطبلخاناه ، وعيَّن لهما الإقطاعـات . وأرسل ولـده مولانا الملك الظاهر إلى الحصون[2] وكانت سرايا السلطان الملك المجاهد تستوي[3] في العساكر .

وكان من إحسان مولانا الملك المنصور وإشفاقـه على حـاشيـة أخيـه أن أبقـا عليهم ، ولم يُغيِّر على أحـد منهم ، وكان مِنْهم من يميل إلى ابن أستـاذه ، وكان من

(١) كذا في الأصل .
(٢) الكلمة في الأصل مطموسة وفي العقود ١٥/٢ (الدملؤة) .
(٣) كذا في الأصل .

القضاء والقدر أن تقدّم بعض غلمان الملك المجاهد إلى بلاد العُريبين[1] واتفق هو وجماعةٌ منهم مقدّمهم بشر الذّهابي ، وكانوا عاملوا شخصاً يقال له صالح بن القوّاس على طُلوع من ورائه باتّفاق من جماعة من عبيد الشربخاناه[2] والطشتخاناه[3] لأنّهم مودته ، فوصل إليهم العرب إلى المكان الذي قرر مَعَهم الطلوع مِنْهُ ليلاً ، وكان بينهم وبين العبيد إشارة . فلمّا علموا العبيد بهم أرسلوا لهم الحبال المعدودة للطلوع ، فطلع الحصن أربعون رجلاً وباتوا تلك الليلة في الشربخاناه ، وكانت الليلة السّادسة من رمضان ، فلمّا علموا بنزول الخادم بمفاتيح أبواب الحصن ، وهو الطواشي شهاب الدين موفق ، خرجوا عليه فضربوه بالسّيوف ضرباً ، ودخلوا على السلطان الملك المنصور ، وقبضوا من الخادم المفاتيح ، وكانت الرتبة الذين بالحصن يبيتون بدار الضيف ، فلمّا طلع العرب بظاهر البيوت نادوا : يامجاهديّة ، فخاف الرتبة الذين هنالك وتراموا من الحصن ، وقاتل الأمير شمس الدين أطنبا والي الحصن قتالاً عظيماً لم يشهد بمثله .

ومات رحمه الله . ولمّا عَلِم الملك النّاصر بهذه الواقعة رَكِبَ وركبَ معه جماعة من العسكر إلى أسفل الحصن ، ولم يتهيأ لهم عمل . فتظاهر جماعة من الناس بنُصْرة الملك المجاهد ، وقام سواد البلد على الملك الناصر ، وخافَ على نَفْسه مِنْهم ، وكان يوماً عصيباً لم يُشاهد أمرٌ منه ممّا جرَى في بيوت الملوك ، وحمل النّاس إلى الملك المجاهد الحبال وملك الحصن ثانياً واستولى على مافيه ، وحصل بينه وبين مماليك أبيه ذمم وعُهود ، وكتب لهم ذمامه بالأمان والتمام والوفاء ،

(١) محل في صهبان في ناحية ذي السفال قرب ذي جبلة .

(٢) الشربخانة أو الشراب خانة ، هو مخزن الشراب ويحتوي على أدوات الشراب من أنواع الصيني والشوك والكيزان والطاسات النحاسية .. إلخ . وله أخدام .

(٣) الطشتخانة : معناه بيت الطشت ، فيه الطشت الذي يُغسل فيه القماش وبه ثياب السلطان التي لابد لها من الغسل ومايتعلق بالحمام من مواقد ومباخر ومناشف .. إلخ . وللطشت خانة مهتار يشرف عليها ويعمل معه غلمان ، انظر مصطلحات القلقشندي ص ٢٣٢

ونادى بِهِم في الأسواق ومجامع الناس بحضور القاضي والشهود ، وجَمَع ملوك بني الرسول كُلّهم عنده تحت الحفظ ، ما خلا ولدي الواثق فإنّه لم يغير عليهما ، واستناب في نيابة سلطنته الأمير جمال الدين بُوْز ، وكان الملك المجاهد قد طلب من عمه السلطان الملك المنصور أن يكتب إلى ولده السُّلطان الملك الظاهر بتسليم الدملؤة ، فكتب له إلى ولده كتاباً شافياً ، فامتنع السُّلطان الملك الظاهر من تَسْليمها ، فجهَّز إليه عسكراً مقدَّمه الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين ، والشيخ أحمد بن عمران العِيَاني ، والشيخ عمران بن أبي بكر المغلسي[1] ، وخامر[2] جماعة من الأشعوب[3] على السُّلطان الملك الظاهر مقدمهم غلاب ، ومكنوا عسكر مولانا السّلطان الملك المجاهد طريقاً يفضي إلى الصلو[4] ، وحاصروا حصن المنصورة[5] وحصل بينهم وبين عسكر الملك الظاهر مقاتلة وزحوف كثيرة ولم ينالوا من الحصن شيئاً . وكان له من الله واقية وكلمة في سلطانه باقيةً ، ورجعوا بخفي حنين ، وتركوا أثقالهم وخيمهم ومابها . وخرج العسكر من المَنْصورة فانتهبوا ذلك ، وعظم ذلك عند مولانا السلطان الملك المجاهد ، فأحضر الأمير شمس الدين عبّاس ، وهو لا يستطيع الركوب ، ولم يزل راكباً إلى باب السّتّارة[6] للمشورة في ذلك فلم يفده .

وفي أواخر سنة اثنتين وعشرين اختلّ أمر الخلاف ، وخرج عن السلطنة وأحكامها ، وثاروا مشائخ العُربان والقبائل وملكوا أملاك الملوك ، ونهبوا خيله

---

(١) مطبوعة العقود العنسي (خطأ) .

(٢) خامر : خادع .

(٣) الأشعوب : عزلة من جبال العدين شمال تعز .

(٤) الصلو : جبل في بلاد المعافر وهو يشكل ناحية من أعمال وهو بكسر الصاد وسكون اللام .

(٥) المنصورة : من قرى الصلو المذكورة في الغرب الشمالي من حصن الدملؤة .

(٦) هو الباب الخاص بالجهات السلطانية على حسب عرفهم في ذلك الوقت .

وأخذوا جميع مافيها حتى حصر الجامع ، واستفظّوا الأبكار عند المنبر ، وجرى أمر لم يجر مثله ، وخالف بنو فيروز وعسكر الدروب واتسعت دائرة الخلاف .

ذكر مااتفق في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة

وفي هذه السنة المذكورة في المحرَّم انتقل مولانا السلطان المنصور إلى رحمة الله تعالى ورضوانه ودُفِن بمدرسة أبيه المظفرية ، رحمه الله رحمةً تحلُّه الرضوان وآواه فسيح الجنان .

وفي هذه السنة نفر جماعة من الجند إلى السُّلطان الملك الظّاهر ، ووردوا إليه جماعات من عرار[(١)] وذمار ، وقابلهم أحسن مُقابلة ، وأعدَّهم للإرْهاب والمقاتلة ، وصاروا يغيرون بأطراف بلاد الملك المجاهد ، وتألبوا وتجمَّعوا إليه ، وسار جماعة من المماليك إليه ، ووصل إليه الأمير غيَّاث الدين محمد بن يحيى بن منصور السَّبَائي[(٢)] ، فأكرمه وأعزَّه وأحلَّه وأعلى محله ، وكاتب الأمير بدر الدين حسن بن الأسد إلى ذمار فأجابه . وكان إبراهيم بن شكر مع السُّلطان الملك المجاهد قد نزل إليه من بلاده لَّما علم بعودة الملك إليه ، وكان حظّياً عنده . ولَّما تألبت العساكر واجتمعت وكانت في جملة المماليك البحرية جماعة يكاتبون مولانا الملك الظاهر ويميلون إليه كالأمير عز الدين أيبك الدويداري المؤيدي ، فجيَّشَ الأمير بدر الدين حسن بن الأسد وجَمَع وحشد ودخل الجند قاصداً حصار تعز بأموال جمّة من ذهب وفضّة ، أرسل بها مولانا السلطان الملك الظاهر . فأخرج مولانا السُّلطان الملك المجاهد عسكره الذين حَوْلَه ومقدمهم إبراهيم بن شُكْر ، ومَعَهم الفائز قطب الدين ابن أخيه .

---

(١) يحقق اسم الموضع وهو كذا في الأصل .

(٢) في المطبوعة الشبابي وأصلحه في العقود هكذا والله أعلم بحقيقة الاسم وقد كتبه في العسجد بالشيباني وأظنه الصواب .

ولمّا ترآء الجمعان نكّس جماعة من المماليك والحلَقَة رماحهم ونادوا : ياظاهريّة ، وانتظم العَسْكر بكماله ظاهرياً . وأمّا الفائز فسرى من ليلته بمساعدة ابراهيم بن شكر ، وحَصَل بين ابن شكر وبين ابن الأسد أيمان وعهود على قبر شيخ صالح يسمّى زيد ، وأجمع العَسْكر على دُخول تعز ، فدخلوا دخولاً عظيماً ، ولاقاهم الأمير غياث الدين بن السّبائي من ناحية الدملؤة على طريق الدّمينة[1] ، وضَرب الخيام على مزارع عديْنة ، وأقامت المحطةُ سبعةَ أيّام ، وكان أهل تعز في أشدّ مايكون من قُوة الحصار والتّعب ، وقبض الله ارتفاعها ، ونال النّاس مضارّ كثيرةً من الملك المجاهد ، ومن ذلك الوقت اضطربت أحواله واختلف آراء وزرائه الذين حوله . وكان قد لحق به جماعة مِمَّن نزل إلى المحطة وانتظم في سلكه ، فأشار على السّلطان الملك المجاهد من أشار ، ويقولون إنّه آلى ابن شكر بالقبض على الأمراء البحرية والمماليك ، وكان المحرِّض له عبد الرحمن بن العنقاء ليأخذ بثأر عمه ، فهجموهم سحراً ، فنجا منهم جماعةٌ أراد الله بقاهم ، ومسك منهم جماعةٌ كثيرة ، ونهبت مَنَازلهم ، وجرى عليهم أمر يقصّر لسان التّعبير عنه ، وشنق مِنْهم جماعةٌ ، وجنَد منهم جماعةً فجازاهم على مافعلوا معه من الخير ، ولولا انتصارهم له لما ارتفعت المحطة ، وتآلب النّاس بأجمعهم إلى الحرم السُّلطاني الظاهري . ولمّا علم بنفورهم عن السلطان الملك المجاهد ، ووثق بهم أرْسَلهم إلى الخوخية[2] ، وكانت في الخوخة محطة له قبل ذلك تبلغ مئتي فارس وكانوا بين إقدام وإحجام إلى أنْ قدّر الله نزولهم إلى تهامة .

وكان الحاث لهم على النزول والمتدرك لهم بالبلاد بهاء الدين والصقري ،

---

(١) الدمينة كذا في الأصل وأظنه دمنة نخلان واد مشهور بالشمال الغربي من تعز والدمنة أسماء مواضع كثيرة هناك .

(٢) في الأصل الحوحَبة ولم نقف على هذه القرية وأظنها الخوخة قرية بالغرب من جنوبي حيس .

فنزلوا إلى تهامة ، ودخلوا السلامة[1] دخولاً حسناً ، وتوجهوا إلى حيس وسلكوا مع الفقيه السيِّد علي بن أبي بكر الزيلعي نفع الله به ماآستحسن ذلك منهم وزودَّهم بالدعاء ، وكانت كتب المجاهد ورسوله ابن شكر تصل إلى الفقيه المذكور تخوفه وتهدده بسبب المتحوزين المنتسبين إلى الظاهر . وتوجَّه العسكر إلى زبيد ولَمَّا أن صاروا بالقُرتب[2] اختلفت أراؤهم ، فَهمَّ جماعة مِنْهُم بالتوجه إلى بلاد أخرى ، وهمَّ آخرون بالرجوع إلى السلطان . وأخبرني بهاء الدين الصقري أنّه الذي ثبتَّهم وقَرَّرهم وجَمعَ شَمْلهم . وتوجَّه هو وجماعة من المماليك إلى زبيد ، وخاف النَّاس خوفاً شديداً بها . وكان بها الأمير بدر الدين بن طرنطاي ، وأمر البلد إليه ، فكاتبه الصقري فلم يُعْد له جواباً ، وهو مُصر على حفظ البلدة[3] . وكان أهل زبيد يرغبون إلى الصّقري لولايته المتقدمة عليهم أيَّام السُّلطان الملك المؤيد ، وكان من قضاء الله وقدره أن اختلف أهل البلد على قتيل ووقع بينهم . والعَسْكر بكماله قد نزل ببستان الراحة ، مما يلي باب الشبارق ، فخرج جماعة من عَوَّارين البلد من أهل حافة أعلا البلد بباب سهام ، فتكفلوا للعساكر دُخولهم البلد ، وتَطْليع رجلهم بالحبال ، وكان الحديث مع الصّقري . فلمَّا وثق العسكر بكلامهم ساروا إلى البلد زرافات ووحداناً ، ودخلوها أوَّل يوم من شهر رجب الفرد عند الظهر من السنة المذكورة ، ونهبت بيوت مخصوصة منسوبة إلى الملك المجاهد ، كدور بني النقَّاش ومن والاهم وكان بها من الطَّعام جملة مستكثرة وغير ذلك ، وظفر الصقري بآلات للملك المجاهد كحياصتين[4] عظيمتين مرصَّعتين بالجواهر النفيسة ، كانتا للملك المؤيد ، وسرموجة[5] مرصَّعة بالجواهر يقال : إنها

(١) السلامة : قرية في وادي نخلة شرقي مدينة حيس .

(٢) القرتب : بلدة وضاحية من ظاهر جنوب زبيد .

(٣) في الأصل العهدة وما أثبتناه في المطبوعة .

(٤) مثنى « حياصة » : حزام يسمى منطقة ، كان يصنع من معدن ثمين . أفخمها ماكان من الفضة المطلية بالذهب انظر (الملابس الملوكية ٤٧) .

(٥) هي « السرموزة » سبق ذكرها .

كانت لبنت جوزاء أخذها المجاهد من الدملؤة حالة طلوعه ، وأعادها الصقري إلى الملك الظَّاهر ، واستقرَّت الدَّعْوة للسُّلطان الملك الظاهر في البلاد التهامية ، وضربت السكة باسْمه ، وخطب له بالتهايم كلها ، وسكن العسكر بكماله زبيد . ولَمَّا علم السُّلطان الملك المجاهد بهذا الأمر ضاق به ذَرْعاً ، وجهَّز عسكره الذين بقوا ببابه وقدَّم عليهم الأمير نجم الدين أحمد بن أزدمُرَ بن العماد .

وكان كما قيل « ضاع الرعيان ومن يقوده » ومقدم الزعيم ابن الافتخار ، وكان مَعَهم من الرجل ما ينيف على أربع مئة راجل من خيار مذحج مُقدِّمهم الورد السبئي . ولَمَّا دخلوا السَّلامة نهبوا أكثر بيوتها ، وأخلُّوا بحرمة الفقيه[1] ، فتضاعف الدعاء عليهم ، وساروا إلى جهة زبيد ، ولَمَّا علم الأمراء البحرية والعساكر الظاهرية بقربهم منهم ثبت البلد بهادر الصقري وخرج جماعةُ العساكر ، وحصلت بينهما مقاتلة عظيمة بالمنصورة ، وكان عسكر السلطان الملك المجاهد فوق الثلاث مئة فارس ، ففرَّقوا شملهم وكسروهم كسرة عظيمة ، وقتلوا منهم الجم الغفير ، وأخذوا الجمل والعلم الذي كان مع بن أزدمر وأسروه ، ودخل رديفاً خلف الشَّريف صارم الدين داؤد بن قاسم بن حمزة ، وقتل أخو الورد السبئي[2] وابن العماد وتفرق العسكر الذين لهم شذر مذرا ، واستقدم منهم جماعة ، وقويت شوكة السلطنة الظاهرية ، ولم تعد تظهر للملك المجاهد راية في طلب حصارٍ أو أخذ ثأر .

وكانت عدن بيد السُّلطان الملك المجاهد وواليها ابن النقَّاش وكان من قضاء الله وقدره أن كان بين ابن النقاش وبين الأمير عمر بن بلبان العلمي منافرة ، وكان يكتب فيه إلى المجاهد بأشياء لا تليق . فظفر بعض غلمان الظَّاهر بمكتّب وصل من تعز ومَعَه كُتب فقتله وأخذ كُتُبَه ، وأمر بها إلى السُّلطان الملك الظاهر ،

---

(١) يعني ابن الزيلعي السابق الذكر .

(٢) في الأصل والمطبوعة الشبلي ويرد ذكره في العقود بالسنبلي وما أظنه إلاّ ما اخترته .

فَوَجد فيها مطالعةَ جواباً لأبن النقاش ، وفيها فصول تتعلّق بابن الدويدار وأجوبةً لا ترضى ، وكان قبل ذلك قد توجّه إليه ابن الدويدار وصُحبَتُه جماعةٌ من الجحافل بمالٍ ، فلم يقابلهم المجاهد في خلال ذلك بما جرت به العادة ، ونفروا ونَفَر ابن الدّويدار مَعَهم ، وطَلَب المجاهد في خلال ذلك من ابن الدوّيدار قَرْضاً مبلغ سبعين ألف دينار ، فنفر وفي خاطره مافيه ، ومع ذلك مشاحنة بن النقّاش له . فَلمَّا وقف الظاهر على تلك الفصول المتقدّمة أرسل بها إلى ابن الدّويدار . فلَمَّا وقف عليها نادى يا ظاهري بَعْد أن استفتى الفقهاء ، فأفتوه بأن لا أثر للأيْمان التي حلفها للسّلطان الملك المجاهد ، فتوّجه من ساعته محاصراً لعدن ، فأقام عليها عشرين ليلةً . ولَمّا كان الثّامن والعشرين من شعبان افتتح البلاد رجال أصعدهم على الدّرب ، وتحيّلوا على فتح الباب ، ودخلوا البلد دخولاً ضعيفاً نهبت فيه أكثر البيوت الخوصيّة[1] وعاث الجحافل في البلد وقبضوا على ابن النقاش ، ونهبوا داره ، وجعلوها كأن لم تغن بالأمس ، واستقر أمير البلد نجم الدين ابن الصليحي ، واستقرّت المملكة كلها ظاهرية ، وَوَفَد النّاس إلى السُّلطان الملك الظّاهر من كل ناحية وقُطْر ، وقابل الناس بالإجلال والإنعام والإقبال والإكرام ، ولم يبق مع السّلطان الملك المجاهد غير حصن تعز ، وهو يبذل لأهل صبر الأموال في كل شهر جملة من المال خوفاً منهم على أن يقطعوا المياه ويُحاصِرُوه .

ذكر مااتفق في سنة أربع وعشرين وسبع مئة

وفي هذه السنة المذكورة ثار الزّعيم ابن الافتخار ببلاد المحالب وتوجّه إليه الأمراء البحرية وكسروه كسرةً شنيعة ، وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة . وفي السنة المذكورة عُقدت الألْوية للأمير بهاء الدين الصقري ، ورفعت له

---

(١) كذا في الأصل وفي المطبوعة الخصوصية .

الطبلخاناه ، ودَخَل زبيد دخولاً لم يُعْهد بمثله ، وأحسن إليه مولانا السلطان الملك الظاهر الإحسان الكلي وهو كافر النعمة[1] . وفي السنة المذكورة خالف أهل صبر على الملك المجاهد ، وقطعوا المياه عنه ، وضعف حَالَه ، وتعب[2] أهل المغربة وعُدينة بين أهل صبر والمجاهد . وطَلَع الأمراء البحرية مقدّمهم الأمير بدر الدين محمد بن طرنطاي ، ووافاه الأمير شجاع الدين عمر بن بلبان العلمي من عدن فحطّوا على الحصن وحاصروه ، ونصبوا عليه المجانيق ، ورموا الحصن وهدّوه حجراً حجراً ، وأزالوا مابه من المناظر[3] والمنازل ، وأخبرني المحقق للحال : أن الواصل إلى الحصن من الحجارة المنحوتة أربعة آلاف حجراً إلى تاريخها ، وحَصَل قتل كثير ، وخربت تعز خراباً لا يتدارك ، وخلت أكثر بيوتها إلى ماشاء الله والله أعلم[4] .

---

(١) في المطبوعة : وهو مع ذلك « يسر حسوا في ارتغاء » مثل يضرب لجاحد النعمة .

(٢) المطبوعة : وشعث .

(٣) جمع منظر وهي الغرفة المرتفعة من المنزل .

(٤) في المطبوعة زيادة لاتوجد هنا ، أظنها محذوفة من قبل صاحب التعليق الآتي لصلتها بالمجاهد وحصاره وهو من الموالين للمذكور :

« واستمر الحصار إلى ذي الحجة سنة أربع وعشرين وسبع مئة ولما اشتد الحصار على المجاهد ورأى تألب الناس عليه وخروج البلاد عنه ، راسل السلطان الملك الناصر في ذلك واستغاث به وتضرع إلى مراحمه ، والتزم تحمل الأموال والتحف والنفقة في العساكر ، فوصلت رسله إلى الأبواب السلطانية ، وذلك سنة خمس وعشرين ـ كما تقدم ـ فكان من تجهيز العساكر المصرية مانذكره إن شاء الله . قال : واتفق أن الأشراف كانوا قد استولوا على صنعاء بعد وفاة الملك المؤيد عندما وقع الاختلاف بين الملكين باليمن ، فلما علموا أن الصقري ومن معه من المماليك استولوا على زبيد وبلاد تهامة ، وإنهم مظهرون الطاعة للملك الظاهر بن الملك المنصور مخالفون على المجاهد ، وإنهم استقلوا بأموال البلاد لايحملون منها إلى الظاهر شيئاً ، تحرك الأشراف عند ذلك ، ونزلوا في جمع كبير يقال إن عدتهم كانت خمس مئة فارس وكثير من الرجالة وراسلوا الأمير بهاء الدين بهادر الصقري أن يعطيهم نصف بلاد تهامة ، فقال : لاجواب لكم عندنا إلاَّ السّيف فوقعت الحرب بينهم على وادي سهارم من عمل الكدراء فكانت الدائرة على المماليك وأسر الأشراف جماعة من أعيانهم فعند ذلك اضطربت الحطّة الذين كانوا يحاصرون المجاهد بتعزا =

(١)وآخر هذا الأمر أن الله سبحانه فتح بالنصر والظفر لمولانا السلطان الملك المجاهد سيف الإسلام علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وتملّك البلاد جميعها ، وكانت دولته ثلاث وأربعين سنة ، وبَلَغ من سُعْده أن أسَر أم الظاهر وأهله واستولى على الحصون والبلاد جميعها ، وردَّ الله ابن عبد الحميد(٢) بغيظه هو وسلطانه(٣) ، ويفعل الله ما يشاء ويُريد ، فلو أجمل في الكلام وقلّ التعصب مع الظاهر ، لكان ذلك هو اللائق بحاله ، فإن الملوك لا يجوز انتقاصهم ولا سيّما مثل الملك المجاهد ، فإن الله سُبْحانَه أحْيَا به الملّة المحمدية وأقام به الإسلام ، وضبط بملكه الشرائع والأحكام ومدَّ الله له في العُمر حتى بَلَغ من الدنيا مسألته . وخَلَفه ولده مولانا السلطان الملك الأفضل العبَّاس بن عَلي ، وسَار السيرة المرضية ، وصلحت بملكه أحوال البلاد والعباد ، وكانت دولته أربع عشرة سنة إلى سنة ثمان وسبعين ، ثم قبضه الله إليه مشكور الثناء ، مشهور السناء ، وانتقل الملك إلى ولده مولانا ومالكنا السلطان بن السلطان الملك الأشرف مُمهد الدين إسماعيل بن العباس بن علي بن داؤد بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول العباسي الجفني(٤) ، نصرَه الله وخلّد ملكه وطوّل عمره ، فإنه فاق الآباء

= وفارقوا الحصار وتوجّهوا لإنجاد أصحابهم وأظهر الأشراف عند ذلك الانتصار للمجاهد ، وكان الحامل لهم على ذلك ولدي المظفر أخي المجاهد وهما الملك المفضل شمس الدين يوسف والملك الفائز قطب الدين أبو بكر فإنها التمسا من الأشراف نصرة عمها الملك المجاهد ولما حصل من الأشراف ماحصل رجع المماليك البحرية الصقري وغيره والغياث بن نور إلى خدمة الملك المجاهد ورجعت زبيد وتهامة إليه .

(١) من هنا إلى آخر الكتاب ليس من كلام المؤلف وكأنه ألحق بآخر الكتاب من قبل أحد كتبة الأشرف لأن المؤلف كان متعصباً مع الملك الظاهر ومنحرفاً عن المجاهد حتى أدى ذلك إلى رحلته إلى اليمن كما ذكرنا في ترجمته .

(٢) كذا في الأصل صوابه ابن عبد المجيد مؤلف الكتاب .

(٣) يعني الظاهر .

(٤) نسبة إلى جفنة بن عمرو أحد الغساسنة .

والأجـداد ، زيـادة في الكرم الفـائض وسـلامـة النَّفس الشريفـة عن الحيف والأحقاد ، والناس في زمنه في خفض عيش رغيد ، وظل عَدْل مـديـد . فنسـأل الله أن يُبقي للمسلمين في حياته ويجعل فيها البركة والمزيد فـإنّـه جـدير بـالـذّكر الجميل والثناء الجزيل ، ولقد جَعَل الله فيه رحمـةً للعبـاد ، وعَـدْلاً شـاملاً في جميع البلاد ، وأرقَّه ورحَّمه على الحاضر والباد .

ومن توفيق الله تعالى له وعنايته أنَّه لا يُعْلم أنَّ أحداً من الظلمة أراد القيام في دَوْلته بمضار المسلمين ومظالِمهم ، إلاَّ سَلَّطه الله عليه حتى فنى في دولته طائفـة من الظلمة تبديداً وتشريداً وتمزيقاً ، وجماعـة ممَّن لا يخـافوا الله طرفـة عين ، ولا يرو الإثم في ارتكاب المظـالم واتّبـاع المـآثم نَقْصٌ ولا شين ، فشتت الله شملهم[1] بهم فعلهم ، ولقد أشبهت أيّامه أيّـام عمر في خلافتـه بـالرفق والعـدل حتى إن الرَّعيـة أحبته ولا سيّما أهل زبيد ، فإنهم يَوَدون أنْ يجعلوه في قُلوبهم ، ويرون حبّه قُربـةً إلى الله سُبْحانَه يدينون بذلك ويرونه غايةَ مطلوبهم ، ولَمَّا أحسَّ نصرة الله تعـالى بمحبة أهل تهامة له . جَعَل غالب قراره في زبيد ، وبَنَى داراً أسمَـاهـا دار النَّصر ، سعيدة البناء ومنـذ عمرت هـذه الـدَّار أنَّ مولاهـا في زيـادة من السعـادة ، فـالله يزيده من فَضْله ، ويجعله من خَوَاص أهلـه ، ولَـمَّا صحّ لـه الله بطول عُمره وبعزّ نصره تَساهل تهامة له اطّرح الحرَسَـة وألان الحجـاب ، وسـار سيرة عُمر في زمـانـه بحَيث كان ينام وحده في البادية لأنه عَدَل فأمنَ فَنَـام كَما جَرى في زمن عمر رضي الله عَنه ، فنسـأل الله تعـالى أن يُطيل لـه البقـاء ، ويُبـارك للإسْلام والمسلمين في حياته ويكفيهم فيه الأسواء كافةً ، ويبلغه من فَضْله ما يشاء ، ويُوفّقـه لمـا يُحب ويَرْضى ، فإنّه فاق آباءه وأجداده في العدل ، وكانت فيه صِفَات حميدة عـديـدة ، منها شأنه فوق الندى[2] الأعين من شاهـدهـا علم أن علامـة السّعـادة ، ومنهـا لين الجنـاب والزُلْفَـة على الخلـق والمبـادرة إلى إعـانـة المسلمين وبـذل المعروف ، ولقـد

(١) بياض في الأصل . (٢) كذا بالأصل .

جرت نكتة تشهد له بالانفراد بالفَضْل والكرم المستجاد ، لم يبلغ إليها الآباء والأجداد ، هي أنّ بعض تُجار عدن كان يُسمى جمال الدين محمد بن حسن الهبل انكسر وتَضعضع حاله ، وعلقه دين اكتشفت به أحواله ، فَقَصده من عدن إلى زَبيد ، واجتمع بمقامه الشريف في بستان الراحة خارج زبيد ، وشكا حاله عَلَيْه ، وكان غاية مطلوب التّاجر المقدَّم الذكر أن يَكْتُب له كتابة إلى النواب بالثّغر المَحْروس يَسْتَمهلون له أهل الدّين إلى مَيْسرة ، فأجازه نَصرَه الله بإجازة سنيّة من غير سُؤال ولا تعرّض لطلب مال .

كانت هذه صفات غريزية في هذا الملك الكريم ومحاسن أَشْرفيّة ورسوليّة . فَيُقال : إنّ المبلغ الذي جبا به التّاجر المذكور مئة وعشرون ألف درهم فضّة ، وهكذا تكون العطيّة الهنيّة ، ثم كتب له إلى النوّاب بعدن يُسَاعدوه ويُقيموا حُرْمَته ، فعاش التاجر سعيداً مسروراً .

وعلى الجُملة فَصِفات مولانا السلطان الملك الأشرف لا تُحْصَر ، فالله يزيده سعادة سرمدية ، حتى يُعمّر ما يَشَاء أنْ يعمر ، فليس على كريم ذلك بمنكر ، ولا سيّما مَنْ كان في حياته صلاح العباد وعمارة البلاد ، ودَمَار أهل البغي والفساد ، أسأل الله أن يُبارك لنا في حياته . ويزيدنا من شفقاته وصدقاته ، ويوفّقنا للسُّلوك في طاعته ومَرْضاته بحق سيّد البَشَر والمشفّع في المحشر محمد ﷺ وخصّه بتحياته وبركاته ورضي الله عن أصحاب رسوله أجمعين . ولقد أنقل عن مكارم أخلاقِه ما نَطَق به وأنا سامع ، وهو أنه جرى حديث في مقامِه الشريف عن الملوك والخلفاء المتقدمين وسيرهم في أيّامِهم . فقال : والله ما أمسيت وفي قلبي غيظ على مُسْلِم ولا أُضْمِر ضَرر على أحدٍ من خلق الله . وكان كريم الصفات لا تنفق عنده النمية والمكائد والتزويرات ، وعاشوا معه أهل دولته سعداء . فالله يَجْعل في حياته البركة وطُول البقاء .

حكاية عجيبة عنه نَصَره الله تعالى تَشْهد له بالحلم والوقار وسلامة الصدر ونَفْسه الشريفة عن الحقود والمعاقبة على الذنوب الكبار ، ممّا يتعجب من وصَفْه السّامِعون ويزيد به فَضْله وعَقْلِه على مَا تُقدّمه من آبائه وأجداده ، وتميَّز به على الملوك والخلفاء من أجداده ، فإنه في بَعْض الأيّام كانَ حَرَسه الله تعالى في دار السرور بزبيد في أيّام السبوت وعِنْده غلمانه الذين يتشرّفون بحضرته ، وعلى رأسه مملوك من المماليك الخواص المحظوظين[1] ـفقه ، وفي يَده مَرْوحة صيني من مراوح عدن بعود قنا في رأس المروحة صور طير فضّة بمنقار على صِفَة مِنْقار الطّير محدّد وهو يَروح على مولانا نَصَره الله تعالى في أيّام الحر الشديد . وهو الله ينصُره يُحدّث غلمانه ويُطارح والمملوك مستمر يُروح وعقله مفترق وحسّه غير حاضر ، فأهوى بالمروحة ليروّح ، وأدنى يده من السّلطان بغير شعوره ، فَوقع منقار الطير الفضّة الذي في رأس المروحة في الجفن الأعلى من العين اليُمنى ، فَقَطعه واندفع الدم انْدفاع غزير . فأمّا الجماعة الحاضرون فَبُهتوا وزاغت قلوبهم ، وكادوا يهلكون من الجزع ممّا شاهَدوا . وأمّا المملوك فاصفر لونه وظَهر على وَجْهه علامة الموت من الخوف والجزع ، ولا يَلام ، هذا والدّماءُ تنحدر من الجفن الذي يغمد العيون[1] الجفون . فلما شاهد نَصَره الله تعالى وعَامَلَهُ بلطفه ، ما لحق الجماعة الحاضرين من الرعب ، ثم ما لحق بالمملوك من الجزع الشديد أسرع يُحدّث غلمانِه بما تطمئن به قُلوبُهم ، وتَزيلَ به وحشتهم ، فلمّا استقرَّت نُفوسَهم شَرَعوا يتحدّثون معه في أمرِ المملوك ، فَمِنْهُم من يُخطِئهُ ، ومِنْهم من يَعْتَذرُ له وأنّه إنما فَعَل ، وإنّما كان ذلك وهو مُفْترقَ العقل ، فما كان كلامَهُ نَصَرهُ الله تعالى وأطال في عُمْره : وهَلْ يُرْضيكم ما صَنَع ؟ فتَكلَّموا بما سَنَح لَهُم من القول ، وقالوا : لا يرضينا إلا أن نأكل لحمه ما أشفانا . فَعَفى عنه . الله تعالى يُعامِلُه بِلُطْفِه[2]

---

(١) بياض في الأصل .

(١) بياض .

(٢) بياض .

وكفكف دم الجفْن ، وجَعَل عليه شيء من الأدويـة حتّى كفّ الـدم ولا وَجَـدَ غِلْمانَه مِنْهُ ما يكرهون ، ولا نال المملوك منه ما يكرَهُ بَلْ طيب خَاطِره إحساناً . فَسُبحان من خصَّه بهذه الصفات الحميدة والمزايا العديدَة[1] .

(١) هنا ينقطع المخطوط وهو استطراد من أحدهم لاصلة له بالكتاب فيفهم .

ملحق

في الساقط من المخطوطة (انظر ص ٨١)

[فأرسل في ذلك إلى المستنصر رسولين ، فعادا ومعهما خادم من أكابر خدام المستنصر بألفاظ حسنة ، فردت بأحسن منها ، وقال لها : أمير المؤمنين يقول لكِ : ﴿ وما كانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللهُ ورَسُولُه أمْراً أنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ ﴾ قالتْ : وما ذاك ؟ قال : « قدْ زَوَّجك أميرُ المؤمنينَ من الدّاعي الأوحد المُظَفَّر عمدةِ الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد [١١٠] بن المظفر الصُّلَيحي على ماحضرَ من المال ، وهو مائة ألف دينار عيناً ؛ وخمسون ألفاً من التّحف والألطاف والطّيب والكساء » فقالت : أما كتاب مولانا ـ صلواتُ الله عليه ـ وأمره ، فأقول فيه : ﴿ إني أُلْقِيَ إليَّ كتاب كريمٌ ، إنّه من سُلَيمانَ وإنّهُ بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ﴾ ولا أقول في أمر مولانا : ﴿ يا أيُّها المَلأُ أفْتُونِي في أمري ما كُنْتُ قاطِعَةً أمراً حتى تَشْهَدُون ﴾ وأجابت إلى العقد ، فأقبل سبأ في جموع عظيمة إلى ذي جِبْلَة ، فتلَقّتْهم من الضيافات والعطايا الواسعة للناس والنفقات على العساكر بما بَهَر سبأ ، وصغّر قدرَ نفسه عنده ، وأقام هو ومن معه على ذلك شَهراً ، ثم استأذنها في الدّخول عليها ، فأذنت له ، فقيل : إنه اجتمع بها ساعةً واحدة ، وقيل : بعثت إليه بجارية تشبهها وأصبح سائراً فلم يجتمعا بعد ذلك ، ومات سبأ ، فأقامت الحرة للذّبّ عن ملكها ، والقيام بأمرها :

المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري

وهو تربيتها ، فعظُم شأنه ، وعلَت كلمته ، وغزا تِهامَة مِراراً ، وكان إليه ولاية التَّعْكَر ، وبه ذخائر الصليحي وأموالهم ، وكان يتولاه من قبله رجل من الفقهاء ، فطلع إليه جماعة من الفقهاء السنية من المِخْلاف ، فحسّنوا له الخلاف ، فخالف على الْمُفَضّل ، واستولى على الحصن وما فيه من الذخائر ، فجاء الْمُفَضّل وحصره أشد حصار ، فقال بعض الفقهاء : والله لا بتٌّ حتى أَقْتُلَ المفضل ، فعمد إلى حظايا المفضل اللواتي يميل إليهن [١١١] فألبسهن فاخر الحلى والحلل ، وأطلعهن أسطح القصور ، فضربن بالدفوف والمعازف بحيث يراهن المفضل وجميع عسكره ، وكان المفضل أشدَّ الناس غَيرةً ، فمات من ليلته كَمداً ، وقيل : امتص خاتماً فأصبح (٣٥) ميتاً والخاتم في فمه ، فعند ذلك طلعت الحرة من ذي جبلة ، فخيمت بالزنادى وكاتبت الفقهاء ولاطفتهم ، وكتبت لهم خطها بما اقترحوه من أمان وأموال ، وتسلمت الحصن ، فولته أحد مواليها ، وقدم على أثر ذلك علي بن أحمد المعروف بابن نجيب الدولة رسولاً من قبل الخليفة بمصر إلى الْحُرَّة ، وكان عاقلاً حسن التدبير ، فقام بأمر الحرة ، وغزا أهل الأطراف ، فاستقر أمره ، واشتدت شوكته ، واستخدم أربعمائة فارس من همدان وغيرهم من عرب اليمن ، فقوي بهم ، وغزا ملوك زبيد] .

فهرس الفهارس

أسماء الأعلام

ت

ج

ح

ن

هـ

و

ي

البلدان ـ والقبائل

أ

ب

ت

ث

ج

ك

ل

م

فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة